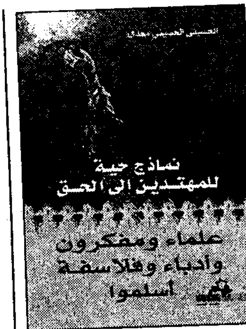
2

نماذج حية للمهتدين إلى الحق

علماء ومفكرون وأدباء وفلاسفة أسلموا



اسم السلسلة: نماذج حية للمهتدون إلى الحق

اسم الكتاب: علماء ومفكرون وأدباء وفلاسفة أسلموا

اسم المؤلف: الحسينى الحسينى معدى

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧٣٠/ ٢٠٠٥

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-145-2

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

الطبعة الأولى
٢٠٠٦

دار الكتاب العربى
دمشق - القاهرة

URL: http://www.daralkitab.net

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail:darkitab2003@yahoo.com

2

نماذج حية للمهتدين إلى الحق

علماء ومفكرون وأدباء وفلاسفة أسلموا

◆

الحسينى الحسينى معدى

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾

(النصر: ١ ـ ٣).

●●●

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾

(آل عمران: ٨٥).

صدق الله العظيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين.. وصلوات الله وسلامه على خاتم رسله سيدنا محمد بن عبدالله.. وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين.. وبعد:

تساءلت بيني وبين نفسي: ما الذي جعل العلماء والمفكرين والأدباء يقبلون على الدين الإسلامي، ويدخلون فيه أفواجاً؟ وما السر وراء إسلام هؤلاء؟ وكيف أسلموا؟ وهل استطاعت الأديان الأخرى أن تجيب على تساؤلاتهم وحيرتهم؟ وهل وجدوا فيها الجواب الكافي والشافي لما في عقولهم من أسئلة وشكوك تشفي صدورهم، وتطمئن نفوسهم، وتلبي متطلبات أشواقهم وأرواحهم؟

أليس العلم يدعو إلى الإيمان والإسلام؟

مما لا ريب فيه أن الإسلام دين الفطرة.. يلتقي معها على خير ما يرجو الرشد الإنساني، فيتعانقان على إنعاش الحياة وإسعادها في انسجام وتناغم.

ولو أن البشر جميعاً على وجه الأرض قُدِّم إليهم الإسلام في أصالته، وتناولوه حق التناول بعقولهم وقلوبهم في موقع تجريدي.. لا يسيطر عليه إلا صحوة الضمير وأمانته لوجدوه الدينالحق، ومنهج الحياة الآمنة التي شاء الخالق جلّ وعلا لبني البشر أن يحيوها إلى الوقت المقدور.

والاتصال المباشر بالإسلام في مصادره الأصيلة أو في عرض الأمناء من الذين يتناولونه بالدراسة في كتبهم وبحوثهم، ينتهي بمن يتصل به إلى الاقتناع الكامل بحقيقته وأنه دين الله الصادق الذي يمنح القلب هدوءه واستقراره على

العقيدة الصحيحة، ويقنع العقل بأقوى البراهين وأصدقها. ولا يسع من ينتهي به الاقتناع إلى هذا المنتهى إلا أن يُقبل عليه راضياً واثقاً مُسلّماً وجهه إلى الله مستمسكاً بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.. وهكذا الحق إذا خالطت بشاشته القلوب.

وكم من مثقفين اتصلوا بالإسلام اتصالاً مباشراً وعرفوه في جلائه ووضوحه فأيقنوا أنه الدين الذي يجب أن يُعتنق، والعقيدة التي يستقر عليها العقل فيطمئن القلب، فأقبلوا عليه في رضا وجذل بما أوتوا من شجاعة دون أن يأسرهم تقليد آباء وأجداد أو تضغط على أفكارهم مورثات بيئة أو جواذب إغراءات.

ونقدم اليوم الجزء الثاني من كتاب «المهتدون إلى الحق» بعنوان «علماء ومفكرون وأدباء وفلاسفة أسلموا»، وهو يختص بالعلماء والأدباء والمفكرين والمثقفين الذين دخلوا في الإسلام بعد تفكير طويل واقتناع عميق.

وهذا الكتاب يقدم نماذج من أولئك الذين عرفوا الإسلام من مناهله وانتهت بهم المعرفة إلى الإسلام، فانتهوا بحق إلى خير الدنيا وسعادة الآخرة.

واطلاع المسلمين على هذا الكتاب يزيدهم ارتباطاً بدينهم، إذ أقبل عليه الجمهرة من أصحاب الأديان الأخرى، وبخاصة مثقفوهم بعد الدرس المستأني والاقتناع الواثق.

ولعل في اطلاع غير المسلمين على هذا الكتاب ما ينبههم إلى ماينبغي أن يكون عليه الإنسان من صدق ونظر وشجاعة حين يستعلن الحق بين يديه ويتجلى.

وأسأل الله أن ينفع هذا الكتاب المسلمين وغيرهم، وأن يهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ، إنه سميع مجيب الدعاء.

الحسيني الحسيني معدّي

علماء وأدباء أسلموا

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول
الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول
الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول
الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول
الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول
الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله

1 ـ الجراح الفرنسي موريس بوكاي

نبذة عنه:

طبيب فرنسي، رئيس قسم الجراحة في جامعة باريس، اعتنق الإسلام عام 1982م. يُعتبر كتابه (التوراة والقرآن والعلم) من أهم الكتب التي درست الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة.

وله كتاب (القرآن الكريم والعلم العصري) منحته الأكاديمية الفرنسية عام 1988م جائزة في التاريخ. يقول:

«إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه نصوص القرآن لأول مرة هو ثراء الموضوعات العلمية المعالجة، وعلي حين نجد في التوراة ـ الحالية ـ أخطاء علمية ضخمة، بينما لا نكتشف في القرآن أي خطأ.

ولو كان قائل القرآن إنساناً فكيف يستطيع في القرن السابع أن يكتب حقائق لا تنتمي إلى عصره..

ليس هناك تفسير وضعيّ لمصدر القرآن»[1].

«لم أجد التوافق بين الدين والعلم إلا يوم شرعت في دراسة القرآن الكريم فالعلم والدين في الإسلام شقيقان توأمان.

لأن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يدعوان كل مسلم إلى طلب العلم، طبعاً إنما نجمت إنجازات الحضارة الإسلامية العظيمة عن امتثال الأوامر المفروضة على المسلمين منذ فجر الإسلام»[2].

(1) دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة ـ د. موريس بوكاي، ص 145.
(2) القرآن الكريم والعلم المعاصر ـ د. موريس بوكاي ص 123.

وهذا مقال عنه بقلم د. محمد يوسف المليفي:

موريس بو كاي..

من هو موريس بو كاي؟! وما أدراك ما فعل موريس بو كاي؟!

إنه شامة فرنسا ورمزها الوضاء..

فلقـد ولد من أبوين فـرنسـيين، وترعـرع كـمـا تـرعـرع أهله في الديانة النصـرانية، ولما أنهى تعليمـه الثانوي انـخـرط طالبـا في كلية الطب في جامـعـة فـرنسـا، فكان من الأوائل حتى نال شـهـادة الطب وارتقى به الحال حتى أصـبـح أشهر وأمهر جراح عرفته فرنسا الحديثة..

فكان من مـهـارته في الجـراحـة قـصـة عـجـيـبـة قلبت له حـيـاته وغـيـرت له كيانه..!

اشتهر عن فرنسا أنها من أكثر الدول اهتماماً بالآثار والتراث، وعندما تسلم الرئيس الفـرنسي الاشـتـراكي الراحل (فـرانسـوا ميـتـران) زمـام الحكم في البـلاد عام 1981 طلبت فرنسا من دولة (مصر) في نهاية الثمانينيات استضافة مومياء (فرعون مصر) إلى فرنسا لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ومعالجة..

فتم نـقل جـثـمـان أشـهـر طاغـوت عـرفـتـه مـصـر.. وهناك وعلى أرض المطار اصطف الرئيس الفـرنسي منحنيا هو ووزراؤه وكبار المسؤولين في البلد عند سلم الطائرة ليسـتقـبلوا فـرعون مـصـر استقـبال الملوك وكـأنه مـازال حيـا..! وكـأنه إلى الآن يصـرخ على أهل مصر ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤).

عندما انتهت مراسم الاستقبال الملكي لفرعون مصر على أرض فرنسا..

حـملت مـومـيـاء الطـاغـوت بموكب لا يقل حـفـاوة عـن اسـتـقـبـالـه وتم نقله إلى جـنـاح خـاص في مركز الآثـار الفرنسي، ليبدأ بعـدهـا أكبـر علماء الآثار في فـرنسـا وأطبـاء الجـراحـة والتـشـريح دراسـة تلك المومياء واكـتـشـاف أسـرارهـا، وكـان رئيس

الجراحين والمسؤول الأول عن دراسة هذه المومياء الفرعونية هو البروفيسور موريس بو كاي.

كان المعالجون مهتمين في ترميم المومياء، بينما كان اهتمام رئيسهم (موريس بو كاي) عنهم مختلفا للغاية، كان يحاول أن يكتشف كيف مات هذا الملك الفرعوني، وفي ساعة متأخرة من الليل.. ظهرت نتائج تحليله النهائية..

لقد كانت بقايا الملح العالق في جسده أكبر دليل على أنه مات غريقا..!

وأن جثته استخرجت من البحر بعد غرقه فوراً، ثم أسرعوا بتحنيط جثته لينجو بدنه!

لكنَّ ثمة أمراً غريباً مازال يحيره وهو كيف بقيت هذه الجثة دون باقي الجثث الفرعونية المحنطة أكثر سلامة من غيرها رغم أنها استخرجت من البحر..! كان موريس بو كاي يعد تقريراً نهائيا عما كان يعتقده اكتشافاً جديداً في انتشال جثة فرعون من البحر وتحنيطها بعد غرقه مباشرة، حتى همس أحدهم في أذنه قائلا لا تتعجل فإن المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياء..

ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر، واستغربه، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة، فقال له أحدهم إن قرآنهم الذي يؤمنون به يروي قصة عن غرقه وعن سلامة جثته بعد الغرق..!

فازداد ذهولاً وأخذ يتساءل..

كيف يكون هذا وهذه المومياء لم تكتشف أصلاً إلا في عام 1898 ميلادية أي قبل مائتي عام تقريبا، بينما قرآنهم موجود قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟!

وكيف يستقيم في العقل هذا، والبشرية جمعاء وليس العرب فقط لم يكونوا

يعلمون شيئا عن قيام قدماء المصريين بتحنيط جثث فراعنتهم إلا قبل عقود قليلة من الزمان فقط؟؟؟

جلس (موريس بو كاي) ليلته محدقا بجثمان فرعون، يفكر بإمعان عما همس به صاحبه له من أن قرآن المسلمين يتحدث عن نجاة هذه الجثة بعد الغرق.. بينما كتابهم المقدس (إنجيل متى ولوقا) يتحدث عن غرق فرعون أثناء مطاردته لسيدنا موسى عليه السلام دون أن يتعرض لمصير جثمانه البتة.. وأخذ يقول في نفسه: هل يعقل أن يكون هذا المحنط أمامي هو فرعون مصر الذي كان يطارد موسى؟!

وهل يعقل أن يعرف محمدهم هذا قبل أكثر من ألف عام وأنا للتو أعرفه؟!

لم يستطع (موريس) أن ينام، وطلب أن يأتوا له بالتوراة، فأخذ يقرأ في (سفر الخروج) من التوراة قوله «فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر لم يبق منهم ولا واحد».. وبقي موريس بو كاي حائراً!

حتى الإنجيل لم يتحدث عن نجاة هذه الجثة وبقائها سليمة. بعد أن تمت معالجة جثمان فرعون وترميمه، أعادت فرنسا لمصر المومياء بتابوت زجاجي فاخر يليق بمقام فرعون! ولكن.. (موريس) لم يهنأ له قرار ولم يهدأ له بال، منذ أن هزه الخبر الذي يتناقله المسلمون عن سلامة هذه الجثة!

فحزم أمتعته وقرر أن يسافر إلى المملكة السعودية لحضور مؤتمر طبي يتواجد فيه جميع علماء التشريح المسلمين..

وهناك كان أول حديث تحدثه معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق.. فقام أحدهم وفتح له المصحف وأخذ يقرأ له قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)﴾ (يونس: ٩٢).

لقد كان وقع الآية عليه شديداً..

ورجَّته رجة جعلته يقف أمام الحضور ويصرخ بأعلى صوته: «لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن».

رجع (موريس بو كاي) إلى فرنسا بغير الوجه الذي ذهب به.. وهناك مكث عشر سنوات ليس لديه شغل يشغله سوى دراسة مدى تطابق الحقائق العلمية والمكتشفة حديثاً مع القرآن الكريم، والبحث عن تناقض علمي واحد مما يتحدث به القرآن ليخرج بعدها بنتيجة قوله تعالى ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢) كان من ثمرة هذه السنوات التي قضاها الفرنسي موريس أن خرج بتأليف كتاب عن القرآن الكريم هز الدول الغربية قاطبة ورج علماءها رجّاً، لقد كان عنوان الكتاب (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم.. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة).. فماذا فعل هذا الكتاب؟؟

من أول طبعة له نفد من جميع المكتبات!

ثم أعيدت طباعته بمئات الآلاف بعد أن ترجم من لغته الأصلية (الفرنسية) إلى العربية والإنكليزية والأندونيسية والفارسية والصربكرواتية والتركية والأوردية والكجوراتية والألمانية..!

لينتشر بعدها في كل مكتبات الشرق والغرب، وصرت تجده بيد أي شاب مصري أو مغربي أو خليجي في أمريكا، فهو يستخدمه ليؤثر في الفتاة التي يريد أن يرتبط بها..! فهو خير كتاب ينتزعها من النصرانية واليهودية إلى وحدانية الإسلام وكماله..

ولقد حاول ممن طمس الله على قلوبهم وأبصارهم من علماء اليهود والنصارى أن يردوا على هذا الكتاب فلم يكتبوا سوى تهريج جدلي ومحاولات

يائسة يمليها عليهم وساوس الشيطان.. وآخرهم الدكتور (وليم كامبل) في كتابه المسمى (القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم) فلقد شرَّق وغرَّب ولم يستطع في النهاية أن يحرز شيئا..!

بل الأعجب من هذا أن بعض العلماء في الغرب بدأ يجهز ردّاً على الكتاب، فلما انغمس بقراءته أكثر وتمعن فيه زيادة.. أسلم ونطق بالشهادتين على الملأ!! فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

يقول موريس بو كاي في مقدمة كتابه: (لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدقة بموضوعات شديدة التنوع، ومطابقتها تماما للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص قد كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا..!

معاشر السادة النبلاء..

لا نجد تعليقا على تلك الديباجية الفرعونية.. سوى أن نتذكر قوله تعالى ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ (النساء: ٨٢).

نعم والله لو كان من عند غير الله لما تحقق قوله تعالى في فرعون ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (يونس: ٩٢)، كانت حقا آية إلهية في جسد فرعون البالي.. تلك الآية التي أحيت الإسلام في قلب موريس..!

● ويقول الدكتور الفرنسي موريس بو كاي عن الحقائق العلمية التي وردت في القرآن في آخر جملة له في كتاب (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص 222) بعد أن فنَّد مزاعم التوراة الموضوعة الكاذبة في التكوين وأثبت خطأها:

In view of the state of knowledge in muhammad's days, it is "inconceivable that many of the statements in the qur'an which are connected with science could have been the work of man. It is moreover, perfectly has been ligitimate. not only to regard the qur'an as the expression of a revelation, but also to award it a very special place on account of the gurantee of it provides and the presence in it of scientific authenticity statements which, when studied today, appear as a challenge to human explanation".

وترجمتها كالاتي:

(بالنظر إلى مستوى المعرفة في أيام محمد فإنه لا يمكن تصور الحقائق العلمية التي وردت في القرآن على أنها من تأليف بشر. لذا فمن الإنصاف تماماً أن لا ينظر فقط إلى القرآن على أنه التنزيل الإلهي فحسب؛ بل يجب أن تعطى له منزلة خاصة جداً للأصالة التي تقدمها المعطيات العلمية التي وردت فيه والتي إذا ما درست اليوم تبدو وكأنها تتحدى تفسير البشر).

ويقول أيضاً:

«لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف، قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل. أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر

معطيات العلم رسوخاً في عصرنا. وأما بالنسبة للأناجيل.. فإننا نجد نصّ إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض»[1].

«لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية. فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحدّ من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تمامًا للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نصّ كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا. في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام. وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة..»[2].

«.. تناولتُ القرآن منتبهًا بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية. لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي. أذهلني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرة والتي لم يكن لأي إنسان في عصر محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يكون عنها أدنى فكرة..»[3].

«.. كيف يمكن لإنسان ـ كان في بداية أمره أمّيًا ـ.. أن يصرِّح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها، وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة؟»[4].

(1) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص150.
(2) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص145.
(3) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص145.
(4) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص150.

2 ـ كيث مور عالم الأجنة الشهير

نبذة عنه:

البروفيسور كيث مور من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم، في عام 1984 استلم الجائزة الأكثر بروزاً قدّمت في حقل علم التشريح في كندا، جي. سي. بي. جائزة جرانت من الجمعية الكندية لاختصاصيي التشريح. توجد العديد من الجمعيات الدولية، مثل الجمعية الكندية والأمريكية لاختصاصيي التشريح ومجلس اتحاد العلوم الحيوية.

وهذه قصة إسلامه(1):

دعيت مرة لحضور مؤتمر عقد للإعجاز في موسكو فكرهت في بادئ الأمر أن أحضره لأنه يعقد في بلد كانت هي عاصمة الكفر والإلحاد لأكثر من سبعين سنة وقلت في نفسي: ماذا يعلم هؤلاء الناس عن الله حتى ندعوهم إلى ما نادى به القرآن الكريم؟!. فقيل لي: لابد من الذهاب فإن الدعوة قد وجهت إلينا من قبل الأكاديمية الطبية الروسية. فذهبنا إلى موسكو وفي أثناء استعراض بعض الآيات الكونية وبالتحديد عند قول الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ (السجدة: ٥). وقف أحد العلماء المسلمين وقال: إذا كانت ألف سنة تساوي قدرين من الزمان غير متكافئين دل ذلك على اختلاف السرعة. ثم بدأ يحسب هذه السرعة فقال: ألف سنة.. لابد وأن تكون ألف سنة قمرية لأن العرب لم يكونوا يعرفون السنة الشمسية والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمريّاً ومدة الشهر القمري هي مدار القمر حول الأرض، وهذا المدار محسوب بدقة بالغة، وهو 2,4 بليون كم. فقال:

---

(1) من كتاب (الذين هدي الله) للدكتور زغلول النجار.

2,4 بليون مضروب في 12 ـ وهو عدد شهور السنة ـ ثم في ألف سنة، ثم يقسم هذا الناتج على أربع وعشرين ـ وهو عدد ساعات اليوم ـ ثم على ستين ـ الدقائق ـ ثم على ستين ـ الثواني ـ. فتوصل هذا الرجل إلى سرعة أعلى من سرعة الضوء. فوقف أستاذ في الفيزياء ـ وهو عضو في الأكاديمية الروسية ـ وهو يقول: لقد كنت أظنني ـ قبل هذا المؤتمر ـ من المبرزين في علم الفيزياء، وفي علم الضوء بالذات، فإذا بعلم أكبر من علمي بكثير. ولا أستطيع أن أعتذر عن تقصيري في معرفة هذا العلم إلا أن أعلن أمامكم جميعاً أني (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله). ثم تبعه في ذلك أربعة من المترجمين، الذين ما تحدثنا معهم على الإطلاق وإنما كانوا قابعين في غرفهم الزجاجية يترجمون الحديث من العربية إلى الروسية والعكس، فجاءونا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ليس هذا فحسب وإنما علمنا بعد ذلك أن التلفاز الروسي قد سجل هذه الحلقات وأذاعها كاملة فبلغنا أن أكثر من 37 عالماً من أشهر العلماء الروس قد أسلموا بمجرد مشاهدتهم لهذه الحلقات.

ليس هذا فحسب.. وإنما كان معنا أيضاً كيث مور، وهو من أشهر العلماء في علم الأجنة ويعرفه تقريباً كل أطباء العالم، فهو له كتاب يدرس في معظم كليات الطب في العالم وقد ترجم هذا الكتاب لأكثر من 25 لغة فهو صاحب الكتاب الشهير (The Developing Human). فوقف هذا الرجل في وسط ذلك الجمع قائلاً:

«إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله، وأن محمداً رسول الله».

فقيل له: هل أنت مسلم؟!؟. قال: لا ولكني أشهد أن القرآن كلام الله وأن

محمداً مرسل من عند الله؟. فقيل له: إذاً فأنت مسلم، قال: أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن ولكن لا تتعجبوا إذا سمعتم يوماً أن كيث مور قد دخل الإسلام. ولقد وصلنا في العام الماضي أنه قد أعلن إسلامه فعلاً فلله الحمد والمنة.

وفي مؤتمر الإعجاز العلمي الأول للقرآن الكريم والسنة المطهرة والذي عقد في القاهرة عام 1986 وقف الأستاذ الدكتور، كيث مور (Keith Moore) في محاضرته قائلاً: «إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم، ولست أعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد أن أؤكد على أن كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين»[1].

علماً أن مراحل خلق الإنسان (بني آدم) التي ذكرها القرآن هي سبع مراحل. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾ (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

وقد أثبت علم الأجنة هذه المراحل وصحتها وتطابقها مع المراحل المذكورة في القرآن. وهذه المراحل هي: 1 ـ أصل الإنسان (سلالة من طين)؛ 2 ـ النطفة 3 ـ العلقة؛ 4 ـ المضغة؛ 5 ـ العظام؛ 6 ـ الإكساء باللحم؛ 7 ـ النشأة.

وقد اعتبر المؤتمر الخامس للإعجاز العلمي في القرآن والسنة والذي عقد

---

(1) وهذه شهادته المصورة على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:
الجزء الأول: http://alhakekah.com/aduio/moore-1-56k[1].ram
الجزء الثاني: http://alhakekah.com/aduio/moore-2-56k[1].ram

فـي مــوسكو (أيلول 1995) هذا التـقسـيم القـرآني لمراحل خلق الجنين وتطوره صحيحاً ودقيقاً وأوصى في مقرراته على اعتماده كتصنيف علمي للتدريس علماً أن الأستـاذ الدكتـور كيث مور (Keith Moore) وهو من أشـهـر علمـاء التشـريح وعلم الأجنة فـي العـالم ورئيس هذا القسم في جامعة تورنتو بكندا (والذي كان أحـد البـاحـثين المشـاركين في المؤتمر المذكور)، ألف كـتـاباً يعـد من أهـم المراجع الطبـيـة في هذا الاخـتـصـاص (مـراحل خلق الإنسـان ـ علم الأجنة السـريري) وضـمنه ذكـر هذه المراحل المذكورة فـي القـرآن، وربط في كل فـصل من فـصول الكتــاب التي تتكلم عن تطور خلق الجنين وبين الحـقــائق العلمــيــة والآيات والأحاديث المتعلقة بها وشرحها وعلق عليها بالتعاون مع الشيخ الزنداني وزملائه.

3 ـ عالم التشريح التايلندي تاجاتات تاجاسون[1]

بدأت صلتنا بالبرفيسور تاجاتات تاجاسون عندما عرضنا عليه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بمجال تخصصه في علم التشريح وبعد أن أجاب على تساؤلاتنا قال:

ـ نحن كذلك يوجد في كتبنا البوذية المقدسة أوصافاً لأطوار الجنين.

● نحن في شوق لأن نقف على ما جاء في تلك الكتب في لقائنا القادم.

في العام التالي عندما جاء ممتحناً خارجيّاً لطلاب كلية الطب بجامعة الملك عبدالعزيز سألناه عما وعدنا به وفي أمانة علمية جديرة بالاحترام أجاب:

ـ أقدم لكم اعتذارى عن معلوماتي السماعية لقد أجبتكم دون أن أتأكد من هذه المعلومات ولكني بالرجوع إلى تلك الكتب لم أجد شيئاً حول ذلك الموضوع.

عندئذٍ قدمنا له محاضرة كان قد أعدها البرفيسور كيث مور أستاذ علم التشريح بجامعة تورنتو بكندا وعنوانها مطابقة علم الاجنة لما في القرآن والسنة وسألناه:

● **هل تعرف البرفيسور مور؟**

ـ بالطبع إنه من كبار العلماء المشهورين في هذا التخصص وهو مرجع عالمي وإني لمندهش مما سجله هنا في هذه المحاضرة.

ثم سألناه عدداً من الأسئلة في مجال تخصصه كان من بينها ذلك السؤال المتعلق بالجلد:

---

(1) البروفيسور تيجاتات تيجاسون رئيس قسم علم التشريح في جامعة شيانك مي، تايلند وقد أدلى بشهادته بأن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر من بشر وبعد ذلك نطق بالشهادتين.
شهادته المصورة: http://alhakekah.com/aduio/tejasen-1-56k[1].ram

● هل هناك مرحلة ينعدم عندها الإحساس بألم الحرق؟؟

- نعم إذا كان الحرق عميقاً ودمر عضو الإحساس بالألم.

● حسناً ما رأيك إذن أن القرآن الكريم الذي عند تاريخ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم لأكثر من ألف وأربعمائة عام. قد أشار إلى تلك الحقيقة العلمية عندما ذكر الطريقة التي سيعاقب الله به الكافرين يوم القيامة حيث يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء: ٥٦).

فالقرآن هنا يقرر أنه عندما ينضج الجلد يخلق الله للكفار جلداً جديداً كي يتجدد إحساسهم بالألم وذلك تأكيد من جانب القرآن على أن الأطراف العصبية التي تجعل الإنسان يشعر بالألم موجودة في الجلد.

- هذا أمر يدعو للدهشة والغرابة حقيقة فتلك معرفة مبكرة جداً عن مراكز الإحساس والأعصاب فى الجلد ولا أدري كيف ذكر قرآنكم هذا!!

● ترى أيمكن أن تكون هذه المعلومات قد استقاها محمد نبي الإسلام من مصدر بشري؟

- بالطبع لا ففى ذلك الوقت لم تكن هناك معارف بشرية حول هذا الموضوع.

● من أين إذن وكيف عرف ذلك؟

- المؤكد عندي هو استحالة المصدر البشري، ولكني أسألكم أنتم من أين تلقى محمد صلي الله عليه وسلم هذه المعلومات الدقيقة؟

● من عند الله.

- الله!! ومن هو الله؟

وبعد أن شرحنا له المفهوم الإسلامي للفظ الجلالة الأعظم راقته تلك الرؤية وعاد إلى بلاده ليحاضر عن هذه الظاهرة القرآنية التي عايشها وتأثر بها حتى جاء موعد المؤتمر الطبي السعودي الثامن واستمع في الصالة الكبرى التي خصصت للإعجاز على مدى أربعة أيام لكثير من العلماء ولا سيما غير المسلمين يحاضرون عن ظاهرة الإعجاز العلمي وفي ختام جلسات المؤتمر وقف البروفيسور (تاجاتات تاجاسون) يعلن: بعد هذه الرحلة الممتعة والمثيرة فإني أؤمن أن كل ما ذكر في القرآن الكريم يمكن التدليل على صحته بالوسائل العلمية وحيث إن محمداً نبي الإسلام كان أمياً إذن لابد أنه قد تلقى معلومات عن طريق وحي من خالق عليم بكل شيء وإنني أعتقد أنه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

4 ـ عالم الجيولوجيا الألماني ألفريد كرونير[1]

العالم البروفسيور الفريد كرونير من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم.. حضر مؤتمرا جيولوجيا في كلية علوم الأرض في جامعة الملك عبدالعزيز.. قلت له: هل عندكم حقائق أن جزيرة العرب كانت بساتين وأنهاراً ـ هذه الصحراء التي ترونها كانت قبل ذلك بساتين وحدائق؟ فقال: نعم هذه مسألة معروفة عندنا.. وحقيقة من الحقائق العلمية وعلماء الجيولوجيا يعرفونها.. لأنك إذا حفرت في أي منطقة تجد الآثار التي تدلك على أن هذه الأرض كانت مروجاً وأنهاراً، والأدلة كثيرة.. فقط لعلمكم منها قرية الفاو التي اكتشفت تحت رمال الربع الخالي.. وهناك أدلة كثيرة في هذا. قلت له: وهل عندك دليل على أن بلاد العرب ستعود مروجا وأنهارا؟.. قال: هذه مسألة حقيقية ثابتة نعرفها نحن الجيولوجيون ونقيسها ونحسبها، ونستطيع أن نقول بالتقريب متى يكون ذلك.. وهي مسألة ليست عنكم ببعيدة وهي قريبة.. قلت: لماذا؟ قال: لأننا درسنا تاريخ الأرض في الماضي فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة من ضمن هذه الأحقاب المتعددة.. حقبة تسمى العصور الجليدية. وما معنى العصر الجليدي؟ معناه: أن كمية من ماء البحر تتحول إلى ثلج وتتجمع في القطب المتجمد الشمالي ثم تزحف نحو الجنوب وعندما تزحف نحو الجنوب تغطي ما تحتها وتغير الطقس في الأرض، ومن ضمن تغيير الطقس تغيير يحدث في بلاد العرب، فيكون

(1) البروفيسور ألفريد كرونير أحد أكبر جيولوجي العالم المشاهير، وهو أستاذ علم طبقات الأرض ورئيس قسم علم طبقات الأرض في معهد جوسيينسيس، جامعة يوهانز جوتينبيرج، ميتر، ألمانيا. قال: من أين جاء محمد بهذا؟!.. أعتقد إنه من شبه المستحيل بأنه كان من الممكن أن يعرف حول هذه الأشياء مثل الأصل المشترك للكون، لأن العلماء اكتشفوا ذلك فقط ضمن السنوات القليلة الماضية، بالطرق التقنية المعقّدة والمتقدّمة جدا.

وشهادته المصورة هذه:

الجزء الأول: http://alhakekah.com/aduio/moore-1-56k[1].ram

الجزء الثاني: http://alhakekah.com/aduio/moore-2-56k[1].ram

الطقس باردا، وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم أمطاراً وأنهاراً. وكنت أربط بين السيول والأمطار في منطقة أبها وبين تلك التي تحدث في شمال أوروبا وأنا أتأمل فيما يقول، قلت له: تؤكد لنا هذا. قال: نعم هذه حقيقة لا مفر منها! قلت له: اسمع من أخبر محمدا صلى الله عليه وسلم بذلك، هذا كله مذكور في حديث رواه مسلم يقول صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً» من قال لمحمد صلى الله عليه وسلم أن أرض العرب كانت مروجاً وأنهاراً؟! ففكر وقال: الرومان.. فقلت له: ومن أخبره بأن أرض العرب ستعود مروجاً وأنهاراً.. ففكر وفكر وقال: (فيه فوق!!) وهنا قلت له: اكتب.. فكتب بخطه لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسنة ولم نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة وهذا يدل على أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي.

قال الزنداني: أيها الإخوة الكرام: هذا موقف الملحد الكبير الألماني وقد تضاعف شعوري بمسئولية الأمة الإسلامية أمام دينها، وأنا أرى قيادات العالم الكبار ما أن تقوم لهم الحقائق حتى يسلموا.. ليس فقط يسلمون بل وينشرون ويكتبون في كتبهم دون مبالاة. فقلت في نفسي: لو أن هناك عملاً جادّاً من أمة الإسلام ومن الجامعات فلن تمر عشر سنوات إلا وثلث علماء الأرض فى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة من المسلمين. والله هذا الألماني مامر بيني وبينه سوى ساعتين ونصف ساعة حتى قال هذا كله.. وهذا عملاق من عمالقة العلم. ويكتب هذا ويقره وهذا يدل على أن هناك علما واحدا وحقيقة واحدة وإلها واحدا وأن هناك حركة وعملا من المسلمين وجد أن بيدنا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إن هذا العصر عصر خضع فيه كل شيء للعلم، ولكننا في بدايات عصر خضوع العلم للإسلام وللقرآن الحق قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة فصلت: ٥٣).

5 ـ الدكتور الفرنسي علي سليمان بنوا[1]

يقول عن نفسه:

ـ أنا دكتور في الطب وأنتمي إلى أسرة فرنسية كاثوليكية. وقد كان لاختياري لهذه المهنة أثره في انطباعي بطابع الثقافة العلمية البحتة وهي لا تؤهلني كثيرا للناحية الروحية.

لا يعني هذا أنني لم أكن أعتقد في وجود إله، إلا أنني أقصد أن الطقوس الدينية النصرانية عموما والكاثوليكية بصفة خاصة، لم تكن لتبعث في نفسي الإحساس بوجوده، وعلى ذلك فقد كان شعوري الفطري بوحدانية الله يحول بيني وبين الإيمان بعقيدة التثليث، وبالتالي بعقيدة تأليه عيسى المسيح.

كنت قبل أن أعرف الإسلام مؤمنا بالقسم الأول من الشهادتين (لا إله إلا الله) وبهذه الآيات من القرآن:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ (سورة الإخلاص).

لهذا فإنني أعتبر أن الإيمان بعالم الغيب وماوراء المادة هو الذي جعلني أدين بالإسلام. على أن هناك أسبابا أخرى حفزتني لذلك أيضا، منها مثلا، أنني لاأستسيغ دعوى الكاثوليك أن من سلطانهم مغفرة ذنوب البشر نيابة عن الله، ومنها أنني لا أصدق مطلقا ذلك الطقس الكاثوليكي عن العشاء الرباني والخبز المقدس، الذي يمثل جسد عيسى، ذلك الطقس الطوطمي الذي يماثل ماكانت تؤمن به العصور الأولى البدائية، حيث كانوا يتخذون لهم شعارا مقدسا، يحرم عليهم الاقتراب منه، ثم يلتهمون جسد هذا المقدس بعد موته حتى تسري فيهم روحه!

---

(1) المصدر: كتاب (لماذا أسلمنا؟) تأليف: عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني.

ومما كان يباعد بيني وبين النصرانية، أنها لا تحوي في تعاليمها شيئاً يتعلق بنظافة وطهارة البدن، لا سيما قبل الصلاة، فكان يخيل لي أن في ذلك انتهاكا لحرمة الرب، لأنه كما خلق لنا الروح فقد خلق لنا الجسد كذلك، وكان حقا علينا ألا نهمل أجسادنا.

ونلاحظ كذلك أن النصرانية التزمت الصمت فيما يتعلق بغرائز الإنسان الفسيولوجية، بينما نرى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي ينفرد بمراعاة الطبيعة البشرية.

أما مركز الثقل والعامل الرئيسي في اعتناقي للإسلام، فهو القرآن. بدأت قبل أن أسلم، في دراسته.. وأني مدين بالشيء الكثير للكتاب العظيم الذي ألفه مستر مالك بن نبي واسمه «الظاهرة القرآنية» فاقتنعت بأن القرآن كتاب وحي منزل من عند الله.

إن من بين آيات هذا القرآن الذي أوحى الله به منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ما يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية.

كان هذا كافيا لاقناعي وإيماني بالقسم الثاني من الشهادتين (محمد رسول الله).

وهكذا تقدمت يوم 20 فبراير سنة 1953م إلى المسجد في باريس وأعلنت إيماني بالإسلام وسجلني مفتي مسجد باريس في سجلات المسلمين وحملت الاسم الجديد «علي سليمان».

إنني أشعر بالغبطة الكاملة في ظل عقيدتي الجديدة وأعلنها مرة أخرى «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله».

6 ـ العالم المجري عبدالكريم جرمانيوس

نبذة عنه:

عالم مجري، وصفه العقاد بأنه: «عشرة علماء في واحد».

أتقن ثماني لغات وألف بها، وهي العربية والفارسية والتركية والأوردية والألمانية والمجرية والإيطالية والإنجليزية.

وكان عضواً في مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد والرباط، وله أكثر من مائة وخمسين كتاباً بمختلف اللغات.

منها كتاب «معاني القرآن».. و«شوامخ الأدب العربي».. و«الله أكبر».. و«الحركات الحديثة في الإسلام».

يقول الدكتور عبدالكريم جرمانوس:

«حَبّب لي الإسلام أنه دين الطهر والنظافة: نظافة الجسم والسلوك الاجتماعي والشعور الإنساني، ولا تستهن بالنظافة الجسمية فهي رمز ولها دلالتها»(1).

«كم ألَفت في قلوب المسلمين كنوزاً تفوق في قيمتها الذهب، فقد منحوني إحساس الحب والتآخي، ولقّنوني عمل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

وعلى المسلمين أن يعضّوا بالنواجذ على القيم الخلقية التي يمتازون بها، ولا ينبهروا ببريق الغرب، لأنه ليس أكثر من بريقٍ خاوٍ زائف»(2).

---

(1) د. محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (421/2).

(2) محمد عثمان: هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام، ص 35.

الإسلام دين الحضارة:

«لا يوجد في تعاليم الإسلام كلمة واحدة تعوق تقدم المسلم، أو تمنع زيادة حظه من الثروة أو القوة أو المعرفة..

وليس في تعاليم الإسلام ما لا يمكن تحقيقه عمليا، وهي معجزة عظيمة يتميز بها عن سواه، فالإسلام دين الذهن المستنير، وسيكون الإسلام معتقد الأحرار».

ويكتشف جرمانوس العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية وبين الإسلام، ويتعلق بلغة القرآن إلى درجة الهيام بها، فيقول:

«لقد تمنيت أن أعيش مائة عام، لأحقق كل ما أرجوه لخدمة لغة القرآن الكريم، فدراسة لغة الضاد تحتاج إلى قرن كامل من الترحال في دروب جمالها وثقافتها»[3].

مقالة عنه من كتاب (الإسلام والعرب، الوجه الآخر- حسن السعيد):

الحاج عبدالكريم جرمانوس مستشرق مجريّ وعالِم، طبقت شهرته آفاق العالم. وُلد في بودابست، وتعلّم اللّغات العربيّة: اليونانيّة، واللّاتينيّة، والإنجليزية، والفرنسيّة، والإيطاليّة، والمجريّة، ومن اللّغات الشرقيّة: الفارسيّة والأورديّة، وأتقن العربيّة والتركيّة على أستاذيه: فامبيري، وغولد زيهر اللّذين ورث عنهما ولَعهما بالشرق الإسلاميّ. ثمّ تابع دراستهما بعد عام 1905م في جامعتي استانبول وفينّا. وصنّف كتاباً بالألمانيّة عن الأدب العثمانيّ (1906)، وآخر عن تاريخ أصناف الأتراك في القرن السابع عشر، فنال عليه جائزة مكّنته من قضاء فترة مديدة في لندن، حيث استكمل دراسته في المتحف البريطانيّ.

وفي عام 1912م عاد إلى بودابست، فعُيِّن أستاذاً للّغات العربيّة والتركيّة

(3) محمد عثمان: هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام، ص 36.

والفارسيّة، وتاريخ الإسلام وثقافته في المدرسة العليا الشرقيّة. ثمّ في القسم الشرقيّ من الجامعة الاقتصاديّة، ثمّ أستاذاً ورئيساً للقسم العربيّ في جامعة بودابست (1948)، وظلّ يقوم فيه بتدريس اللّغة العربيّة، وتاريخ الحضارة الإسلامية، والأدب العربي قديمه وحديثه، محاولاً إيجاد حلقات اتصال بين نهضات الأُمم الإسلاميّة الاجتماعيّة والسيكولوجيّة، حتّى أُحيل على التقاعد (1965). ودعاه «طاغور» إلى الهند أستاذاً للتاريخ الإسلاميّ، فعلمه في جامعات دلهي، ولاهور، وحيدر آباد (1929 ـ 1932)، وهناك أشهر إسلامه في مسجد دلهي الأكبر، وألقى خطبة الجمعة، وتسمّى بـ «عبدالكريم». وقدم القاهرة وتعمّق في دراسة الإسلام على شيوخ الأزهر، ثم قصد مكّة حاجّاً وزار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وصنّف في حجّته كتابه: الله أكبر، وقد نُشر في عدّة لغات (1940)، وقام بتحرِّيات علميّة (1939 ـ 1941) في القاهرة والسعودية نشر نتائجها في مجلّدين: شوامخ الأدب العربي (1952)، ودراسات في التركيبات اللّغوية العربيّة (1954).

وفي ربيع عام 1955 عاد ليقضي بضعة أشهر في القاهرة والإسكندريّة ودمشق بدعوة من الحكومة ليحاضر بالعربيّة عن الفكر العربيّ المعاصر، وعن صور من الأدب المجريّ، ثمّ رجع إلى الشرق العربيّ في شتاء 1958، لاستكمال مصادر كتابه الجديد عن أدبائه المعاصرين. والذي صدرت بعض فصوله، وفيها قصص الكتّاب المعاصرين. وقد انتخب عضواً في المجمع الإيطالي (1952)، ومراسلاً للمجمع اللّغويّ بالقاهرة (1956)، وفي المجمع العلميّ العراقي (1962).

إرهاصات اعتناقه الإسلام:

يروي الدكتور «عبد الكريم جرمانوس» خلفيّات اهتدائه إلى الإسلام فيقول:

ـ «كان ذلك في عصر يوم مطير، وكنتُ ما أزال في سنّ المراهقة، عندما

كنتُ أقلّب صحائف مجلّة مصورّة قديمة، تختلط فيها الأحداث الجارية مع قصص الخيال، مع وصف لبعض البلاد النائية؛ بقيت بعض الوقت أقلّب الصحائف في غير اكتراث إلى أن وقعت عيني فجأة على صورة لوحة خشبيّة محفورة استرعت انتباهي، كانت الصورة لبيوت ذات سقوف مستوية تتخلّلها هنا وهناك قباب مستديرة ترتفع برفق إلى السماء المظلمة التي شقّ الهلال ظلمتها.. ملكت الصورة عليَّ خيالي.. وأحسستُ بشوق غلاّب لا يقاوم إلى معرفة ذلك النور الذي كان يُغالب الظّلام في اللّوحة.. بدأتُ أدرس اللّغة التركيّة، ومن ثمّ الفارسيّة فالعربيّة وحاولت أن أتمكّن من هذه اللّغات الثلاث حتّى أستطيع خوض هذا العالم الروحيّ الذي نشر هذا الضوء الباهر على أرجاء البشريّة».

وفي إجازة صيف كان من حظّه أن يُسافر إلى البوسنة وهي أقرب بلد شرقيّ إلى بلاده.. وما كاد ينزل أحد الفنادق حتّى سارع إلى الخروج لمشاهدة المسلمين في واقع حياتهم.. حيث خرج بانطباع مُخالف لما يُقال حول المسلمين.. وكان هذا هو أوّل لقاء مع المسلمين. ثمّ مرّت به سنوات وسنوات في حياة حافلة بالأسفار والدراسات، كان مع مرور الزّمن تتفتّح عيونه على آفاق عجيبة وجديدة.

ورغم طوافه الواسع في دنيا الله، واستمتاعه بمشاهدة روائع الآثار في آسيا الصغرى وسوريا، وتعلّمه اللّغات العديدة وقراءاته لآلاف الصفحات من كتب العلماء، قرأ كلّ ذلك بعين فاحصة: "ورغم كلّ ذلك فقد ظلّت روحي ظمأى" كما يقول.

أثناء وجوده في الهند، وفي ذات ليلة رأى ـ كما يرى النائم ـ كأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبه بصوت عطوف: "لماذا الحيرة؟ إنّ الطريق المستقيم أمامك مأمون ممهّد مثل سطح الأرض. سرْ بخطى ثابتة وبقوّة الإيمان".. وفي يوم الجمعة التالية، وقع الحدث العظيم في مسجد الجمعة في دلهي.. حينما أشهر إسلامه على رؤوس الأشهاد..

وعن تلك اللّحظات المفعمة بالأحاسيس يتذكّر "الحاج عبدالكريم جرمانوس" فيقول: "كان التأثّر والحماس يعمّان المكان، ولا أستطيع أن أتذكّر ماذا كان في ذلك الحين.. وقف الناس أمامي يتلقّفونني بالأحضان. كم من مسكين مجهد نظر إليَّ في ضراعة، يسألني "الدعوات" ويريد تقبيل رأسي، فابتهلتُ إلى الله أن لا يدع هذه النفوس البريئة تنظر إليِّ وكأنِّي أرفع منها قدراً، فما أنا إلاّ حشرة من ملايين حشرات الأرض، أو تائه جادّ في البحث عن النور، لا حول لي ولا قوة، مثل غيري من المخلوقات التعيسة.. لقد خجلتُ أمام أنّات وآمال هؤلاء الناس الطيِّبين.. وفي اليوم التالي وما يليه كان الناس يفدون عليَّ في جماعات لتهنئتي، ونالني من محبّتهم وعواطفهم ما يكفيني زاداً مدى حياتي.

من آثاره:

إضافة إلي ما ورد في ثنايا البحث، من عناوين مؤلّفاته، فقد ترك تراثاً علميّاً زاخراً بالعمق والتنوّع: قواعد اللّغة التركيّة (1925)، والثورة التركيّة، والقوميّة العربيّة (1928)، والأدب التركيّ الحديث (1931)، والتيّارات الحديثة في الإسلام (1932)، واكتشاف الجزيرة العربيّة وسوريا والعراق وغزوها (1940)، ونهضة الثقافة العربيّة (1944)، ودراسات في التركيبات اللّغوية العربيّة (1954)، وابن الروميّ (1956)، وبين المفكِّرين (1958)، ونحو أنوار الشرق، ومنتخب الشعراء العرب (1961)، وفي الثقافة الإسلامية، وأدب المغرب (1964)، وكان يعدّ ثلاثة كتب عن: أدب الهجرة والرحّالة العرب وابن بطّوطة، وتاريخ الأدب العربيّ.

7ـ عالم الاجتماع الإنجليزي حسين روف

يلاحظ المتتبع لحركة انتشار العقيدة الإسلامية، في الدول الأوربية والأمريكية، أن نسبة كبيرة من الذين استجابوا لدعوتها في هذه الدول، من علماء الاجتماع، والعاملين في مجالات الإصلاح الاجتماعي وذلك لما تتطلبه الدراسات التي يتناولها أولئك العلماء والمصلحون الاجتماعيون من تعرض دائم للعقائد والمذاهب الاجتماعية، وخاصة من حيث تأثيرها في المجتمعات، وقدرتها على معالجة المشكلات التي تعرض للأفراد والجماعات والإسهام في تخفيف حدتها، والارتقاء بالقيم والسلوكيات الاجتماعية.

وفي معرض هذه الدراسات التي تستخدم فيها طريقة التحليل، وأسلوب الموازنة والمقارنة تتجلى أهداف الإسلام السامية، وفضائله الكبرى فتجتذب النفوس العاقلة، وتتفتح لها القلوب الواعية.

وكان "حسين روف" واحداً من الاجتماعيين الإنجليز، الذين درسوا الأديان والمذاهب الاجتماعية المختلفة، دراسة متأنية متعمقة فبهرته عظمة الإسلام، وسمو أهدافه ومبادئه، وقدرته الخارقة على مواجه المتاعب والمشكلات التي يعانيها الأفراد والمجتمعات، وملاءمته العجيبة لمختلف البيئات والحضارات على تباينها واختلافها.

وكان طبيعيّاً أن يبادر إلى اعتناق هذا الدين الحنيف، والدعوة ـ بكل طاقته ـ إليه، وتبصير مواطنيه بمبادئه وأهدافه، وتفنيد ما يوجهه إليه أعداؤه ـ كذباً وبهتاناً ـ من تُهَم باطلة.

وقد بدأ "روف" بدراسة عقيدتي أبويه... وكان أحدهما مسيحياً والآخر يهوديّاً... ثم انتقل إلى دراسة العقيدة الهندوسية، وفلسفتها، وخاصة تعاليمها

الحديثة عند "يوبانيشادو فيدانتا"... ثم درس العقيدة البوذية، مع مقارنتها ببعض المذاهب اليونانية القديمة. كما درس بعض النظريات والمذاهب الاجتماعية الحديثة، وخاصة أفكار الفيلسوف الروسي "تولستوي".

ومن العجيب حقّاً أن اهتمامه بدراسة الإسلام جاءت متأخرة، بالنسبة للأديان والعقائد الأخرى، برغم إقامته في بعض البلاد العربية... وكان أول تعرّف له عليه خلال قراءاته لترجمة للقرآن الكريم وضعها «رودويل» إلا أنه لم يتأثر بها، لأنها لم تكن ترجمة أمينة صادقة، وكان شأنها في ذلك شأن كثير من الترجمات المماثلة التي يشوبها الجهل أو الأغراض العدائية والتي صدرت بعدة لغات أجنبية.

غير أنه ـ لحسن حظه ـ التقى بأحد الدعاة المثقفين إلى الإسلام، الذين يتقدون حماساً له، وإخلاصاً في تبليغه للناس، فقام بتعريفه لبعض حقائق الإسلام، وأرشده إلى إحدى النسخ المترجمة لمعاني القرآن الكريم، ترجمها أحد العلماء المسلمين، وأضاف إليها تفسيراً واضحاً مقنعاً بُني على المنطق والعقل، فضلاً عن توضيح المعاني الحقيقية التي تعجز عن إبرازها اللغة الإنجليزية... كما أرشده إلى بعض الكتب الإسلامية الأخرى التي تتسم بالصدق والبرهان الساطع... فأتاح له كل ذلك أن يُكوّن فكرة مبدئية عن حقيقة الإسلام قد أثارت رغبته في الاستزادة من المعرفة به وبمبادئه وأهدافه عن طريق المصادر العلمية غير المغرضة.

وقد أكدت صلاته ببعض الجماعات الإسلامية، ودراسة لأحوالهم عن كثب، ومدى تأثير الإسلام في سلوكهم وروابطهم، فكرته المبدئية عن عظمة الإسلام، فآمن به كل الإيمان...

تعالوا معنا نستمتع بما قاله في وصفه لتلك التجربة التي شجعته على اعتناق هذا الدين الحنيف:

ـ «ذات يوم من عـام 1945 دُعيت لمشـاهدة صلاة العيد، وتناول الطعـام بعد الصـلاة، فكان في ذلك مناسـبـة طيبـة لأرى عن كـثب ذلك الحـشـد العـالمي من مختلف بلاد العالم، ومختلف الطبقات الاجتماعية، ومن مختلف الألوان... هناك قابلت أميراً تركيّاً وإلى جواره كثير من المعدمين، جلسوا جميعاً لتناول الطعام معاً، لا تلمح في وجوه الأغنياء امتعاضاً أو تظاهراً كاذباً بالمساواة، كذلك الذي يبدو على الرجل الأبيض في حديثه إلى جاره الأسود، ولا ترى بينهم من يعتزل الجماعة أو ينتحي فيها ركناً قصيّاً، كما لا تلمح بينهم ذلك الشعور الطبقي السخيف الذي يمكن أن يتخفى وراء أستار مزيفة من المساواة».

ثم استطرد يقول:

"ليس هناك مجال لشرح كل أمور الحياة التي وجدت في شرائع الإسلام من حلول، لم أجده في غيره، ويكفي أن أقول إنني ـ بعد تفكير وتدبر ـ رأيتني أهتدي إلى الإيمان بهذا الدين، بعد دراستي لجميع الأديان الأخرى المعروفة في العالم، بدون أن أقتنع بأي واحد منها".

ثم مضى في بيان سبب إسلامه، فقال:

"قد بينتُ فيما ذكرت، لماذا أصبحت مسلماً، ولكن ذلك لا يكفي مطلقاً لبيان دواعي فخري واعتزازي بذلك، فإن هذا الشعور نما وازداد مع مرور الزمن وازدياد تجاربي... فقد درست الحضارة الإسلامية في جامعة إنجليزية، وأدركت لأول مرة أنها ـ وبكل تأكيد ـ هي التي أخرجت أوربا من العصور المظلمة واستقرأت التاريخ، فرأيت أن كثيراً من الإمبراطوريات العظيمة كانت إسلامية، وأن كثيراً من العلوم الحديثة، يعود الفضل فيها إلي الإسلام....

ولما جاء بعض الناس ليقول لي: إني باعتناقي الإسلام أكون قد سلكتُ طريق التخلف، ابتسمت سخرية لجهلهم، وخلطهم بين المقدمات والنتائج".

ثم تساءل قائلاً:

ـ "هل يجوز للعالم أن يحكم على الإسلام بمقتضى ما أصابه من انحلال لظروف خارجة عنه؟... وهل يجوز الحط من قيمة الفن العظيم الذي صاحب عصر النهضة الأوربية، بسبب اللوحات الممسوخة في أرجاء المعمورة في أيامنا هذه؟.. حسبنا أن نعلم أن أعظم العقول وأكثرها تقدماً في جميع العصور كانت كلها تنظر بكل تقدير إلى الثقافة الإسلامية، التي لا تزال أكثر لآلئها مكنوزة لم يتوصل الغرب بعد إليها".

ثم أشاد بأخلاق المسلمين الحقيقيين وكرمهم، وقدرة الإسلام على علاج مشكلة التفاوت الاجتماعي بقوله:

"لقد سافرت إلى أقطار كثيرة في أنحاء المعمورة، وأُتيحت لي الفرصة لأرى كيف يستقبل الغريب في كل مكان، وأن أعرف كيف يكون إكرامه أول ما يخطر على البال.. وكيف يكون التصرف معه؟.. وعن الفائدة التي قد تأتي من مساعدته، فلم أجد غير المسلمين من يدانيهم في إكرام الغريب والعطف عليه من غير مقابل...

8 ـ المفكر الإنجليزي مارتن لنجز

كان يدين بالمسيحية شأن أسرته التي لا تعرف عن الدين شيئاً إلا أنها مسيحية بالوراثة.. وهكذا نشأ وهو خالي النفس من أية عقيدة يؤمن بها حق الإيمان.. ولكن بدأت سمات نضجه الفكري تتضح بعد حصوله على شهادة الـ "A-B" في الآداب الإنجليزية حيث كان يدرس الأدب الإنجليزي في جامعة "أكسفورد" إنجلترا.. فقد أخذ ينقب في كتب التراث عن الديانات المنتشرة في العالم ليقرأ عنها جميعاً، فاستوقفه دين الإسلام كشريعة لها منهاج يتفق مع المنطق والعقل، وآداب تستسيغها النفس والوجدان، فاستشعر حينئذ أنه قد وجد نفسه مع هذا الدين الذي يتفق مع فطرة الإنسان حيث يعبر عن ذلك بقوله:

«لقد وجَدتُ في الإسلام ذاتي التي افتقدتها طوال حياتي، وأحسست وقتها أني إنسان لأول مرة، فهو دين يرجع بالإنسان إلى طبيعته حيث يتفق مع فطرة الإنسان».

ثم أردف قائلاً ـ وقد أنارت الابتسامة وجهه:

«شاء الله لي أن أكون مسلماً، وعندما يشاء الله فلا رَادَّ لقضائه.. وهذا هو سبب إسلامي أولاً وقبل كل شيء».

ويذكر أنه قد أشهر إسلامه على يد شيخ جزائري اسمه الشيخ "أحمد العلوي"، التقى به في سويسرا التي كان يعمل بها مدرساً، بعدها قام بتغيير اسمه من "مارتن لنجز" إلى اسم "أبي بكر سراج الدين".

ثم ماذا...؟ هل هناك أسباب أو دوافع أخرى وراء اعتناقه الإسلام؟.. يهز برأسه ويرد قائلاً: نعم.. إن ما أثر عليَّ وجعلني أهتم بالإسلام هي كتب مؤلف كبير كان مثلي اعتنق الإسلام وأصبح من قمم المتصوفة، إنه الشيخ "عبدالواحد

يحيي".. لقد تأثرت بكتبه التي صنفها عن الإسلام، حتى إنني لم أقرأ كتباً من قبل في مثل عظمة كُتُبه، مما دفعني لأن أسعى لمقابلة مَن كان سبباً في إسلامي، فجئت إلى مصر حيث كان يعيش فيها وقتئذ".

ثم يضيف فيقول: "لقد استفدت منه كثيراً.. فقد كان بحق عالماً عاملاً بعلمه.. وأكثر ما تعلمته منه الزهد في الدنيا وهو ما تسمونه أنتم «التصوف»".

هل أنت متصوف؟ سؤال يُطرح عليه ليجيب عنه بقوله:

«نعم.. ولكن مفهومي للتصوف أنه ليس انعزالاً عن الدنيا، ولكنه أخذٌ بأسباب الحياة في الظاهر، والإعراض عنها بالقلب».

ثم يصمت برهة ليوضح بعدها ما يعنيه فيقول: «إن الرسول محمدًا (صلى الله عليه وسلم) لخص معنى التصوف كله في حديثه الشريف: (كُن في الدُّنيا كأنَّك غَريبٌ أو عابر سبيل).. أو ما قاله في حديث شريف آخر: (.. إنَّما أنا والدنيا كَراكب استظل تحت شجرة ثمَّ راح وتركها).. هذا هو مفهوم التصوف الذي تعلمته من الشيخ عبدالواحد يحيى».

ولكن إلى أي شيء قَادَك التصوف؟.. سؤال آخر يُطرح عليه ليجيب عنه أيضاً على الفور في تحمس المتيقن بالإيمان:

«إلى العبودية الخالصة لله».

هذا هو المفكر البريطاني المسلم الدكتور "أبو بكر سراج الدين" الذي كان يدين بغير الإسلام، ثم هداه الله للحنيفية السمحاء فاعتنق الإسلام عن اقتناع تام.. ثم علا بإيمانه فزهد في الدنيا، وأصبح متصوفاً في مجتمعات تموج بالفتن وإغراء الملذات.. وتفرغ للدعوة إلى الله في بلاده، يحدوه الإيمان العميق بأن المستقبل للإسلام الذي هو الدين الحق المرسل لكل بقاع الأرض.

9 ـ الكاتب الأمريكي مايكل ولفي سيكتر[1]

مايكل وُلفي: «أمضيت في مراكش فترة لتعلم مناسك الحج وكان المسلمون هناك كرماء معي».

كانت الرحلة الإيمانية التي قادت الكاتب الأميركي مايكل وُلفي سيكتر إلى اعتناق الإسلام مختلفة عن الرحلات الإيمانية التي اصطحبناها في ملف «المسلمين الجدد» إذ أن صاحبنا الذي نتابع رحلته الإيمانية اليوم تمثلت فيه الديانات السماوية الثلاث، فأمه مسيحية ووالده يهودي وهو مسلم. فهكذا سنصطحب اليوم سيكتر في رحلته الإيمانية لنتأمل تشعباتها وطرقها المختلفة.

وكان سيكتر الكاتب الأميركي يعلم أنه مهما أوتي من قوة لا يستطيع الوصول إلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة إذا لم يعتنق الإسلام لأن المسجد الحرام يحرم دخوله لغير المسلمين. فكان قراره بعد اعتناقه الإسلام الذهاب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة، ومنها أيضاً مشاهدة الكعبة المشرفة التي يتوجه إليها أكثر من مليار مسلم خمس مرات في اليوم لأداء فرض صلواتهم المكتوبة. ولما كان يعلم سيكتر باستحالة ذهابه إلى زيارة الكعبة بمكة المكرمة قبل إسلامه، فإن إسلامه قد وفر له فرصة سانحة لتحقيق حلمه القديم. من هنا كتب سيكتر كتاباً عن رحلته الإيمانية إلى الحج سماه "الحج إلى مكة" باللغة الانجليزية وصف فيه هذه الرحلة وصفاً دقيقاً. واستعرض فيه كافة الجوانب المهمة المتعلقة بشعائر الحج.

يصف مايكل وُلفي في كتابه "الحج إلى مكة" تمثيل عملية دخول ريتشارد بيرتون خلسة داخل الكعبة في وسط المسجد الحرام بمكة المكرمة بأنه كما يظن

---

(1) إعداد: إمام محمد إمام، بتصرف يسير.

عـمل بطولي وشـجـاع، لأنه عـرض نفسـه للخطر إذا اكـتشف المسلمـون خداعـه لقـتلوه. ولكن مـايكل وُلفي ليس في حـاجـة إلى أن يتنكر أو يتـخـفـى عند دخـول المسجد الحرام والطواف حول الكعبـة المشرفة لأنه مسلم مـخلص لإسـلامه كغيره من المسلمين في هذه المدينة المقدسة.

التخلي عن المسيحية واليهودية:

وتخلى مـايكل وُلفي عن دين أمـه المسـيحي وعن دين والده اليـهودي من أجل اعتناق الدين الإسلامي. فقد صده عن المسيحية الغموض والسرية التي يحيطها القساوسة بالمسيح عليه السلام كما صده عن اليهودية خاصية الدين باليهود. فهكذا وجد أن الإسـلام أكثـر وضوحاً وأرحب دين: فـهو ديـن الله لكل الناس. لذا اختـار مايكل وُلفي ديناً له مرجعية مـحددة، هـي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وأن كتاب الله ليس فيـه تعارض مع المنهج العلمي في محاولة توضيح الخلق والكون.

الإرث الروحي:

وقال مايكل وُلفي إنه عندما أخبـر أحد أصدقائه العرب بإرثه الروحي، حيث إنه ورث المسيحية من أمه واليهودية من والده، ومن ثم اختار هو اعتناق الإسلام. فقال لـه صديقـه العـربي متعـجبـاً "أنت جمعت كل شيء، يقصـد أنه جمع الأديان السماوية الثلاثة في شخصه، مما جعله يتظاهر بالاحتشام والتواضع".

وأضـاف مـايكل وُلفي: إنني أوضـحـت لسنوات طويلة بأنني شـخص عـادي. وأنني شخص ورث من أمه ووالده ديانتين سماويتين، فوجد أن المشكلة ليست مع مـوسى أو مع عيـسى عليـهـما السـلام. وأن حـيـاتي ببـسـاطة وصلت إلى أقـصـى مداهـا مع هاتين الديانتين، وهناك صـوت حـقيـقي ظل يناديني إلى تغـيـيـر ديني وحريص على هدايتي.

رحلة الحج:

ويذهب مايكل وُلفي إلى أنه بعد اعتناقه الإسلام بدأ يفكر جديّاً في تأدية الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً. وهذا الركن يأتي بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان. لذا قررت الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة. وبدأت استعد للسفر إلى مكة المكرمة وأغادر منزلي في كاليفورنيا.

ولم يسافر مايكل وُلفي مباشرة من كاليفورنيا إلى المملكة العربية السعودية، فكان الجزء الأول من كتابه "رحلة إلى الحج" وصفاً لابتهاجه وتهليله وسط المغاربة قبل الانضمام إلى فوج الحج المغربي. وفي مراكش بدأ إجراءات الاستعداد للحج وفقاً لتعاليم دينه الجديد.

وقال مايكل وُلفي: أمضيت في مراكش فترة أتعلم مناسك الحج. وكانت معاملة المسلمين لي طيبة للغاية وعطوفة. كما أنهم كانوا كرماء معي.

دخول المسجد الحرام:

وعندما دخل مايكل وُلفي المسجد الحرام لأول مرة مع حوالي 300 ألف مسلم حاج في وقت واحد لأداء طواف القدوم لم يشعر بشيء سوى رهبة الموقف. وقال: رغم وجود هذا العدد الكبير فإن هدوءاً ساد المكان ولم أشعر بتدافع أو ازدحام. كما أنه قدم في كتابه وصفاً لهذا المشهد الرائع. وكان منتشياً بهذه الأجواء الروحانية العالية أثناء الحج.

كما أن مايكل وُلفي تطرق في كتابه هذا إلى وصف العمران والتوسعة التي شهدها المسجد الحرام لاستقبال هذه الأعداد المتزايدة من ضيوف الرحمن.

وحرص مايكل وُلفي على تقديم وصف دقيق للكعبة المشرفة والمسجد الحرام والمشاعر المقدسة ليعطي صورة متكاملة عن البيت العتيق لغير المسلمين،

فلذلك أكثر من الوصف والرسم لشرح تفصيلي لبيت الله الحرام وبتركيز على الكعبة المشرفة وطواف الأشواط السبعة حولها. ولكنه كان يتمنى لو أتيح له رؤية الكعبة من الداخل.

كانت هذه الرحلة الإيمانية إلى الحج بمثابة أمنية لمايكل وُلفي طال انتظارها وتحققت بعد إسلامه، الذي يرى أنه جاء بعد دراسة عميقة، خاصة أنه لم يكن يعاني من خواء روحي، بل أنه كان يعاني من زخم إرث روحي قاده إلى التفكير الجدي الذي في نهاية المطاف أدى إلى اعتناقه الدين الإسلامي بعد دراسة ومقارنة بين الدين الإسلامي والديانات الأخرى، فاطمأن قلبه للإيمان وتحققت تشوقاته لزيارة بيت الله الحرام.

10 ـ العالم والصحفي والمؤلف الألماني الدكتور حامد ماركوس

منذ طفولتي وأنا أشعر بدافع في داخل نفسي لدراسة الإسلام ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، وعنيت بقراءة نسخة مترجمة للقرآن في مكتبة المدينة التي نشأت فيها، وكانت هي الطبعة التي حصل منها "جوته" على معلوماته عن الإسلام.

أخذ مني الإعجاب كل مأخذ لما رأيته في هذا القرآن من أسلوب عقلي رائع في نفس الوقت الذي يفرض فيه التعاليم الإسلامية، كما أدهشني تلك الروح الثابرة الوثابة العظيمة التي أثارتها وأذكتها هذه التعاليم في قلوب المسلمين الأوائل.

ثم أتيحت لي في برلين فرصة العمل مع المسلمين والاستماع إلى الأحاديث الحماسية المثيرة التي كان يقدمها مؤسس أول جمعية إسلامية في برلين ومنشئ مسجد برلين، عن القرآن الكريم، وبعد سنوات من التعاون العملي مع هذه الشخصية الفذة لمست فيها ما يبذله من ذات نفسه وروحه، آمنت بالإسلام، إذ رأيت في مبادئه السامية والتي تعتبر القمة في تاريخ الفكر البشري، ما يكمل آرائي شخصياً.

والإيمان بالله عقيدة أصيلة في دين الإسلام، ولكنه لا يدعو إلى مبادئ أو عقائد تتنافى مع العلم الحديث، وعلى هذا فليس ثمت تناقض ما بين العقيدة من جانب وبين العلم من الجانب الآخر، وهذه ولا شك ميزة عظيمة فريدة في نظر رجل أسهم بكل طاقته في البحث العلمي.

وميزة أخرى يمتاز بها الدين الإسلامي، تلك أنه ليس مجرد تعاليم نظرية صماء تسير على غير بصيرة وعلى هامش الحياة، إنما هو يدعو إلى نظام

تطبيقي يصبغ حياة البشر، وقوانين الإسلام ليست بالتعاليم الجبرية التي تحتجز الحريات الشخصية، ولكنها توجيهات وإرشادات تؤدي إلى حرية فردية منظمة.

ومع توالي السنين كنت أزداد اقتناعاً بما يتبين لي من الأدلة على أن الإسلام يسلك أقوم سبيل في الملاءمة بين شخصية الفرد وشخصية الجماعة ويربط بينهما برباط قوي متين إنه دين الاستقامة والتسامح، إنه دائم الدعوة إلى الخير، يحض عليه ويرفع من شأنه في جميع الأحوال والمناسبات.

11 ـ المؤلف والروائي والشاعر البريطاني ويليام بيكارد

(ويليام بيكارد حاصل على شهادة البكالوريوس في الفنون والآداب (كانتاب)، والدكتوراه في الأدب (لندن)، وهو مؤلِّفٌ واسع الشهرة. من ضمن أعماله: ليلى والمجنون، ومغامرات القاسم، والعالم الجديد، ومؤلَّفاتٌ أخرى).

قالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"».

لم أُدرك حقيقة أنِّي وُلِدت على فطرة الإسلام إلا بعد مضيٍّ العديد من السنين. ففي المدرسة والجامعة كنت مشغولاً ـ وربما بقوَّة ـ بقضايا اللحظة الآنيَّة وشؤونها. لم أكن أعتبر مهنتي في تلك الأيام مهنةً لامعة، ولكنَّها كانت في تطوُّر. ووسط محيط مسيحيٍّ تعلَّمت عن الحياة الطيِّبة، وكان الإيمان بالله تعالى والعبادة والحق من الأمور الَّتي تسرُّني. وإن كنت أُقدِّس أيَّ شيءٍ فإنَّ ذلك كان هو النُّبل والشَّجاعة.

أنا القادم من كامبريدج، ذهبت إلى أواسط أفريقيا، حيث حصلت على تعيينٍ في إدارة الوصاية على أوغندا. كان وجودي هناك ممتعاً ومثيراً أكثر مما كنت أحلم به في بريطانيا، وكنت مجبراً ـ تبعاً للظروف المحيطة ـ أن أعيش وسط الأخوة السوداء من الإنسانيَّة، ويمكنني القول بأنِّي تعلَّقت بهم بمحبةٍ بسبب بساطة نظرتهم السعيدة للحياة. لقد شدَّني الشَّرق دائماً. ففي كامبريدج قرأت "الليالي العربيَّة"؛ ووحيداً في أفريقيا قرأت "الليالي العربيَّة"؛ ووجودي في تجوالٍ موحشٍ في أوغندا لم يقلل من عزة الشرق في نفسي.

ثم ـ وبعد تحطُّم حياتي الهادئة في الحرب العالمية الأولى ـ عدت أدراجي مسرعاً تجاه الوطن في أوروبا؛ وساءت صحَّتي. ومع استعادة صحَّتي تطوَّعت

للجيش، لكنَّ طلبي رُفض على أُسسٍ صحيَّة. لذلك عملت على تقليل الخسائر وسجَّلت في «الجندرمة» ـ بعد أن عملت بطريقةٍ ما على اجتياز الفحص الطبِّي ـ وشعرت بالرَّاحة حين تسلَّمت بدلتي العسكريَّة كجنديٍّ في فرقةٍ للمشاة. خدمت حينئذٍ في الجبهة الغربيَّة في فرنسا، واشتركت في معركة "السوم" سنة 1917، حيث جُرحت وأُسرت. نُقلت عبر بلجيكا إلى ألمانيا حيث كنت في المشفى. وفي ألمانيا رأيت الكثير من المعاناة الإنسانيَّة، وخاصَّةً الرُّوس المصابين بالديزنطاريا. ووصلت إلى حافَّة الموت جوعاً. وكان جُرحي ـ وهو كسرٌ في ساعدي الأيمن ـ لم يُشف بسرعة، فكنت عديم النَّفع للألمان. فأُرسلت إلى سويسرا من أجل عمليَّةٍ جراحيَّة.

أذكر جيِّداً كم كان عزيزاً عليَّ حتى في تلك الأيام حين كنت أفكِّر بالقرآن الكريم. في ألمانيا كنت قد كتبت رسالةً للأهل ليرسلوا لي نسخةً من القرآن الكريم. وعلمت في السنوات اللاحقة أنَّهم أرسلوا لي نسخةً ولكنَّها لم تصلني أبداً.

في سويسرا ـ وبعد عمليَّةٍ في ساعدي ـ ورجلي ـ تحسَّنت صحَّتي، فكان بإمكاني الخروج بين الحين والآخر، فاشتريت نسخةً من الترجمة الفرنسيَّة لمعاني القرآن الكريم ـ وهي اليوم من أعز ممتلكاتي ـ وعندئذٍ شعرت بسعادة عظيمة. كان ذلك وكأنَّ شعاعاً من الحقيقة الخالدة قد أشرق عليَّ بالبركة. كانت يدي اليمنى ما تزال غير ذات نفع، فتمرَّنت على كتابة القرآن الكريم بيدي اليسري. وارتباطي بالقرآن الكريم يظهر بوضوح أكبر عندما أقول بأنَّ واحدةً من أشدِّ الذكريات وضوحاً وعزَّة لديّ من كتاب "الليالي العربية" كانت عن فتًى وُجد وحيداً في المدينة البائدة، جالساً يقرأ القرآن الكريم، غافلاً عمَّا يحيط به.

في تلك الأيام في سويسرا، أعدت تسجيل نفسي رسميّاً كمسلم. وبعد توقيع الهدنة عدت إلى لندن، وذلك في شهر كانون الأول من سنة 1918، وبعد ذلك ـ

في عـام 1921 ـ سجَّلت لدراسة الأدب في جامعة لندن. وكان أحد المواضيع الَّتي اخترتها هي اللغة العربيَّة، وكنت أحضر محاضراتها في الكلية الملكيَّة. وكان في يومٍ أن ذكر أستاذي في اللغة العربيَّة ـ السيِّد بلشا من العراق رحمه الله تعالى ـ القرآن الكريم وقال: "إن كنت تؤمن به أم لا، فإنَّك ستجد أنَّه أكثر الكتب إثارةً وأنَّه يستحقُّ الدِّراسة". فأجبت: "أُوه، ولكنِّي أُومن به". فاجأ هذا الجواب أستاذي بشدَّة وأثار اهتمامه،وبعد حديثٍ قصيرٍ دعاني لأُرافقه إلى مسجد لندن في «نوتينغ هيل جيت». وبعد ذلك كنت أحضر للصلاة باستمرار في هذا المسجد لكي أتعلَّم أكثر عن تطبيق الإسلام، إلى أن أعلنت ارتباطي بالأمَّة الإسلامية في رأس السنة الجديدة لعام 1922.

كان هذا قبل ما يقارب الربع قرن. ومنذئذٍ وأنا أعيش حياةً إسلاميَّةً قولاً وعملاً بكلِّ ما في استطاعتي. فقوَّة الله تعالى وحكمته ورحمته ليس لها حدود. وحقول المعرفة تمتدُّ أمامنا إلى ما وراء الأفق وفي حجِّنا خلال هذه الحياة أشعر بيقينٍ أقوى بأنَّ اللباس الوحيد المناسب الَّذي نستطيع لبسه هو الخضوع لله تعالى، وأن نعتمر وعلى رؤوسنا عمامة من الحمد، وأن نملأ قلوبنا حبّاً للخالق الواحد سبحانه وتعالى. والحمد لله ربِّ العالمين.

12 ـ الرسام والمفكر الفرنسي المعروف اتيان دينيه

نبذة عنه:

إيتان دينيه، من كبار الفنانين والرسامين العالميين، دُوّنت أعماله في معجم (لاروس)، وتزدان جدران المعارض الفنية في فرنسا بلوحاته الثمينة، وفيها لوحته الشهيرة (غداة رمضان).. وقد أبدع في رسم الصحراء.

كما ألّف بعد إسلامه العديد من الكتب القيمة، منها كتابه الفذ: (أشعة خاصة بنور الإسلام) وله كتاب (ربيع القلوب) و(الشرق كما يراه الغرب) و(محمد رسول الله) و(الحج إلى بيت الله الحرام)..

وقد أحدثت كتبه دويّا في دوائر المستشرقين. يقول دينيه:

"لقد أكد الإسلام من الساعة الأولى لظهوره أنه دينٌ صالحٌ لكل زمان ومكان، إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر، وهو لهذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة... »[1].

وبما أن دينيه كان فناناً موهوباً، فقد لفت نظره الجانب الجمالي والذوق الرفيع للحياة النبوية، يقول:

"لقد كان النبي يُعني بنفسه عناية تامة، وقد عُرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال"

«إن حركات الصلاة منتظمة تفيد الجسم والروح معاً، وذات بساطة ولطافة وغير مسبوقة في صلاة غيرها».

---

(1) من كتاب «محمد رسول الله» بقلم ناصر الدين دينيه، ص 345.

تعدد الزوجات ما بين الإسلام والنصرانية:

إن تعدد الزوجات عند المسلمين أقل انتشاراً منه عند الغربيين الذين يجدون لذة الثمرة المحرمة عند خروجهم عن مبدأ الزوجة الواحدة!

وهل حقّاً أن المسيحية قد منعت تعدد الزوجات؟!

وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه؟!

إن تعدد الزوجات قانون طبيعي، وسيبقى ما بقي العالم، إن نظرية الزوجة الواحدة أظهرت ثلاث نتائج خطيرة: العوانس، والبغايا، والأبناء غير الشرعيين".

مقالة عنه في كتاب (الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء - بقلم محمد كامل عبدالصمد):

وُلد في "باريس" عام 1861.. وتوفى وقد بلغ من العمر سبعين عاماً وقد احتشد حوله لتوديعه الوداع الأخير عدد كبير من الناس، ومن كبار المسئولين وعارفي فضله من أهله ومن غير أهله من ممثلي الشعوب.. وقد دفن في مدينة "بوسعادة" بالجزائر بناء على وصيته..

أحب حياة العرب، وهو ذلك الفنان الكبير، الذي يعد واحداً من كبار رجال الفن والتصوير، فهو صاحب اللوحات الكبيرة النفسية التي تحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة، وغيرها من متاحف العالم ومن تلك اللوحات الشهيرة لوحة باسم "غداة رمضان" في متحف باريس كذلك لوحاته الأخرى التي في "لوكسمبرج" و"سدني" وغير ذلك كثير... وجميع صوره تدل على المقدرة الفنية الكبيرة في دقة التعبير عن الحالات النفسية المختلفة كما يذكر النقاد.

كان فناناً يتملكه شعور ديني، فامتزج فيه الفن بالدين، فكان مثالاً واضحاً للإنسان الملْهَم، غير أنه كان يستولي عليه شعور بالقلق والحيرة من الناحية الدينية.

وكما كان "دينيه" يفكر في لوحاته، كان يفكر في مصيره... يبحث عن علاج لطبيعته الدينية القلقة في النصوص المقدسة، وفي العقائد التي يدين بها الوسط المحيط به... فكر في المسيحية والكنيسة.. وفي البابا المعصوم.. وفي عقيدة التثليث والصلب، والفداء، والغفران.. أخذ يفكر: هل صحيح أن المسيح ابن الله؟.. وهل صُلب ليطهر بني البشر من اللعنة التي حلت بهم بسبب خطيئة آدم؟.. كيف صُلب ليفتدي البشر وهو ابن الله؟".

أعاد قراءة الأناجيل من جديد محاولاً جهده أن يراها تتسم بسمة الحق، فيؤمن بابن الله، ولكنه رأى فيها ما يتنافى مع الصورة المثلى للإنسان الكامل، فضلاً عن الصورة التي تريد المسيحية أن توحي بها... قرأ أقوالاً غريبة في الأناجيل نُسبتْ للمسيح، من ذلك:

«في اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل، كانت أم يسوع هناك، ودع يسوع تلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر.. .. قال يسوع: مالي ومالك يا امرأة!» (إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثاني عشر).

ومن أقواله التي توجب كراهية الأقرباء:

«إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه، وامرأته وأولاده، وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون تلميذاً لي» (إنجيل لوقا ـ الإصحاح الرابع عشر).

كذلك من الأقوال الغريبة التي نسبت للمسيح وقرأها "دينيه".

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الأب» (إنجيل مرقص ـ الإصحاح الثالث عشر).

وغير ذلك من نصوص بعثت في نفسه شكوكاً في صحة الأناجيل التي اطلع عليها.. الأمر الوحيد الذي لم يشك فيه أن الله قد أنزل الإنجيل على عيسى

بلغته ولغة قومه، ولكن هذا الإنجيل ضاع واندثر، ووجد مكانه «توليفات» أربعة مشكوك في أمرها، يكفي أنها مكتوبة باللغة اليونانية، وهي لغة غريبة عن لغة عيسى الأصلية التي هي لغة سامية.

وثار شعوره الديني على أوضاع مبهمة، وألفاظ غامضة لا يستطيع فهمها، وانتهى به المطاف بعد بحث وجدل ومناظرات طويلة إلى رفض المسيحية، بعد أن تيقن أن المسيحية الحالية ليست هي مسيحية عيسى، بل لا تمت إليه بصلة، اللهم إلا اسماً.

ورأى «دينيه» أن يتجه إلى العقل يستمد منه الهداية إلى الطريق المستقيم ولكنه انتهى إلى أن العقل عاجز عن إشباع غريزته الدينية.. والتفت حوله: ماذا فعل أمثاله ممن شكّوا في المسيحية؟!.. لقد رأى أن كثيراً منهم قد اتجه إلى الإسلام، فاتجه إليه يستكشفه، فلم يجد ـ بعد دراسة عميقة ـ سوى القرآن، ذلك الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف ولا التبديل، وحاول الاستزادة، فعرف عن الكثير من الإسلام بحكم معايشته للبيئة الإسلامية، وقد تمخضت هذه المعرفة عن اعتناقه الإسلام باقتناع تام.. بل تمخض عنه أكثر، قيامه بالدعوة الإسلامية، ووضعه لعدة مؤلفات قيمة مثل «محمد رسول الله» بالاشتراك مع سليمان الجزائري وقام بترجمته إلى العربية الدكتور عبدالحليم محمود، ومحمد عبدالحليم محمود..، وأشعة خاصة بنور الإسلام ترجمه راشد رستم إلى العربية.. «والحج إلى بيت الله الحرام».. و«الشرق في نظر الغرب».. وغيرها.

13 ـ المفكر السويسري روجيه دوباكييه

نشـأ في بيئـة مسـيحيـة بروتسـتـانتيـة، غيـر أنه تأثر بالفلسـفـة الحـديثـة، ولا سيما الفلسفة الوجودية، فقد كان يعتقد أن الأديان معتقدات خرافية.

وعندمـا اشـتـغل بالصـحـافـة بدأ يسـافـر إلى أكـثـر من بلد ... فسـافـر إلى السويد، وعمل بها مراسلاً صحفيّاً في نهاية الحرب العالمية الثانية لأكثر من خمس سنوات، لكنه اكتشف أن الناس تعساء، برغم التقدم والرخاء الذي يعيشون فيه، على حين اكتشف عكس ذلك عندما سافر إلى بعض الدول الإسلامية في الشرق، فقد وجد المسلمين ـ برغم فقرهم الشديد ـ يشعرون بسعادة أكثر، وأن حياتهم لها معنى.. هذه الملاحظة جعلته يفكر مليّاً في معنى الحياة ويتأملها من خلال هذين النموذجين.. فيقول في ذلك[1]:

«كنت أسأل نفسي: لماذا يشعر المسلمون بسعادة تغمر حياتهم برغم فقرهم وتخلفهم؟!.. ولماذا يشعر السويديون بالتعاسة والضيق برغم سعة العيش والرفاهية والتقدم الذي يعيشون فيه؟! حتى بلدي (سويسرا) كنت أشعر فيه بنفس ما شعرت به في السويد، برغم أنه بلد ذو رخاء، ومستوى المعيشة فيه مرتفع!

وأمام هذا كله وجدت نفسي في حاجة لأن أدرس ديانات الشرق.. وبدأت بدراسة الديانة الهندوكية فلم أقتنع كثيراً بها، حتى بدأت أدرس الدين الإسلامي فشدني إليه أنه لا يتعارض مع الديانات الأخرى، بل إنه يتسع لها جميعاً.. فهو خاتم الأديان.. وهذه حقيقة كانت تزداد يقيناً عندي باتساع قراءاتي، حتى رسخت في ذهني تماماً بعدما اطلعت على مؤلفات الفيلسوف الفرنسي المعاصر

(1) اللواء الإسلامي: من حديث أجراه محمد صبره، ورضا عكاشة في أحد أعدادها الأسبوعية.

«رينيه جينو» الذي اعتنق الإسلام. لقد اكتشفت كما اكتشف أن الإسلام يعطي معنى للحياة، على عكس الحضارة الغربية التي تسيطر عليها المادية، ولا تؤمن بالآخرة، وإنما تؤمن بهذه الدنيا فقط.

وهكذا فقد تأثر «روجيه دوباكييه» بفكر الفيلسوف الفرنسي «رينيه جينو» الذى أسلم، مثلما تأثر سابقاً بزياراته للدول الإسلامية، فبرغم الظروف المادية السيئة في تلك الدول فإن أهلها يتمتعون بقدر كبير من الإيمان الراسخ في نفوسهم، ولا توجد عندهم أزمات أخلاقية كالتي توجد بالغرب، وجعلت كثيراً من الشباب ينتحر أو يتهرب من الحياة بتعاطي المخدرات، مما يعني في نظرهم أن الحياة ليس لها معنى أو قيمة.. ويصل إلى نتيجة يعبر عنها بقوله:

«لقد تبينت أن الإسلام بمبادئه يَبسُط السكينة في النفس... أما الحضارة المادية فتقود أصحابها إلى اليأس، لأنهم لا يؤمنون بأي شيء.. كما تبينت أن الأوروبيين لم يدركوا حقيقة الإسلام، لأنهم يحكمون عليه بمقاييسهم المادية».

ولذلك كان من المنطقي والتسلسل الطبيعي أن يجيب على الفور عندما سُئل: ما الذي جذبك نحو الإسلام؟.

«في البداية، إن الذي جذبني إلى الإسلام هو شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله.. فقد اكتشفت أن الإسلام دين متكامل، وكل شيء فيه مرتبط بالقرآن والسنة.. وفي اعتقادي أن الإنسان يمكن أن يتأمل في هذه الشهادة طيلة الحياة.

الشهادة تقول لا إله إلا الله.. وهذا يعني أنه ليس هناك حقيقة نهائية ودائمة سوى الله.. أما الفلسفة الحديثة فتقول إنه ليس هناك حقيقة سوى هذه الدنيا، ذلك ما تقوله الفلسفة الوجودية وغيرها..

وقد دهشت لأن الإسلام يعبر عن الحقيقة التي تناساها العلم والفلسفة الحديثة.

ثم يستطرد حديثه بعد لحظة تأمل إلى بعيد ليقول:

«لقد تأثرتُ بالقرآن الكريم كثيراً عندما بدأت أدرسه، وتعلمتُ وحفظت بعض آياته.. والحمد لله فأنا أستطيع أن أقرأ فيه(2)، وتستوقفني كثيراً الآية الكريمة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ثم يضيف في سعادة غامرة قائلاً:

«والسنة النبوية الشريفة قرأتها أيضاً، وتأثرت بما فيها من حِكَم وبيان دقيق».

ولم يجد «روجيه دوباكييه» مناصاً من أن يُعلن إسلامه أمام الملأ، فيقول: «لمّا عُدتُ إلى سويسرا لم يكن هناك مبرر لأن أخفي إسلامي، لذلك فقد نشرتُ مقالات كثيرة عن الإسلام في «جورنال دى جنيف».. وصحيفة «جازيت دي لوزان»، وهي صحف غير إسلامية.. كما ترجمت بعض الكتب التي تتناول موضوعات إسلامية.. ودافعتُ في كتاباتي كلها عن قضايا الإسلام كمسلم وَجَدَ طريقه في دين الإسلام.

وأنا أحاول ـ الآن ـ أن أكشف كتاباتي عن الإسلام، وأشرح للقراء الغربيين مايدور في العالم الإسلامي.. وأنا أركز على مسألة أن الإسلام يُقدم حُلولاً لمشاكل كثيرة وصلوا معها إلى طريق مسدود، في حين فتح الإسلام لها أبواباً كثيرة».

وعن نظرته للمسلمين كأشخاص يؤمنون بالإسلام باعتباره قومية أو أيديولوجية، يقول في غضب:

(٢) برغم أن لديه ترجمات بالإنجليزية والفرنسية للقرآن، فإنه يحرص على قراءة القرآن باللغة العربية التي يحرص على تعلمها وحذقها، كما يذكر.

«أنا أختلف مع بعض الأشخاص الذين ينظرون إلى الإسلام باعتباره قومية - وهذا اعتقاد خاطئ لدى كثير من المسلمين.. إنهم يعتبرون الإسلام أيديولوجية وهو خطأ.. إنّما الإسلام طريق إلى الله، وأفضل طريقة للوصول إلى معرفة الله والتصالح والوئام بين الخالق والخلق».

وعن رأيه في النقد المَوَجَّه للإسلام بأنه دين تخلّف لا يقود إلى التقدم، قال ساخراً: «الحمد لله أن الإسلام ليس متقدماً بمعنى التقدم الذي يعيشون فيه ويقودهم إلى الهاوية.. والحمد لله أن الإسلام لم يتجه إلى هذا التقدم المادي الذي يقصدونه.. ولو كان كذلك لما أثار انتباهي ولا انتباه هؤلاء المفكرين الذين وجدوا فيه الخير والسعادة للبشرية، أمثال «رجاء غارودي» وغيره.

إن الإسلام يعبر عن شيء خالد، ومن السخف أن نقول إنه متخلف، ولذلك يجب تغييره أو استبداله.. إن التقدم الذي ينادون به قادهم إلى اليأس والضياع.. الحضارة والمدنية الحديثة تعبر عن صراع الإنسان مع المادة والحياة.. في حين يعبر الإسلام عن الحقيقة، ولذلك فلا داعي لأن يتجه الإسلام نحو التقدم بالمعنى الذي يريدونه، وهو الفوضى والدمار واليأس».

وعن رأيه فيما يُثار من أن هناك فرقاً بين الإسلام كدين، والمسلمين كأشخاص... هزَّ رأسه في ابتسامة مقتضبة قائلاً:

هناك قصة فيها رد على ذلك.. فأنا أعرف صديقاً منذ فترة اعتنق الإسلام في السادسة والعشرين من عمره اسمه «محمد أسعد» كان يهودّياً واعتنق الإسلام عام 1926، وألف كتاباً بعنوان «الطريق إلى مكة» وأصبح من علماء الإسلام، وله مؤلفات أخرى كثيرة.. قابلته منذ فترة في باكستان حيث يعيش هناك.. وسألته نفس هذا السؤال: هل هناك فرق بين الإسلام كدين والمسلمين كأشخاص؟

فقال لي: إذا كنا قد اعتنقنا الإسلام فليس هذا بسبب المسلمين.. ولكن السبب أن الإسلام حقيقة لا ينكرها أحد.

صحيح هناك تدهور في حال المسلمين.. ولكني أصارحك القول بأن التدهور في حال أصحاب الأديان الأخرى أكثر مما هو في المسلمين.. إن الإسلام آخر تعبير عن الرحمة الإلهية.. ومازال قادراً على العطاء.. عطاء كل ما يُخَلِّص الإنسان من شقاء الحياة وآلامها ومتاعبها.. إن الإسلام يجدد الصلة بين المرء وربه التي قطعها إنسان اليوم.

حتى إذا كان المسلمون في حالة تدهور أو انهيار، فإن دينهم قادر على منحهم الحياة السعيدة المطمئنة التي تعينهم على التغلب على تلك الأزمات الأخلاقية التي يعيشها الغرب.

وعن تفسيره لظاهرة الإقبال على اعتناق الإسلام من جانب الأوربيين أجاب قائلاً:

«السبب كما قلت الأزمة التي قادتهم إليها الحضارة والمدنية الحديثة.. لقد أصبح الأوربيون يعيشون في حالة يأس لأنهم لا يؤمنون بشيء، ولذلك فهم يبحثون عن معنى لحياتهم، وقد وجدوا هذا المعنى في الإسلام فأقبلوا عليه».

14 ـ الكاتب الأمريكي الكولونيل دونالدس روكويل

كانت هناك دوافع قوية وراء اعتناق «الكولونيل دونالدس روكويل» الإسلام يقول عنها: «إن بساطة الإسلام، ومساجد المسلمين بجاذبيتها، وبما في أجوائها من روعة وجلال ووقار، وما يتميز به المسلمون المؤمنون من ثقة باعثة على اليقين تجعلهم يستجيبون لنداء الصلاة خمس مرات في اليوم، كل هذه الأمور ملكت عليَّ مشاعري منذ البداية.. على أنني بعد أن قررت أن أنضم إلى ركب المسلمين، وجدت أن هناك أسباباً كثيرة أخرى أهم وأعمق من هذه الدوافع، قد زادتني يقيناً وتصميماً، وهي:

● هذا الإدراك الناضج للحياة، والذي هو من ثمار السنة المحمدية التي تجمع بين الرأي السديد، والقدوة العلمية، في أسلوب من التوجيه الحكيم في أمور كثيرة تدلل على واقعية هذا الدين، وحكمة أخّاذة سديدة في أقوال محمد صلى الله عليه وسلم.. خُذْ مثلاً قوله «اعقلها وتوكل».. لقد قرر في هاتين الكلمتين نظاماً دينيّاً في أعمالنا المعتادة، فلم يطلب إلينا التصديق الأعمى بوجود قوى غيبية تحفظنا برغم تقصيرنا وإهمالنا، بل يدعونا إلى الثقة في الله، والرضا بإرادته في عاقبة أمرنا، إذا نحن طرقنا الأمور من أبوابها الصحيحة، وبذلنا في ذلك قصارى جهدنا.

● سماحة الإسلام مع الأديان الأخرى ـ والذى هو نابع من اتساع الأفق الفكري ـ تجعله قريباً إلى قلوب أولئك الذين يتعشقون الحرية، فقد دعا محمد صلى الله عليه وسلم أتباعه إلى أن يحسنوا معاملة المؤمنين بالتوراة والإنجيل، وإلى الإيمان بأن إبراهيم وموسى وعيسى جميعهم رُسُلٌ من عند الله الواحد الأحد.. هذه سماحة يمتاز بها الإسلام عن الأديان الأخرى.

● التحرر الكامل من عبادة الأوثان، دليل على سلامة دعائم العقيدة

الإسلامية، وعلى نقائها فالتعاليم الأصلية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم لم يغيرها المشرعون بتعديلات أو إضافات، فها هو ذا القرآن الكريم على حاله التي أنزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم لهداية المشركين والكفار في بداية دعوته ظل ثابتاً راسخاً الآن.

● الاعتدال والتوسط في كل شيء هما دعامتان أساسيتان في الإسلام، قد استحوذتا على كل إعجابي وتقديري.

لقد آمنت أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على صحة قومه، فأمرهم بالتزام النظافة إلى أبعد الحدود، كما أمرهم بالصوم والسيطرة على الشهوات الجنسية.. وأذكر أنني كنت - عندما أقف في مساجد أسطنبول ودمشق وبيت المقدس والقاهرة وغيرها من المدن - أحس شعوراً عميقاً بقدرة الإسلام في بساطته، على الارتفاع بروح البشر إلى الآفاق العليا، بدون حاجة إلى زخارف أنيقة، أو تماثيل، أو صور، أو موسيقى، أو طقوس رسمية.. فالمسجد مكان للتأمل الهادئ، ونسيان الذات وفنائها، واندماجها في الحقيقة الكبرى، في ذكر الله الأحد.

● تتجلى ديمقراطية الإسلام التي أثارت إعجابي في تساوي الحقوق بين الملك صاحب السلطان، وبين الفقير المتسول داخل جدران المسجد، فهم يسجدون جميعاً لله، ليست هناك مقاعد تستأجر، ولا أماكن تحجز لفئة دون أخرى.

● لا يؤمن المسلم بوسيط بينه وبين ربه، بل يتجه رأساً إلى الله، خالق الخلق، وواهب الحياة، وهو لا يراه دون التجاء إلى صكوك غفران، أو إلى أحد لمنحه منحة الخلاص.

● الأخوة العالمية الشاملة في الإسلام، بغض النظر عن اختلاف العنصر أو المذهب السياسي أو اللون أو الإقليم فقد ثبت ذلك عندي بكل يقين واقتناع مرات ومرات.. وهذه ظاهرة أخرى كانت ضمن الدوافع التي قادتني إلى الإيمان بالإسلام.

15ـ العالم البريطاني آرثر أليسون

عندما حضر البروفيسور «آرثر أليسون» رئيس قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة لندن إلى القاهرة عام 1985 ليشارك في أعمال المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، كان يحمل معه بحثه الذي ألقاه، وتناول فيه أساليب العلاج النفسي والروحاني في ضوء القرآن الكريم، بالإضافة إلى بحث آخر حول النوم والموت والعلاقة بينهما في ضوء الآية القرآنية الكريمة: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢). الغريب في الامر أنه لم يكن ـ وقتئذ ـ قد اعتنق الإسلام، وإنما كانت مشاعره تجاهه لا تتعدى الإعجاب به كدين.

وبعد أن ألقى بحثه جلس يشارك في أعمال المؤتمر، ويستمع إلى باقي البحوث التي تناولت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فتملكه الانبهار وقد ازداد يقينه بأن هذا هو الدين الحق.. فكل ما يسمعه عن الإسلام يدلل بأنه دين العلم ودين العقل.

فلقد رأى هذا الحشد الهائل من الحقائق القرآنية والنبوية، والتي تتكلم عن المخلوقات والكائنات، والتي جاء العلم فأيدها، فأدرك أن هذا لا يمكن أن يكون من عند بشر.. وما جاء به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من أربعة عشر قرناً يؤكد أنه رسول الله حَقّاً..

وأخذ «أليسون» يستفسر ويستوضح من كل مَن جلس معه عن كل ما يهمه أن يعرفه عن الإسلام كعقيدة ومنهج للحياة في الدنيا.. حتى لم يجد بُدا من أن يعلن عن إيمانه بالإسلام.. وفي الليلة الختامية للمؤتمر، وأمام مراسلي وكالات

الأنباء العالمية، وعلى شاشات التليفزيون، وقف البروفيسور «آرثر أليسون» ليعلن أمام الجميع أن الإسلام هو دين الحق.. ودين الفطرة التي فطر الناس عليها.. ثم نطق بالشهادتين أمام الجميع بصوت قوي مؤمن:

«أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله».

وفي تلك اللحظات كانت تكبيرات المسلمين من حوله ترتفع، ودموع البعض قد انهمرت خشوعاً ورهبة أمام هذا الموقف الجليل.

ثم أعلن البروفيسور البريطاني عن اسمه الجديد «عبدالله أليسون».. وأخذ يحكي قصته مع الإسلام فقال:

إنه من خلال اهتماماتي بعلم النفس، وعلم ما وراء النفس، حيث كنت رئيساً لجمعية الدراسات النفسية والروحية البريطانية لسنوات طويلة.. أردت أن أتعرف على الأديان، فدرستها كعقائد، ومن تلك العقائد عقيدة الإسلام، الذي وجدته أكثر العقائد تمشياً مع الفطرة التي ينشأ عليها الإنسان.. وأكثر العقائد تمشياً مع العقل، من أن هناك إلهاً واحداً مهيمناً ومسيطرا على هذا الوجود.. ثم إن الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية من قبل أربعة عشر قرناً قد أثبتها العلم الحديث الآن، وبالتالي أن ذلك لم يكن من عند بشر على الإطلاق، وأن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم هو رسول الله.

ثم تناول «عبدالله أليسون» جزئية من بحثه الذي شارك به في أعمال المؤتمر، والتي دارت حول حالة النوم والموت من خلال الآية الكريمة ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ (الزمر: ٤٢). فأثبت «أليسون» أن الآية الكريمة تذكر أن الوفاة تعني الموت، وتعني النوم وأن الموت وفاة غير راجعة في حين أن النوم وفاة راجعة.. وقد ثبت ذلك من خلال الدراسات الباراسيكولوجية والفحوص

الإكلنيكية من خلال رسم المخ، ورسم القلب، فضلاً عن توقف التنفس الذي يجعل الطبيب يعلن عن موت هذا الشخص، أم عدم موته في حالة غيبوبته أو نومه.

وبذلك أثبت العلم أن النوم والموت عملية متشابهة، تخرج فيها النّفسُ وتعود في حالة النوم ولا تعود في حالة الموت.

ثم قرر العالم البريطاني المسلم البروفيسور «عبدالله أليسون» أن الحقائق العلمية في الإسلام هي أمثل وأفضل أسلوب للدعوة الإسلامية، ولا سيما للذين يحتجون بالعلم والعقل.

ولذلك أعلن البروفيسور «عبد الله».. أنه سيقوم بإنشاء معهد للدراسات النفسية الإسلامية في لندن على ضوء القرآن المجيد والسنة النبوية.. والاهتمام بدراسات الإعجاز الطبي في الإسلام، وذلك لكي يوصل تلك الحقائق إلى العالم الغربي الذي لا يعرف شيئاً عن الإسلام.

كما وعد بإنشاء مكتبة إسلامية ضخمة باللغتين العربية والإنجليزية للمساعدة في إجراء البحوث العلمية على ضوء الإسلام.

16 ـ اللورد جلال الدين برانتون

(أتم السِّير جلال الدِّين دراسته في جامعة أكسفورد. وقد كان بارونا إنجليزياً، ورجلاً ذا شعبيَّةٍ كبيرةٍ وسمعةٍ عريضة).

● أشعر بعميق الامتنان على إتاحة هذه الفرصة لي لأُعبِّر فيها ببعض الكلمات عمَّا دفعني لإعلان إسلامي. لقد تربَّيْت تحت تأثير أبوَيْن مسيحيَّيْن. وأصبحت في سنوات عمري المبكِّرة مهتمّاً بعلم اللاهوت. فشاركت بنفسي في الكنيسة الإنجليزيَّة، واهتممت بالعمل التبشيريِّ دون أن يكون لي فيه مشاركةً فعليَّة.

قبل بضع سنوات مضت انصبَّ اهتمامي على عقيدة «العذاب الأبدي» لكلِّ البشريَّة عدا بعض المختارين. وأصبح الأمر بالنِّسبة لي مقيتاً جدّاً بحيث صار يغلب عَلَيَّ الشكُّ. فقد فكَّرت منطقيّاً بأنَّ ذاك الإله الَّذي يمكن أن يستخدم قدرته لخلق الكائنات البشريَّة الَّتي يجب أن تكون ـ في سابق علمه وتقديره ـ مُعذَّبةً للأبد، لابدَّ أنَّه ليس حكيماً، أو مُحِبّاً ـ سبحانه وتعالى عمَّا يصفون علوّاً كبيراً ـ فمستواه لابدَّ وأن يكون أقلَّ من الكثير من البَشَر. ومع ذلك واصلت الاعتقاد بوجود الله تعالى، ولكنِّي لم أكن راغباً بقبول الفهم السائد للتعاليم الَّتي تقول بالوحي الإلهيِّ للرِّجال. فحوَّلت اهتمامي للتَّحقيق في الأديان الأخرى، ممَّا أشعرني بالحيرة فقط.

وكَبُرَت في داخلي رغبةٌ جديَّةٌ للخضوع للإله الحق وعبادته. ومع أنَّ المذاهب المسيحيَّة تدَّعي أنَّها أُسِّستْ على الإنجيل إلا أنَّني وجدتها متناقضة. فهل من الممكن أنَّ الإنجيل وتعاليم السيِّد المسيح (عليه الصَّلاة والسَّلام) كانا مُحرَّفيْن؟! لذلك صببت اهتمامي ـ وللمرَّة الثانية ـ على الإنجيل، وصمَّمت أن تكون الدِّراسة

عميقة، وشعرت بأنه كان هناك شيء ناقص وصمَّمت على فعل ذلك لنفسي، بغضِّ النظر عن مذاهب البشر. فبدأت أتعلَّم بأن النَّاس يمتلكون «الرُّوح»، و«قوَّةً مَّا غير مرئيَّةٍ» وهي خالدة، وأن الآثام سيُعاقَب عليها في هذا العالم وفي العالم الآخر، وأن اللّه تعالى برحمته وإحسانه يمكنه دوماً أن يغفر ذنوبنا إذا ما تبنا إليه حقّاً.

ولإدراكي أهميَّة البحث العميق والعيش على مستوى الحق، ولكي أجد «الجوهرة الثمينة» كرَّست وقتي مرَّةً أخرى لدراسة الإسلام. كان هناك شيءٌ في الإسلام شدَّني في ذلك الوقت وفي زاويةٍ مغمورةٍ ـ بالكاد معروفة ـ من قرية «إتشرا» كنت مكرِّساً وقتي وعبادتي للّه العظيم بين أدنى طبقات المجتمع مع رغبةٍ صادقةٍ لرفعهم إلى مستوى معرفة الإله الحقِّ والواحد، ولغرس الشعور بالأخوَّة والطَّهارة.

ليس في نيَّتي أن أحدِّثكم كيف عملت بين هؤلاء الناس، ولا ما هي التضحيات الَّتي قدَّمتها، ولا المصاعب الجمَّة الَّتي مررت بها، فقد واصلت العمل ببساطةٍ من أجل هدفٍ واحدٍ، وهو أن أخدم هذه الطبقات ماديّاً ومعنويّاً.

وأخيراً بدأت بدراسة حياة النبيِّ محمَّد (صلى اللّه عليه وسلم). كنت أعرف القليل عمَّا فعله، ولكني كنت أعرف وأشعر بأن المسيحيِّين ـ وبصوتٍ واحدٍ ـ أدانوا محمداً النبيَّ العربيَّ (صلَّى اللّه عليه وسلَّم). وأردت حينها أن أنظر في المسألة دون تعصُّبٍ وحقد. وبعد القليل من الوقت وجدت أنَّه من غير الممكن وجود شكٍّ في جديَّة بحثه (عليه الصَّلاة والسَّلام) عن الحقِّ وعن اللّه تعالى.

فأدركت بأنَّه من الخطأ ـ في نهاية الأمر ـ إدانة هذا الرجل المقدَّس بعد قراءتي عن الإنجازات الَّتي حقَّقها للبشريَّة. فالنَّاس الذين كانوا في الجاهليَّة يعبدون الأصنام، ويعيشون على الجريمة، وفي القذارة والعُري، علَّمهم (عليه الصَّلاة والسَّلام) كيف يلبسون، واستُبدلت القذارة بالطهارة، واكتسبوا كرامةً

شخصيّةً واحتراماً ذاتيّاً، وأصبح كرم الضيافة واجباً دينيّاً، وحُطِّمت أصنامهم، وبدأوا يعبدون الله تعالى الإله الحق. وأصبحت الأمَّة الإسلاميَّة هي المجتمع الشَّامل القويُّ والأكثر منعةً في العالم. وأُنجزت الكثير من الأعمال الخيِّرة والَّتي هي من الكثرة بحيث لا يمكننا ذكرها هنا. فكم من المحزن - أمام كلِّ هذا، وأمام صفاء عقله (صلى الله عليه وسلم) - حين نفكر كيف استطاع المسيحيُّون أن يحطُّوا من شخصه الكريم. واستحوذني تفكير عميق، وخلال لحظات تأمُّلاتي زارني سيِّدٌ هنديٌّ اسمه «معن أمير الدِّين»، وكان من الغريب حقّاً أنَّه هو الَّذي أعطى النار الَّتي في حياتي الهواء لتزداد اشتعالاً. فتأمَّلت في المسألة بشكلٍ عميق؛ وقدَّمت الحجَّة تلو الأخرى مُتحاملاً على الدِّين المسيحيِّ المعاصر، ومستنتجاً كلَّ شيءٍ لصالح الإسلام، وشاعراً بالاقتناع أنه دين الحقِّ واليُسْرِ، والتَّسامحِ، والإخلاص، والأُخوَّة.

لم يعد لي الآن سوى القليل من الزَّمن لأعيش على هذه الأرض، وأريد أن أكرِّس كلَّ ما بقي لي في خدمة الإسلام.

وهذه قصة إسلامه من كتاب (الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء - بقلم محمد كامل عبدالصمد):

ولد ونشأ بين أبوين مسيحيين.. وولع بدراسة اللاهوت وهو في سن مبكرة، وارتبط بالكنيسة الإنجليزية وأعطى أعمال التبشير كل اهتمامه.

وحدث ذات يوم أن زاره صديق هندي مسلم تحدث معه في موضوع العقائد المسيحية ومقارنتها بالعقيدة الإسلامية، وانتهت الزيارة، إلا أنها لم تنته في نفسه، فقد أثارت انفعالاً شديداً في ضميره وعقله، وصار يتدبر كل ما قيل فيها من جدال، مما دفعه إلى إعادة النظر في العقائد المسيحية.. ويعبر عن ذلك فيقول:

«عندئذ قررت أن أبحث بنفسي، متجاهلاً عقائد الناس، بعد أن أيقنت

بضرورة البحث عن الحقيقة مهما طال المدى في هذا السبيل، ومهما كان الجهد، حتى أصل لمزيد من المعرفة بعد أن قيل إن الإنجيل وتعاليم المسيح قد أصابها التحريف.. فعدت ثانياً إلى الإنجيل أوليه دراسة دقيقة، فشعرت أن هناك نقصاً لم أستطع تحديده.. عندئذ ملك عليّ نفسي رغبة أن أُفرغ كل وقتي لدراسة الإسلام.. وبالفعل كرست كل وقتي وجهدي له، ومن ذلك دراسة سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولم أكن أعلم إلا القليل النادر عنه، برغم أن المسيحيين أجمعوا على إنكار هذا النبي العظيم الذي ظهر في الجزيرة العربية.. ولم يمض بي وقت طويل حتى أدركت أنه من المستحيل أن يتطرق الشك إلى جدية وصدق دعوته إلى الحق وإلى الله».

ثم أخذ يكرر هذا المعنى وهو يقول:

«نعم شعرت أنه لا خطيئة أكبر من إنكار هذا "الرجل الرباني" بعد أن درست ما قدمه للإنسانية، وجعل من المسلمين أقوى مجتمع رفيع يعاف الدنايا.. إني غير مستطيع أن أحصي ما قدمه هذا الرسول من جليل الأعمال».

بعدها تساءل في ألم ووجوم قائلاً:

«أمام كل هذا الفضل وهذا الصفاء.. أليس من المحزن الأليم حقّاً أن يقدح في شأنه المسيحيون وغيرهم؟».

17 ـ أستاذ الرياضيات الجامعي الأمريكي جفري لانج[1]

حتى الملائكة تسأل... البروفسور جفري لانج:

يروي البروفسور جفري لانج، أستاذ الرياضيات في الجامعات الأميركية كيفية اعتناقه الدين الإسلامي، وذلك في كتاب صدر له بعنوان «حتى الملائكة تسأل». فالكتاب يسطر قصة إسلام لانج، ويتراوح بين لحظات روحانية غامرة وبين أفكار فلسفية عميقة.

يقول المؤلف: في اليوم الذي اعتنقت فيه الإسلام، قدَّم إليَّ إمام المسجد كتيباً يشرح كيفية أداء الصلاة. غير أني فوجئت بما رأيته من قلق الطلاب المسلمين، فقد ألحوا عليَّ بعبارات مثل: (خذ راحتك) (لا تضغط على نفسك كثيراً) (من الأفضل أن تأخذ وقتك) (ببطء.. شيئاً، فشيئاً). وتساءلت في نفسي (هل الصلاة صعبة إلى هذا الحد؟). لكني تجاهلت نصائح الطلاب، فقررت أن أبدأ فوراً بأداء الصلوات الخمس في أوقاتها. وفي تلك الليلة، أمضيت وقتاً طويلاً جالساً على الأريكة في غرفتي الصغيرة بإضاءتها الخافتة، حيث كنت أدرس حركات الصلاة وأكررها، وكذلك الآيات القرآنية التي سأتلوها، والأدعية الواجب قراءتها في الصلاة. وبما أن معظم ما كنت سأتلوه كان باللغة العربية، فقد لزمني حفظ النصوص بلفظها العربي، وبمعانيها باللغة الإنجليزية. وتفحصت الكتيب ساعات عدة، قبل أن أجد في نفسي الثقة الكافية لتجربة الصلاة الأولى. وكان الوقت قد قارب منتصف الليل، لذلك قررت أن أصلي صلاة العشاء. ودخلت الحمام ووضعت الكتيب على طرف المغسلة مفتوحاً على الصفحة التي تشرح الوضوء. وتتبعت التعليمات الواردة فيه خطوة خطوة، بتأن ودقة، مثل

(1) المصدر: إحدى الصحف السعودية.

طاهٍ يجرب وصفة لأول مرة في المطبخ. وعندما انتهيت من الوضوء، أغلقت الصنبور وعدت إلى الغرفة والماء يقطر من أطرافي. إذ تقول تعليمات الكتيب بأنه من المستحب ألا يجفف المتوضئ نفسه بعد الوضوء[1]. ووقفت في منتصف الغرفة، متوجهاً إلى ما كنت أحسبه اتجاه القبلة. نظرت إلى الخلف لأتأكد من أنني أغلقت باب شقتي، ثم توجهت إلى الأمام، واعتدلت في وقفتي، وأخذت نفساً عميقاً، ثم رفعت يدي، وبراحتين مفتوحتين ملامساً الأذنين بإبهامي[2]. ثم بعد ذلك، قلت بصوت خافت (الله أكبر). كنت آمل ألا يسمعني أحد. فقد كنت أشعر بشيء من الانفعال. إذ لم أستطع التخلص من قلقي من كون أحد يتجسس عليَّ. وفجأة أدركت أنني تركت الستائر مفتوحة. وتساءلت: ماذا لو رآني أحد الجيران؟ تركت ما كنت فيه، وتوجهت إلى النافذة، ثم جلت بنظري في الخارج لأتأكد من عدم وجود أحد. وعندما رأيت الباحة الخلفية خالية، أحسست بالارتياح. فأغلقت الستائر، وعدت إلى منتصف الغرفة. ومرة أخرى، توجهت إلى القبلة، واعتدلت في وقفتي، ورفعت يدي إلى أن لامس الإبهامان شحمتي أذني، ثم همست (الله أكبر).... وبصوت خافت لا يكاد يسمع، قرأت فاتحة الكتاب ببطء وتلعثم، ثم أتبعتها بسورة قصيرة باللغة العربية، وإن كنت أظن أن أي عربي لم يكن ليفهم شيئاً لو سمع تلاوتي تلك الليلة. ثم بعد ذلك تلفظت بالتكبير مرة أخرى بصوت خافت وانحنيت راكعاً حتى صار ظهري متعامداً مع ساقي واضعاً كفي على ركبتي وشعرت بالإحراج، إذ لم أنحن لأحد في حياتي. ولذلك فقد سررت لأنني وحدي في الغرفة. وبينما كنت ما أزال راكعاً، كررت عبارة (سبحان ربي العظيم) عدة مرات. ثم اعتدلت واقفاً وأنا أقرأ (سمع الله لمن حمده) ثم

(1) الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمسح أثر ماء الوضوء، تارة، ويدعه تارة.. وقال بعض العلماء أن تركه محمول على قصد التبرد وليس قصد التقرب، وبعضهم ذهب إلى أن السُّنَّة ترك المسح أحياناً، وفعله أحياناً.. والله أعلم.

(2) الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلمس بإبهاميه شحمة أذنيه، وإنما كان يرفع يديه عند التكبير حذو منكبيه أو حذو أذنيه مضمومة الأصابع مستقبلاً بكفيه القبلة.. والله أعلم.

(ربنا ولك الحمد).. أحسست بقلبي يخفق بشدة، وتزايد انفعالي عندما كبرت مرة أخرى بخضوع فقد حان وقت السجود.. وتجمدت في مكاني، بينما كنت أحدق في البقعة التي أمامي، حيث كان علي أن أهوي إليها على أطرافي الأربعة وأضع وجهي على الأرض. لم أستطع أن أفعل ذلك، لم أستطع أن أنزل بنفسي إلى الأرض، لم أستطع أن أذل نفسي بوضع أنفي على الأرض، شأن العبد الذي يتذلل أمام سيده.. لقد خيل لي أن ساقي مقيدتان لا تقدران على الانثناء.. لقد أحسست بكثير من العار والخزي. وتخيلت ضحكات أصدقائي ومعارفي وقهقهاتهم، وهم يراقبونني وأنا أجعل من نفسي مغفلاً أمامهم، وتخيلت كم سأكون مثيراً للشفقة والسخرية بينهم، وكدت أسمعهم يقولون (مسكين جفري فقد أصابه العرب بمس في سان فرانسيسكو، أليس كذلك؟). وأخذت أدعو (أرجوك، أرجوك، أعني على هذا). أخذت نفساً عميقاً، وأرغمت نفسي على النزول.. الآن صرت على أربعتي، ثم ترددت لحظات قليلة، وبعد ذلك ضغطت وجهي على السجادة.. أفرغت ذهني من كل الأفكار، وتلفظت ثلاث مرات بعبارة (سبحان ربي الأعلى)، (الله أكبر) قلتها ورفعت من السجود جالساً على عقبي وأبقيت ذهني فارغاً رافضاً السماح لأي شيء أن يصرف انتباهي. (الله أكبر) ووضعت وجهي على الأرض مرة أخرى. وبينما كان أنفي يلامس الأرض رحت أكرر عبارة (سبحان ربي الأعلى) بصورة آلية. فقد كنت مصمماً على إنهاء هذا الأمر مهما كلفني ذلك. (الله أكبر) وانتصبت واقفاً، فيما قلت لنفسي: لا تزال هناك ثلاث جولات أمامي. وصارعت عواطفي وكبريائي فيما تبقى لي من الصلاة. لكن الأمر صار أهون في كل شوط. حتى إنني كنت في سكينة شبه كاملة في آخر سجدة. ثم قرأت التشهد في الجلوس الأخير، وأخيراً سلمت عن يميني وشمالي.. وبينما بلغ بي الإعياء مبلغه، بقيت جالساً على الأرض، وأخذت أراجع المعركة التي مررت بها، لقد أحسست بالإحراج لأنني عاركت نفسي كل ذلك العراك في سبيل أداء الصلاة إلى آخرها. ودعوت برأس منخفض خجلاً:

(اغفر لي تكبري وغبائي، فقد أتيتِ من مكان بعيد ولا يزال أمامي سبيل طويل لأقطعه). وفي تلك اللحظة، شعرت بشيء لم أجربه من قبل، ولذلك يصعب عليّ وصفه بالكلمات.. فقد اجتاحتني موجة لا أستطيع أن أصفها إلا بأنها كالبرودة، وبدا لي أنها تشع من نقطة ما في صدري. وكانت موجة عارمة فوجئت بها في البداية حتى إنني أذكر أنني كنت أرتعش. غير أنها كانت أكثر من مجرد شعور جسدي، فقد أثرت في عواطفي بطريقة غريبة أيضاً. لقد بدا كأن الرحمة قد تجسدت في صورة محسوسة وأخذت تغلفني وتتغلغل فيّ.. ثم بدأت بالبكاء من غير أن أعرف السبب، فقد أخذت الدموع تنهمر على وجهي، ووجدت نفسي أنتحب بشدة.. وكلما ازداد بكائي، ازداد إحساسي بأن قوة خارقة من اللطف والرحمة تحتضنني. ولم أكن أبكي بدافع من الشعور بالذنب، رغم أنه يجدر بي ذلك، ولا بدافع الخزي أو السرور.

لقد بدا كأن سدّاً قد انفتح مطلقاً عنان مخزون عظيم من الخوف والغضب بداخلي. وبينما أنا أكتب هذه السطور، لا يسعني إلا أن أتساءل عما لو كانت مغفرة الله عز وجل لا تتضمن مجرد العفو عن الذنوب، بل وكذلك الشفاء والسكينة أيضاً.. ظللت لبعض الوقت جالساً على ركبتي، منحنياً إلى الأرض، منتحباً ورأسي بين كفي. وعندما توقفت عن البكاء أخيراً، كنت قد بلغت الغاية في الإرهاق. فقد كانت تلك التجربة جارفة وغير مألوفة إلى حد لم يسمح لي حينئذ أن أبحث عن تفسيرات عقلانية لها.. وقد رأيت حينها أن هذه التجربة أغرب من أن أستطيع إخبار أحد بها. أما أهم ما أدركته في ذلك الوقت فهو أنني في حاجة ماسة إلى الله وإلى الصلاة، وقبل أن أقوم من مكاني، دعوت بهذا الدعاء الأخير: «اللهم، إذا تجرأت على الكفر بك مرة أخرى، فاقتلني قبل ذلك، خلصني من هذه الحياة.. ومن الصعب جداً أن أحيا بكل ما عندي من النواقص والعيوب لكنني لا أستطيع أن أعيش يوماً واحداً آخر وأنا أنكر وجودك».

18ـ الأستاذ الجامعي الأمريكي محمد أكويا

كان السبب الأول لإسلامه حجاب طالبة أميركية مسلمة، معتزة بدينها، ومعتزة بحجابها، بل لقد أسلم معه ثلاثة دكاترة من أساتذة الجامعة وأربعة من الطلبة.

لقد كان السبب المباشر لإسلام هؤلاء السبعة، الذين صاروا دعاة إلى الإسلام. هو هذا الحجاب.

لن أطيل عليكم في التقديم. وفي التشويق لهذه القصة الرائعة التي سأنقلها لكم على لسان الدكتور الأميركي الذي تسمى باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصار اسمه (محمد أكويا). يحكي الدكتور محمد أكويا قصته فيقول: قبل أربع سنوات، ثارت عندنا بالجامعة زوبعة كبيرة، حيث التحقت للدراسة طالبة أميركية مسلمة، وكانت محجبة.

وقد كان من بين مدرسيها رجل متعصب يبغض الإسلام ويتصدى لكل من لا يهاجمه. فكيف بمن يعتنقه ويظهر شعائره للعيان؟ كان يحاول استثارتها كلما وجد فرصة سانحة للنيل من الإسلام. وشن حرباً شعواء عليها، ولما قابلت هي الموضوع بهدوء ازداد غيظه منها، فبدأ يحاربها عبر طريق آخر، حيث الترصد لها بالدرجات، وإلقاء المهام الصعبة في الأبحاث، والتشديد عليها بالنتائج، ولما عجزت المسكينة أن تجد لها مخرجاً تقدمت بشكوى لمدير الجامعة مطالبة فيها النظر إلى موضوعها. وكان قرار الإدارة أن يتم عقد اجتماع بين الطرفين المذكورين الدكتور والطالبة لسماع وجهتي نظرهما والبت في الشكوى.

ولما جاء الموعد المحدد. حضر أغلب أعضاء هيئة التدريس، وكنا متحمسين جداً لحضور هذه الجولة التي تعتبر الأولى من نوعها عندنا بالجامعة.

بدأت الجلسة التي ذكرت فيها الطالبة أن المدرس يبغض ديانتها. ولأجل هذا يهضم حقوقها العلمية، وذكرت أمثلة عديدة لهذا، وطلبت الاستماع لرأي

بعض الطلبة الذين يدرسون معها، وكان من بينهم من تعاطف معها وشهد لها، ولم يمنعهم اختلاف الديانة أن يدلوا بشهادة طيبة بحقها.

حاول الدكتور على أثر هذا أن يدافع عن نفسه، واستمر بالحديث فخاض بسب دينها. فقامت تدافع عن الإسلام. أدلت بمعلومات كثيرة عنه، وكان لحديثها قدرة على جذبنا، حتى أننا كنا نقاطعها فنسألها عما يعترضنا من استفسارات. فتجيب فلما رآنا الدكتور المعني مشغولين بالاستماع والنقاش خرج من القاعة. فقد تضايق من اهتمامنا وتفاعلنا. فذهب هو ومن لا يرون أهمية للموضوع.

بقينا نحن مجموعة من المهتمين نتجاذب أطراف الحديث، في نهايته قامت الطالبة بتوزيع ورقتين علينا كتب فيها تحت عنوان «ماذا يعني لي الإسلام؟» الدوافع التي دعتها لاعتناق هذا الدين العظيم، ثم بينت ما للحجاب من أهمية وأثر. وشرحت مشاعرها الفياضة صوب هذا الجلباب وغطاء الرأس الذي ترتديه. الذي تسبب في كل هذه الزوبعة. لقد كان موقفها عظيماً، ولأن الجلسة لم تنته بقرار لأي طرف، فقد قالت إنها تدافع عن حقها، وتناضل من أجله، ووعدت إن لم تظفر بنتيجة لصالحها أن تبذل المزيد حتى لو اضطرت لمتابعة القضية وتأخير الدراسة نوعاً ما، لقد كان موقفاً قوياً، ولم نكن أعضاء هيئة التدريس نتوقع أن تكون الطالبة بهذا المستوى من الثبات ومن أجل المحافظة على مبدئها.

وكم أذهلنا صمودها أمام هذا العدد من المدرسين والطلبة، وبقيت هذه القضية يدور حولها النقاش داخل أروقة الجامعة. أما أنا فقد بدأ الصراع يدور في نفسي من أجل تغيير الديانة، فما عرفته عن الإسلام حببني فيه كثيراً، ورغبني في اعتناقه، وبعد عدة أشهر أعلنت إسلامي، وتبعني دكتور ثان وثالث في نفس العام، كما أن هناك أربعة طلاب أسلموا. وهكذا في غضون فترة بسيطة أصبحنا مجموعة لنا جهود دعوية في التعريف بالإسلام والدعوة إليه، وهنا الآن عدد من الأشخاص في طور التفكير الجاد، وعما قريب إن شاء الله ينشر خبر إسلامهم داخل أروقة الجامعة. والحمد لله وحده.

19 ـ الأديب الفرنسي فانسان مونتييه[1]

كان يشغل منصب أستاذ اللغة العربية والتاريخ الإسلامي بجامعة باريس.. والآن يشغل منصب رئيس «مؤسسة الدراسات الإسلامية» في «داكار».. وله عدة مؤلفات منها: كتاب «الإرهاب الصهيوني».. و«المسلمون في الاتحاد السوفييتي».. وكتاب «الإسلام في أفريقيا السوداء».. وكتاب «مفاتيح الفكر العربي».. كما قد قام بترجمة ابن خلدون إلى الفرنسية.

اختار الإسلام ديناً بكل اقتناع ورضا، واتخذ من العرب المسلمين إخوة له في الإسلام، بدون أن يتخلى عن جنسيته الفرنسية، إذ كان مؤمناً بأنه لا تناقض بين عقيدته الإسلامية وجنسيته الفرنسية.

وعن اختياره للإسلام ديناً أوضح قائلاً:

«لقد اخترت الإسلام ديناً، ألقى به وجه ربي لأسباب شتى، منها الأسباب الدينية، والأسباب الأخلاقية، والاجتماعية، والثقافية والعاطفية».

ثم استطرد في تفصيل ما أجمله.. فقال:

«لقد اخترتُ دين الفطرة.. وهو الإسلام، وكنت فيما مضى كاثوليكيّاً.. وفي الكاثوليكية أمور كثيرة لم أقتنع بها، ولم أفهمها، «مثل كرسي الاعتراف». والوسيط لدى الإله، فضلاً عن اعتمادها على أسرار، وقربان، وغير ذلك من أمور لم أستطع الإيمان بها.. .. في حين أن دين الإسلام بريء من هذا كله، فيكفي المسلم أن يتوجه إلى ربه مباشرة بدون وسيط، وبدون كرسي اعتراف، فيستجيب الله دعاءه.

لقد كانوا يُعلمونني كما يُعلمون غيري أن عيسى إله ابن إله، وكانوا يزعمون

(1) المصدر: «الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء» ـ محمد كامل عبدالصمد.

أن محمداً ليس نبيّاً وبالتالي ينكرون الإسلام[1]... ثم حدث أن وقع بين يدي - لأول مرة في حياتي - ترجمة لمعاني القرآن الكريم، واستوقفتني معاني كلماته، مثل:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ (الإخلاص).

واستَوقَفَه كما يذكر ترجمة قول الله تعالى:

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

كما يذكر أيضاً أنه قرأ حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، شعر تجاهه بأن الإسلام دين الفطرة بحق.

«كل مولود يُولَدُ على الفِطْرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه، أو يُمَجِّسَانِه».

ولذلك يقول «فانسان مونتيه» أو «المنصور بالله الشافعي» كما يعتز باسمه الجديد بعد أن أشهر إسلامه: «لقد آمنت برسالة محمد ومصداقيتها، مثلما آمنتُ تماماً بوحدانية الله.. إن محمداً رسول الله حقّاً.. والقرآن الكريم مُوحًى به من عند الله وليس من إنشاء محمد أو صنعه.. ورسالته السماوية السمحاء ليست مقصورة على العرب.. وإنما هي للناس كافة.

وعمَّا استلفت نظره في الإسلام أيضاً يقول:

«رأيت في الإسلام تسامحاً مدهشاً، والأخلاق الرفيعة هدف كل مسلم.. كما رأيت رفضاً للرهبنة التي تجافي طبيعة الإنسان البشرية، فالإسلام يحفظ للإنسان إنسانيته، فيمنع عليه الرهبنة، ويدفعه إلى التمتع بالحياة وطيباتها، ما

(1) صحيفة الاتحاد التي تصدر في «الإمارات العربية المتحدة»، الصادرة في العاشر من نوفمبر 1989 (بتصرف).

لم تتعارض المتعة مع تعاليم الله تعالى.. ثم أخذ يُطَأطِئُ رأسه، ووجهه يشرق بابتسامة عريضة تالياً قوله تعالي:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: ٧٨).

ثم غابت ابتسامته فجأة وهو يتذكر المتحاملين على الإسلام، وما يرمونه به من تهم باطلة لا صحة لها على الإطلاق، فيستعرضها مفنداً:

أعداء الإسلام يَدَّعُون أن المسلمين لا يرضون من غيرهم إلا أن يكونوا مسلمين، فإذا لم يكونوا مسلمين أشهروا عليهم سيف الجهاد... في حين أنهم لو عقلوا ذلك جيداً لعلموا أن الجهاد الإسلامي مفروض، ولكن من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

ثم يواصل المفكر الإسلامي «المنصور بالله الشافعي» تفنيده لادعاءات الحاقدين على الإسلام فيقول:

«إنهم يتهمون الإسلام بالقسوة المفرطة، مع أن الإسلام دين السلام، والتسامح، والعفو، والمغفرة.. .. لقد تناسى هؤلاء كل العقوبات النصرانية فيما مضى، والتي أفرطت في القسوة، والتعذيب الذي وصل إلى حد الإحراق، وفصل أجزاء الجسد، فضلاً عن كثرة حالات الإعدام، وهو ما لم يشهده الإسلام في تاريخه.

كما أنهم يتهمون الإسلام بظاهرة الرِّقِّ التي وُجِدَتْ قبل الإسلام وليس بعده، بل حين انتشر الإسلام وطُبقت تعاليمه كان يسعي لإلغاء الرّق، بل إن كثيراً من الكفَّارات للذنوب التي يقدم عليها المرء هو تحرير الرقاب الذي عَدَّه الإسلام تقرباً وطاعة الله.

ثم يحاولون الإساءة إلى الإسلام من زاوية تعدد الزوجات، ولو عقلوا لوَجَدُوا أنه إن سمح حقّاً بذلك فإنه في الوقت ذاته وضع شروطاً دقيقة أساسها العدل

المطلق، والمعاملة الطيبة، كما نظر إلى النساء التي حالت ظروفهن دون الزواج، أو لمرض الزوجة، أو لأسباب أخرى.

ثم يصمت لحظة ليجزم بالقول:

«إن الإسلام بعظمته وعمقه، وبنقائه ورقُيه، وبتسامحه ودعوته لكرامة الإنسان في كل زمان ومكان ـ لن يستطيع أحدٌ أن ينال منه.. لأن الإسلام في ذاته قوي.. وتعاليمه تدعو إلى القوة بعدم ارتكاب المعاصي والذنوب التي تضعف القوة، مثل الزِّنَا، وشُرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، وغير ذلك مما يحرمه الدين الحنيف».

ويختم كلامه وقد غمرته سعادة إيمانية وهو يقول:

«لهذا اخترت الإسلام.. من أجل أن أشعر بالراحة في رحابه وظلاله... نعم، اعتنقتُ الإسلام لأشعر وأدرك أنني اعتنقت ديناً لا يفصل بين البدن والروح، بين النفس والجسد... يكفيني أن الإسلام دين نقي، يدفع إلى الأخلاق والتحلي بها، وإلى الكرامة الإنسانية والتمسك بها، من أجل ذلك شهدت أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً عبده ورسوله... وعلى ذلك ألقى ربي».

20 ـ المفكر النمساوي ليوبولد فايس[1]

قصة إسلامه كما كتبها بنفسه في كتابه الطريق إلى مكة[2]:

أفغانستان شتاء 1926:

كنت فى طريقى راكباً من هرات لكابول بصحبة إبراهيم، ودليل أفغاني الجنسية، نسير خلال جبال مدفونة مغطاة بالجليد، ووديان وطرق فى «هندو ـ كش» فى وسط أفغانستان. كان الطقس بارداً والجليد يتألق، وتقف على كل الجوانب جبال بيضاء، وأخرى سوداء.

كنت حزيناً، وفى نفس الوقت بشكل غريب كنت سعيداً هذا اليوم! أما حزنى، فقد كان لأن من كنت أعيش معهم فى الشهور السابقة، كانوا محجوبون ببلادة، عن حقيقة النور، والقوة، والتقدم، الذى يعطيه لهم إيمانهم، وفى نفس الوقت كانت سعادتى، بأن هذه الحقيقة والنور، والقوة والتقدم، فى متناول يدى تقريباً الآن، وأمام عينى، كهذه الجبال الشامخة البيضاء والسوداء التى أمامى.

بدأ حصانى يعرج وكأن شيئاً في حافره، ووجدت أن الحدوة الحديدية أصبحت معلقة فقط بمسمارين.

سألت رفيقنا الأفغانى، هل هناك قرية قريبة نجد فيها حداداً؟

نعم، قرية «ديهزانجى» تقع على بعد أقل من ثلاثة أميال، يوجد بها حداد هناك، وبها قصر حاكم «هزرجات».

وهكذا اتجهنا إلى هذه القرية، وتمهلنا فى المسير حتى لا نرهق الحصان.

---

(1) المصدر: الإسلام اليوم.

(2) محمد أسد: من كتاب (الطريق إلى مكة)، ص 295 ـ 311.

حاكم المنطقة، كان قصير القامة، وكان مرح الطلعة، ودوداً، وكان سعيداً أن يستضيف أجنبياً عنده فى قصره البعيد عن العمران، والمتواضع. وقد كان هذا الحاكم قريب للملك «أمان الله»، ومن المقربين له... وقد كان من أكثر من قابلت تواضعاً في أفغانستان. وقد أصر على بقائى فى ضيافته ليومين.

وفي مساء اليوم الثانى، جلسنا كالعادة لعشاء دسم، وبعد العشاء حضر رجل من القرية ليطربنا بأغانى شعبية، مصطحباً قيثارة بثلاثة أوتار، وكان يغني بلغة الباشتو التى لم أفهمها، ولكن بعض الكلمات الفارسية كانت تتخللها بوضوح، فى الغرفة الدافئة المغطاة بالسجاجيد، بينما وميض الثلج البارد يظهر من خلال النوافذ. أتذكر أنه كان يغنى عن المعركة بين داوود وجالوت، وبدأها بنغمة متواضعة، ثم تدرجت إلى بعض العنف، وانتهت بروح الانتصار. وبعد أن انتهت، قال الحاكم إن داوود كان شابّاً، ولكن إيمانه كان قويّاً...

ولم أتمالك من التعليق، فقلت «كذلك أنتم كثيرون ولكن إيمانكم ضعيف».

نظر إلى المضيف بدهشة، وارتباك لما تطوعت وذكرته، فأسرعت لأوضح قولى. وأخذ توضيحى شكل سيل من الأسئلة:

لماذا فقدتم أنتم المسلمون ثقتكم بأنفسكم، التى في القديم ساعدت على نشر الإيمان بالإسلام في أقل من مائة عام، من الجزيرة العربية غرباً إلى المحيط الأطلسى، وشرقاً فى العمق إلى الصين ـ والآن تستسلمون بضعف، إلى الأفكار والعادات الغربية؟ لماذا لا تستطيعون أنتم يا من كان آباؤكم الأوائل أناروا العالم بعلمهم وفنهم، بينما كانت أوروبا تغص في بربرية وجهل مدقع، فتعملوا من الآن على أن تعودوا لإيمانكم الخلاق؟ كيف أن هذا الأتاتورك التافه، الذى ينكر كل قيم الإسلام، قد أصبح عندكم رمزاً لإحياء الإسلام؟

استمر مضيفى فى صمته. وبدأ الجليد ينهمر فى الخارج. ومرة ثانية غمرنى

الشعور المزدوج، بالحزن والسعادة، الذى انتابنى حينما اقتربت من «ديهزانجى». أحسست بالفخار لما قد كان، وبالخجل لما عليه أبناء حضارة عظيمة.

هل لك أن تدلنى ـ كيف أن الإيمان الذى دلكم عليه نبيكم، وكل هذا الوضوح والبساطة، قد دفنت تحت أنقاض الثرثرة المتحزلقة، والشجار بين علمائكم؟ كيف أن أمراءكم والإقطاعيين يعيشون فى رفاهية، بينما إخوانهم من المسلمين، يذوقون الفاقة والفقر المدقع، فى حين أن نبيكم يقول أنه لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع؟ هل لك أن تشرح لى كيف نبذتم النساء خلفكم، بينما نساء الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته كن يشاركن الرجال فى أمورهم الهامة؟ كيف وصل الحال بكم أنتم المسلمون إلى الجهل والأمية، فى حين يقول نبيكم أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وفضل العالم على العابد كفضل البدر على سائر النجوم؟

ظل مضيفى يحملق فى دون كلام، وابتدأت أشعر أن ملحوظاتى قد أحبطته. أما الرجل ذو القيثارة كان لا يعرف الفارسية بدرجة تجعله يتتبع كلامى، وأخذ يتعجب من هذا الغريب الذى يتكلم بهذه النغمة مع الحاكم. وفى النهاية، أخذ الحاكم رداءه المصنوع من جلد الغنم وتدثر به، كما يكون قد أحس بالبرد! وهمس لي:

«لكأنك أنت مسلم....».

أخذنى الضحك وأجبت: «لا، أنا لست مسلماً، ولكنى ألممت ببعض القيم فى الإسلام التى تجعلني أغضب فى بعض الأحيان، كيف أنكم أنتم أيها المسلمون تضيعونها... أعذرنى إذا كنت قد أسأت فى الكلام، أنا لا أتكلم معك كعدو».

ولكن مضيفى هز رأسه قائلاً «لا فكما قلت لك، أنت مسلم، ولكنك لا تعرف نفسك... لماذا لا تنطق الآن وهنا بالشهادتين «لا إله إلا الله محمد رسول الله»،

وتصبح مسلماً فى حقيقة الأمر، فإنك مسلم قلبيّاً! قلها يا أخى، قلها الآن، وسأصطحبك غداً لكابول لملاقاة الأمير، الذى سيتقبلك بذراعين مفتوحتين كشخص مثلنا. سيمحنك منازل وحدائق وأغناماً، وسيحبك، قلها يا أخى...».

«إذا قلت ذلك، سيكون نتيجة لأن عقلى قد استراح، وليس نتيجة لأن الأمير منحنى المنازل والحدائق».

«ولكن» أصر مضيفى «أنت تعرف كثيراً عن الإسلام ربما أكثر من بعض المسلمين، ما هو الذى مازلت تريد أن تعرفه؟».

«المسألة ليست مسألة فهم، إنها مسألة اقتناع، الاقتناع بأن القرآن الكريم هو فعلاً كلمة الله، وليس مجرد كلمات من شخص نابه ذكى ذي عقلية متفوقة...».

ولكن كلمات صديقى الأفغاني أخذت تراودنى ولم تتركنى لشهورعدة!!!

●● أكملت رحلتى عبر أفغانستان عائداً مرة ثانية إلى هرات التى كنت قد ابتدأت منها، وكنا نقترب من الشتاء عام 1926، وهكذا تركت هرات فى المرحلة الأولى لطريق العودة للوطن، مستقلاً القطار من الحدود الأفغانية إلى «ماف» فى التركستان الروسية، ثم إلى سمرقند، وبخارى إلى طشقند ومن ثم ماراً بسهول التركمان إلى جبال الأورال، ثم موسكو. وهالنى الدعاية والمعلقات التى تهاجم الدين والألوهية أينما أحل أو أرتحل «وسأتوقف عن ذكرها لأنها مقززة».

وبشعور بالراحة عبرت الحدود البولندية، بعد أسابيع أمضيتها في آسيا، وروسيا الأوروبية. واتجهت مباشرة لفرانكوفرت حيث الجريدة التى أعمل بها حيث استلمت عملى. ولم يمض وقت طويل حتى اكتشفت أنه أثناء غيابى، قد أصبح اسمى مشهوراً، وأنى الآن أعتبر من المراسلين المرموقين فى وسط أوروبا. فبعض مقالاتى... خصوصاً تلك التى تناولت النفسية الدينية للإيرانيين - والتى قد جاءت

نتيجة لملاحظات علماء شرقيين بارزين، واستقبلت أكثر من أنها معارف عابرة. ونتيجة لأهمية هذا الإنجاز، فقد دعيت لإلقاء مجموعة من المحاضرات فى أكاديمية الجغرافيا السياسية ببرلين - حيث قيل لى أنه لم يسبق أن حدث من قبل أن شخصاً فى حداثة السن مثلى «حيث كنت حينئذ فى السادسة والعشرين»، قد منح هذا الامتياز. كما قمت بتدبيج مقالات أخرى عامة بتصريح من مجلة «فرانكفورت زيتنج»، فى صحف أخرى؛ وقد أعيد طبع إحدى المقالات كما أعلم ثلاثين مرة تقريباً. وبمعنى آخر، فإن رحلاتى الإيرانية، قد أثمرت.

وفى هذا الوقت تزوجت «إلسا». السنتان اللتان أمضيتهما فى الخارج، لم يضعفا من حبنا البعض، بل زادته قوة، وبسعادة غامرة لم أشعر بها من قبل، استقبلت تعليقاتها على الفرق الكبير فى السن بيننا.

«ولكن كيف تتزوجني؟»، بدأت فى النقاش معى. «أنت لم تصل بعد للست والعشرين عاما، وأنا فوق الأربعين، ألا تفكر فى ذلك، حينما تصل للثلاثين، سأكون أنا فى الخامسة والأربعين، وحينما تصل أنت للأربعين، سأكون امرأة عجوزاً...».

أخذت فى الضحك! «وما فى ذلك؟»، إننى لا أرى مستقبلاً بدونك.

وأخيراً سلمت للأمر.

لم أبالغ حينما قلت لها إننى لا أرى مستقبلاً بدونك. جمالها، ورقتها الفطرية، جذبتنى إليها بحيث لا أرى أى امرأة أخرى؛ وحساسيتها فى فهم ماذا أريد من الحياة، أضاء آمالى، ورغباتى، وأصبحت من الصلابة بمكان وأكثر إدراكاً، وطغت على تفكيري فى ماذا أعمل؟ فى إحدى المناسبات - بعد حوالى أسبوع من زواجنا، أبدت لى هذه الملاحظة: «كم أنت غريب الأطوار عن كل الناس؟ يجب عليك أن تخفض من روحانياتك فى الدين... أنت صوفى النزعة! -

حساس في صوفيتك، تشير بأصابعك إلى ما حولك فى الحياة، ولك رؤية متعمقة روحانية فيما يدور حولك يومياً من أشياء - بينما تمر مثل هذه الأشياء على الآخرين بلا اكتراث... ولكنك حينما تتجه إلى الدين، فكلك تركيز... مع الناس الآخرين فالوضع بالعكس تماماً...

ولكن إلسا لم تكن فى حيرة، فهى تعلم عن ماذا أبحث حينما أتكلم معها عن الإسلام؛ وبالرغم من أنها لم تكن فى نفس درجتى من الاضطرار، إلا أن حبها لى جعلها تشاركنى تساؤلاتى.

كثيراً ما كنا نقرأ القرآن سوياً، ونتناقش فى أفكاره؛ وكانت إلسا كما كنت أنا، معجبين بالتماسك الداخلى بين تعاليمه الأخلاقية، وإرشاداته العملية. فاستناداً إلى القرآن «الكريم»، فالله لم يدع الإنسان إلى أن يتضرع إليه معصوب العينين، بل لابد له أن يعمل عقله؛ لم يتنح الله بعيداً عن الإنسان، بل هو أقرب إليه من حبل الوريد؛ لم يخط الله خطّاً فاصلاً بين الإيمان والسلوك الاجتماعى؛ والشىء الذى يعتبر فى غاية الأهمية، أن الإسلام لم يبدأ من بديهية أن الحياة محملة بالصراع بين الروح والجسد، وأن النجاة هى فى تحرير الإنسان من قيود الجسد. كل مظهر من مظاهر إنكار الحياة، وتحقير الإنسان لنفسه، أدانها الإسلام فى أحاديث لرسول الله «صلى الله عليه وسلم»... مثل «لاحظ».. «أعتقد أنه أراد أن يشير هنا إلى حديث الثلاثة الذين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رغب عن سنتى فليس منى». فالإنسان مطالب بأن يعيش حياته كاملة وبشكل إيجابى، فما منح غرائزه إلا لتؤدى ثمرتها، ولكن ليستخدمها بطهر وأخلاق وفى محلها الصحيح. ومن التعاليم للإنسان: أنه ليس لك فقط أن تعيش حياتك، بل المفروض عليك أن تعيشها بكل أبعادها.

صورة متكاملة للإسلام تنبثق فى ذهنى وبشكلها النهائى وبتحديد، مما أدهشنى أحياناً! كانت تتشكل فى عملية من الممكن أن أسميها تفاعلات ذهنية -

وبدون وعى منى، فقد بدأت تتجمع من أجزاء متفرقة ومنتظمة، فإذا وضعت هذه المتناثرات بعضها إلى بعض، رأيت نظاماً هندسياً دقيقاً، أخذ ذهنى يجمعه فى السنوات الأربع الماضية، لأرى بناء على كل عناصره متناسقة منسجمة، تتجمع لتتمم وتعاضد بعضها البعض، لا شىء فيه ينقصه، ولاشىء يزيد عن متطلباته - متزن وهادئ، يعطى الانطباع بأن مسلمات الإسلام كلها فى وضعها الصحيح.

منذ ثلاثة عشر قرناً مضت، «يلاحظ أن الكتاب قديم» وقف رجل وهو يقول: «ما أنا إلا رجل هالك، ولكن الذى خلق الكون أوحى إلى أن أحمل رسالته لكم، حتى تعيشوا منسجمين مع كل خلقه، وقد أمرنى بأن أذكركم بوجود إله له كل القدرة وكل العلم، وقد وضع لكم منهاجاً للسلوك الصحيح، إذا قبلتموه فلتتبعونى.. هذا كان هوالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه كانت رسالته.

النظام الاجتماعى الذى أعلنه، كان من البساطة التى تربط مفرداته بالعظمة الحقيقية. بدأ بالتسليم بأن الإنسان كائن حى له متطلبات حيوية، وهذه المتطلبات تخضع للحل والحرمة اللذين يقرهما الله سبحانه وتعالى، وأن الإنسان اجتماعى بطبعه يحتاج إلى مجتمع يحيط به، ولكى يحقق احتياجاته الثقافية والأخلاقية والطبيعية، فلابد أن يعتمد كل على الآخر. إن ازدهار القوام الروحى للإنسان (وهو هدف كل الأديان)، يعتمد عما إذا كان يتلقى دعماً، وتشجيعاً، وحماية له ممن حوله. هذا التكافل الاجتماعي، يظهر السبب لماذا يهتم الإسلام بالنواحى العامة الاقتصادية والسياسية، ولا ينفصل عنها. ولتنظيم علاقات إنسانية بطريقة عملية بحيث لو قابل أى فرد بعض العقبات،يجد التشجيع اللازم لتنمية شخصيته: هذا، ولا شىء آخر، يبدو أنه هو مفهوم الإسلام للوظيفة الحقيقية للمجتمع. وهكذا من الطبيعى أن التشريع الذى أتى به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام خلال ثلاثة وعشرين عاماً من مبعثه، لا يرتبط فقط بالنواحى الروحية، بل يمتد ليشمل الإطار لكل الأفراد وللمجتمع أيضاً. يشمل

ليس فقط مفهوم النقاء الفردى، ولكن يتضمن المجتمع العادل الذى يؤدى هذا النقاء إليه. كذلك يتضمن الخطوط العريضة للمجتمع السياسى.. أما التفاصيل فمتروكة للتطورات التى تحدث مع الزمن المتغير.. كما يحدد حقوق الأفراد وواجباتهم نحو المجتمع الذى يعيشون فيه، آخذاً بعين الاعتبار حقيقة ما يجد من أمور. فالشريعة الإسلامية تتضمن كل مناحى الحياة، أخلاقية، طبيعية، فردية، اجتماعية، العلاقة بين الجسد والروح والعقل، الجنس، الاقتصاد، كل ذلك جنباً إلى جنب، مع اللاهوت والعبادة، كل أمر من الأمور له وضعه فى تعليمات النبى عليه الصلاة والسلام، ولا شئ يخص الحياة ينظر إليه على أنه تافه ليخرج من دائرة التصور الدينى.. ليس حتى مثل هذه القضايا الدنيوية، كالتجارة، والميراث، وحق الملكية، وامتلاك الأراضى.

●● كل مفردات الشريعة، وضعت للانتفاع المتساوى بين أفراد المجتمع، بدون تمييز بين مكان المولد، الأعراق، الجنس، أو ولاء اجتماعى سابق. لا منافع خاصة حجزت لمؤسس المجتمع أو أحفاده. (**مداخلة: لذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام (نحن معشر الأنبياء لا نُوَرثُ، ما تركناه صدقة»**). لا توجد طبقات عليا وطبقات دنيا فى المفهوم الاجتماعى، ليست من مفردات القاموس الإسلامى؛ ولا أثر لها فى الشريعة الغراء. كل الحقوق والواجبات والفرص، موزعة بين أفراد المجتمع المؤمن بالتساوى.

لا يوجد كهنة بين الله والإنسان، لأن الله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم. لا ولاء إلا لله ورسوله، وبأمر من الله للوالدين، وللمجتمع المسلم المنوط بتحقيق مملكة الله على الأرض؛ وبذلك فلا يجوز الذى يعلى كلمة «بلادي أو أمتى»، ولتوضيح هذا المفهوم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكثر من مناسبة، قال بوضوح: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية».

كل المنظمـات قـبل الإسـلام... حـتى الدينيـة أو شـبـه الدينيـة.. كـانت تنهج المفهوم الضيق، للعصبية القبلية والعشائرية. فمثلاً الملوك المتألهون، الفراعنة فى مصر، لا يفكرون إلا فى أضيق الحدود التى يعيش فيها المصريون؛ وحتى إله بنى إسرائيل فهو إله فقط للشعب المختار.

بالعكس فـالمفاهيم المستقاة من القرآن الكريم ترفض رفضاً باتّاً التمسك بالعشيرة أو القبيلة. الإسـلام افترض مجتمعاً سياسيّاً بعيداً عن الانقسامات العرقية والقبلية. وفى هذا المجال فإن الإسلام والنصرانية يتفقان فى الدعوة العالمية بعيداً عن القبلية، وفى حين أن النصرانية قد حددت نفسها فى مفهوم «أعطى ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»، إلا أن مفهوم الإسلام أوسع من ذلك، فقد دعى كل الأمم أن يكون الولاء لله فقط.

وبذلك.. لتحقيق ما لم تحققه النصرانية.. فقد أضاف الإسلام منظوراً آخر فى تطوير الإنسان: دعا إلى مجتمع مفتوح عقائديّاً، بالمقارنة مع المجتمعات المغلقة التى نشأت فى الماضى، عِرْقيّاً، وجغرافيّاً. رسالة الإسلام أعطت تصوراً، ومنحت البشرية حضارة لا مكان فيها للقومية، لا مصالح شخصية، لا طبقية، لا كنيسة، لا كهنة، لا طبقة نبلاء متوارثة، فى الحقيقة، لا شىء متوارث على الإطلاق.

ومن أهم الميزات فى هذه الحضارة.. ميزة لم توجد فى أى تحركات للإنسان عبر التاريخ.. أنها نشأت عن قناعة واتفاق تطوعى بين معتنقيها والله. هنا، التقدم الاجتماعى.. مخالف عما حدث فى المجتمعات الأخرى.. لم يحدث نتيجة لضغوط، ومقاومة لهذه الضغوط، نتيجة للمصالح المتعارضة، ولكن كجزء لا يتجزأ من تعليمات أصيلة. وبكلمات أخرى، هناك عقد اجتماعى متأصل فى النفوس، يسيطر على جذور الأعمال.. ليس نتيجة أوامر صاغها من بيدهم الأمر دفاعاً عن مكتسباتهم.. بل حقيقة متأصلة جذورها فى الحضارة الإسلامية.

فقد ذكر القرآن الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ.... فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

عرفت (من تتبعى لقراءة الحضارة الإسلامية).. أن هذا العقد الذى سجله التاريخ... قد تحقق لفترة وجيزة جدّاً، أو بالأحرى فخلال فترة وجيزة جدّاً كانت هناك محاولات جادة لتحقيقه. فيما أقل من قرن بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم، النظام النقى للإسلام بدأ فى الفساد السياسى، ودفع فى القرون التالية إلى الخلف. ظهرت التطلعات العشائرية لامتلاك القوة، بديلاً عن الرأى الحر للرجال والنساء، الملكية الوراثية بديلاً عن المفهوم السياسى فى الإسلام كنوع من الشرك فى المفهوم الإسلامى (**مداخلة: أعتقد أنه يشير هنا إلى حديث ليس منا من دعى إلى عصبية**) - ومع هذا أيضاً ظهرت الدسائس والصراعات القبلية والظلم، واضمحلال الوازع الدينى، والمهانة فى خدمة من بيده السلطة: باختصار حلت المصالح الشخصية التى عرفت فى التاريخ. ولوقت من الزمن، حاول علماء ومفكرون عظام، أن يعيدوا للإسلام رونقه ويذكروا الناس بمفاهيمه النقية، ولكن جاء من بعدهم أقوام دأبوا على تقليد الأجيال السابقة، وانتكسوا بعد قرنين أو ثلاثة قرون، وتوقفوا عن التفكير لأنفسهم.. متناسين أن كل عصر يختلف عن سابقه، وكل عصر له احتياجاته الخاصة التى تحتاج إلى التجديد. لقد كان الدفع الأصلى للإسلام فى بدايته عظيماً، ورفع الأمة الإسلامية إلى مستويات عالية من الثقافة والحضارة العظيمة.. حتى إن المؤرخين يسمون ذلك العصر الذى تحقق، بالعصر الذهبى للإسلام، من الناحية الأدبية، والفنية، والعلمية، والثقافية، ولكن بعد ذلك العصر بقرون بسيطة خمد الحافز الإيمانى الذى كان يغذى هذا التقدم، وأصبحت الحضارة الإسلامية راكدة، ومجردة من قوتها المبدعة.

....

لم أتأثر بالوضع الحالى للعالم الإسلامى. السنوات الأربع التى قضيتها فى

البلدان الإسلامية، أوضحت لى، بأنه بالرغم من أن الإسلام ما زال حيّاً، كما هو فى عيون العالم، يؤثر من الناحية الأخلاقية فى أتباعه، غير أنهم قد أصابهم الشلل، بحيث لم يترجموا مبادئه إلى عمل مثمر. ولكن ما شد انتباهى، بعيداً عن حالة المسلمين فى عهدنا هذا، هو القوة الكامنة فى تعاليم الإسلام نفسه. كان كافياً لى أن أعلم أنه فى مدة قصيرة فى بداية التاريخ الإسلامى، محاولة ناجحة قد تمت لتطبيق هذا النظام إلى عمل؛ وبالتالى، ما كان ممكناً فى وقت من الأوقات، يظل ممكناً فى غيره من الأوقات. ماذا يهم.. قلت لنفسى.. إن كان المسلمون قد انحرفوا عن تعاليم دينهم الأصلية، وركنوا إلى الكسل والجهل؟ ماذا يهم إذا كانوا لا يأخذون بالتعاليم المثالية التى أمامهم، والتى جاءت على لسان النبى العربى منذ ثلاثة عشر قرناً مضت.. إذا كانت هذه التعاليم ما زالت متاحة للجميع ولكل من يرغب ليستمع إليها؟ وربما نكون.. أخذت أفكر.. نحن المتأخرين أشد حاجة لهذه الرسالة من المسلمين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. لقد عاشوا هم فى مناخ أبسط بكثير من المناخ الذى نعيش نحن فيه، وكانت مشاكلهم والصعوبات التى يواجهونها أبسط من تلك التى نواجهها، وتحتاج إلى حلول غير معقدة كما نواجه. العالم الذى أعيش فيه.. كل العالم الآن.. يتململ لعدم وجود أية قواعد روحانية تفصل بين الخير والشر، وبالتالى، اقتصادياً واجتماعيّاً، لا أعتقد أن الإنسان الفرد فى حاجة إلى خلاص، بل المجتمع هو الذى فى حاجة إلى مخلص! أكثر من أى وقت مضى، أخذت أشعر بيقين متزايد، أن وقتنا هذا فى أشد الحاجة إلى قاعدة أيديولوجية، وإلى عقد اجتماعي جديد: فى حاجة إلى الإيمان بالله، وتفهم مدى الفراغ الذى يحدثه التقدم المادى فقط.. ومن ثم نعطى الحياة حقها؛ كيف نوازن بين احتياجات الروح والجسد، ويكون فى ذلك الإنقاذ من كارثة محققة نسرع إليها متهورين.

....

غنى عن القول أن مشكلة الإسلام فى هذه الفترة... فقد كانت مشكلة

بالنسبة لى.. شغلت تفكيرى أكثرمن أى شىء آخر. فى هذه اللحظات، تعدى استيعابى للموضوع مراحله الأولية، حينما كان الموضوع بالنسبة لى ليس أكثر من أبحاث ثقافية، وأيديولوجية جذابة: أصبح الوضع الآن هو بحث مُرَكَّز عن الحقيقة. مقارنة هذا البحث، بسفريات السنتين الماضيتين، والتى أسفرت عن لا شيء: أصبح التركيز على إكمال الكتاب الذى عهدت لى به جريدتى «فرانكفورت زيتنج» من المستحيل.

فى البداية كانت نظرة دكتور سيمون متساهلة، لترددى فى الاستمرار فى إنهاء الكتاب. فقد عدت من رحلة طويلة تستحق نوعاً من الأجازة، وزواجى الحديث يعطينى بعض الحق فى التراخى فى الكتابة الروتينية. ولكن حينما تماديت فى التراخى، ونظراً لأن دكتور سيمون يتحمل المسئولية عن الكتاب، فقد طلب منى أنه قد حان الوقت لأنزل إلى الأرض.

فى الماضى، كنت أرى أنه متفهم للوضع، ولكنى الآن أرى غير ذلك. ملاحظاته المستمرة، وتساؤلاته اللحوحة عن تقدمى فى تحرير الكتاب، أدت أثرها المعاكس لما كان ينشده، فقد شعرت بأن الأمر مفروض على مما جعلنى أمقت فكرة الكتاب نفسها. كنت مهتم أكثر بما كنت ما أزال أريد أن أكتشفه عن ذلك الذى أريد أن أسجله من أحداث مرت بى فى رحلتى.

فى نهاية الأمر أثار دكتور سيمون هذه الملاحظة «أعتقد أنك لن تنتهيَ من الكتاب البتة، أنت تعيش فى داخلك فى رعب ما». وكالملدوغ رددت عليه: «ربما المرض الذى أعانيه أكثر من الرعب».

«إذا فما دمت فى هذا العناء» قال ذلك بحدة «فهل تعتقد أن الصحيفة هى المكان المناسب لك».

كلمة منه وكلمة منى، تحول الأمر إلى شجار، وفى نفس اليوم قدمت استقالتى من الصحيفة، وبعد أسبوع سافرت أنا وإلسا إلى برلين.

لم أكن بالطبع أنوى ترك الصحافة، فقد كانت جزءاً من راحتى النفسية وسعادتى فيها وفى الكتابة.. بعدت عنهما مؤقتاً نتيجة للكتاب.. وكيف لا؟ وهى التى أعادتنى للعالم الإسلامى، وهذه العودة كنت حريصاً عليها بأى ثمن. ولكن بالنسبة للشهرة التى اكتسبتها فى الأعوام الأربعة الماضية، لم يكن من الصعب علي العودة إلى الصحافة ثانياً. فبسرعة جدّاً حصلت على عقد مجز ومريح مع ثلاث صحف بزيورخ، وبالرغم من أنها لم تكن فى مستوى الصحيفة السابقة إلا أنها من الصحف الشهيرة بأوروبا.

ومنذ ذلك الحين، بقيت أنا وإلسا فى برلين، لأكمل محاضراتى عن الإسلام فى أكاديمية الجغرافية السياسية. أصدقائى الأدباء السابقون فرحوا بعودتى لهم، ولكن لم تكن العلاقة الجديدة فى نفس المتانة التى تركتهم بها قبل سفرى للشرق الأوسط. صارت لغتنا الثقافية مختلفة عما سبق. وبالتحديد، لم أكن أستطع استخراج أية معلومات من مناقشاتى معهم عن الإسلام. كانوا يهزون رؤوسهم، بحيرة حينما كنت أقول لهم إن الثقافة الإسلامية يمكنها أن تنافس أيدلوجيات أخرى. وبالرغم أنه فى بعض الحالات، كانوا يوافقون على رأى من هنا أو هناك من مفاهيم الإسلام، إلا أنهم فى العموم يقولون إن الأديان الماضية هى جزء من الماضى، وأننا فى حاجة إلى تجديد فى المفاهيم، ونظرة «إنسانية» جديدة. وحتى أولئك الذين لا ينكرون أهمية المؤسسات الدينية، لم يكونوا مستعدين للتخلي عن النظرة الأوربية للإسلام، بأنه يفتقد إلى الوضوح الذى يتوقع من الأديان.

وقد أدهشنى أن سمة الإسلام التى اكتشفتها من أول لحظة... وهى عدم وجود فصل بين الروح والجسد، وأن التأكيد على أن العقل هو الطريق للإيمان.. لم تكن واضحة عند المثقفين، الذين ما فتئوا يقولون بأن العقل هو المهيمن على كل شىء فى الحياة: «فالعقلانية و«الواقعية»، ليس لهما مكان فى مجال الدين

عندهم. وفى هذا الخصوص لم أجد فرقاً بين هؤلاء المتدينين، وهؤلاء الذين طرحوا الدين وراءهم.

مع الوقت، فهمت أين تكمن فيهم هذه الصعوبة. بدأت أدرك أنه فى عيون أولئك الذين يدورون فى مدار النصرانية.. بضغوطها على عالم «ماوراء الطبيعة» المتأصلة زعماً فى كل تجربة دينية حقيقية.. فإنه من الدرجة الأولى فكل نظرة عقلانية، تكون سبباً فى الانتقاص من القيمة الروحية، وذلك ليس خاصّاً بمؤمنى النصارى فقط. وذلك لطول العهد بالأوروبيين فى ظل النصرانية، فمن حيث لا يدرون وبلا شعور، تعلموا أن ينظروا للدين من خلال المنظار النصرانى، ومفاهيم النصرانية، ويعتبرون فقط أنها «صحيحة»، إذا كانت مصحوبة بآثار الرهبنة والخشوع، بعيداً عن الفهم الثقافي. فالإسلام لا يحقق هذه الفرضية: الإسلام يصر على التعاون بين السمات الروحانية والمادية للحياة، وذلك على قاعدة متينة طبيعية من المنهاج فى الحقيقة فنظرته للحياة، تختلف جذريّاً عن مفاهيم النصرانية، وهذه المفاهيم هى التى اعتمدها الغرب كأساس للحياة، وبذلك يقيسيون صلاحية الآخر بهذه المقاييس.

أما بالنسبة لى، فقد كنت أعرف أننى منجذب إلى الإسلام لا محالة، ولكن التردد جعلنى أؤجل القرار الأخير، القرار الذى لا رجعة فيه. فكرة اعتناق الإسلام، هى كرحلة على جسر طويل جدّاً بين عالمين مختلفين: جسر إذا وصلت لنهايته، فلن ترى بدايته. كنت على بينة ، بأننى لو أسلمت، فسأفصل نفسى عن العالم الذى نشأت فيه. لأدخل آخر سأعيش به. لا يمكن لمن يجيب حقيقة دعوة الرسول «عليه الصلاة والسلام»، أن يبقى صلة داخلية مع المجتمع الذى يعيش على مفاهيم مغايرة.. هل الإسلام حقيقة رسالة من الله «سبحانه وتعالى»، أم هو مجرد حكمة من رجل عظيم، ولكنه غير معصوم؟

●● فى أحد الأيام ـ كان ذلك فى سبتمبر 1926 ـ كنت أنا وإلسا نستقل

مترو الأنفاق فى برلين، كنا فى الدرجة الأولى. وقعت عينى بالصدفة على رجل أنيق، يظهر أنه من رجال الأعمال، ويحمل حقيبة جميلة على رجليه، وبيده خاتم كبير الحجم من الماس!!! ولم يكن هذا المنظر للرجل غريباً فى هذه الأيام، وهو يعكس الرخاء الذى حل بوسط أوروبا، بعد سنوات التضخم التى قلبت الموازين رأساً على عقب. معظم الناس الآن يلبسون ثياباً جيدة، ويأكلون الطيب من الطعام، ولذلك فالرجل الجالس قبالتى ليس بدعاً فى ذلك. ولكنى عندما تحققت فى وجهه، وجدت الكآبة عليه! كان يظهر عليه القلق: وليس فقط القلق، بل التعاسة أيضاً، عيونه تحملق إلى أعلى، وزوايا فمه تتحرك كأن به ألماً... ليس ألماً جسمانيّاً. وحتى لا أتهم بالوقاحة فقد صرفت عينى عنه، لتقع على سيدة أنيقة. فوجدت أيضاً التعاسة على وجهها، وكأنها عانت من شىء ما، ولكن الابتسامة على وجهها كانت ابتسامة متكلفة. وهكذا بلا وعى أصبحت أتلفت حولى فى الوجوه التى بالمقصورة، لأرى أن الغالبية من الوجوه، تعكس عن معاناة مخبوءة فى العقل الباطن لهم، وهم لا يشعرون بذلك.

فى الحقيقة كان شيئاً غريباً بالنسبة لى! لم أر من قبل مثل هذا العدد من التعساء، وربما لأنه لم يسبق لى أن تفحصت مثل هذه الوجوه، لأجد هذه الظاهرة تصرخ بأعلى الصوت فى وجوههم. الانطباع كان قويّاً داخلى، حتى أننى ذكرته لإلسا، والتى بدأت هى الأخرى تجول فى الوجوه التعسة بعناية، وهى الرسامة المتعودة على كشف تعبيرات الوجوه البشرية. التفتت نحوى مستغربة قائلة «أنت على حق، كلهم يظهر عليهم كأنهم يعانون من عذاب الجحيم».. أتساءل هل يا ترى هل يدرون ما يدور فى أنفسهم؟

أنا أعرف أنهم بالطبع لا يعلمون شيئاً عن ذلك، وإلا لأنقذوا أنفسهم من تضييع حياتهم فيما يتعسها، بلا إيمان، وبعيداً عن الحقيقة، بلا هدف غير جمع الأموال، والثروة والجاه، ورفع مستوى معيشتهم، بلا أمل غير امتلاك وسائل الراحة أكثر، وأمور مادية أكثر، وامتلاك للقوة أكثر.

حينما عدنا للمنزل، ألقيت نظرة على مكتبى، وعليه نسخة من القرآن الكريم، فأردت أن أضعها فى المكتبة، ولكنى بطريقة تلقائية فتحته لأقرأ فيه، فوقعت عينى على سورة التكاثر، فأخذت أقرأها:

بسم الله الرَّحْمن الرَّحيم: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ (التكاثر).

فى لحظة انعقد لسانى عن الكلام. واهتز الكتاب فى يدى، وناولته لإلسا، اقرئى هذا! أليست هذه هى الإجابة على ما شاهدناه فى مترو الأنفاق؟

نعم إنها الإجابة.. نعم إنها الإجابة القاطعة والتى أزالت أى شك عندى أن هذا الكتاب الذى بين يدى الآن، هو وحى من عند الله العليم بالنفوس: فمنذ ثلاثة عشر قرناً أنزل على رجل لا يعلم دخائل النفوس، ولا يتوقع هذه الصورة التى رأيناها اليوم فى مترو الأنفاق، والوضع المعقد الذى نعيشه الآن.

فى كل الأوقات كان الجشع موجوداً، ولكنه لم يكن فى وقت من الأوقات من قبل بمثل هذه البشاعة.. كان مجرد رغبة فى امتلاك الأشياء.. ولكن أن يصبح ذلك هوساً يغطى على كل شىء آخر: شهوة لا تقاوم، لتعمل ولتدبر أكثر فأكثر، اليوم أكثر من أمس، والغد أكثر من اليوم.. شيطان يلوي أعناق الرجال ويلهب قلوبهم بالسياط لينفذوا مآربهم التى تبرق أمامهم، ولكن حين يصلوا إليها لا يجدونها إلا شيئاً حقيراً، وما أن تقع فى أيديهم حتى يتطلعوا إلى مآرب جديدة أخرى براقة، ذات إغراء أكثر، سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.. هذا الجوع، والجوع النهم سيظل دائماً موجوداً، لن يصلوا إلى الشبع مطلقاً: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر: ٥ ـ ٨).

الآن رأيت أن هذه ليست حكمة رجل فى التاريخ الغابر فى الجزيرة العربية. مهما كان من الحكمة، فهو لن يتنبأ بالجحيم الذى نعايشه فى القرن العشرين. القرآن يتكلم بصوت أكبر من صوت محمد «عليه الصلاة والسلام».

●●●

لقد انقشع الظلام.. وها أنا هنا فى ساحة المسجد النبوى، والمضاء بمصابيح الغاز المعلقة على الأعمدة بالأروقة. يجلس الشيخ «عبدالله بن بلهيد» ورأسه محنية على صدره، وعيناه مغمضتان. من لا يعرفه يظن أنه نائم، ولكنى أعرفه، وأعلم أنه يستمع إلىَّ بكل حواسه وخبرته فى الرجال، ويحاول أن يزن كلامى ويضعه موضعه. وبعد فترة طويلة فتح عينيه ورفع رأسه: وحينئذ، ماذا فعلت؟؟؟

من الواضح يا شيخ بحثت عن صديق لى مسلم، كان هنديّاً، رئيساً لمجموعة مسلمة فى برلين، وقلت له إننى أريد اعتناق الإسلام. مد يديه فى اتجاهى، فوضعت يديَّ فيهما ونطقت بالشهادتين «أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»، وبعد بضعة أسابيع أعلنت زوجتى إسلامها وفعلتْ ما فعلتُ.

●●●

وهذا ما كتبه عنه حسن السعيد في كتاب (الإسلام والغرب الوجه الآخر):

في صيف عام 1900م، ولد «ليوبولد فايس» في مدينة «لوو» البولونيّة، التي كانت تابعة يومئذ للنمسا. كان ثاني ثلاثة إخوة لأبويه. وعن أجواء الطفولة وانعكاساتها يقول «فايس»: «لقد كانت طفولة سعيدة مرضية حتّى في ذكراها، لقد كان والداي يعيشان في ظروف مريحة، وكانا يعيشان لأولادهم أكثر من أي شيء آخر. ولعلّه كان لوداعة أُمّي وهدوئها علاقة أو تأثير، بالسهولة التي تمكّنتُ بها، في السنين التالية، من أن أُكيّف نفسي للأحوال والظروف الجديدة،

والمشؤومة إلى أبعد الحدود. أمّا تبرّم أبي الداخليّ، فلعلّه منعكس فيما أنا عليه اليوم».

ورغم أنّ أباه كان من أُولئك الذين يعتبرون الدّين خرافة عتيقة، يمكن للمرء، في بعض المناسبات، أن يمتثل لها خارجيّاً، ولكنّه يخجل منها في سرّه.. غير أنّه مراعاة لأبيه (الذي كان حاخاماً) وحميّه ـ والد زوجته ـ ألح على «فايس» أن يقضي الساعات الطوال في درس الكتب المقدّسة. وهكذا لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتّى أصبح في إمكانه قراءة العبرانيّة بسهولة، والتكلّم بها بطلاقة؛ وذلك بمقتضى متطلّبات تقاليد عائلته اليهوديّة. بيد أنّه سرعان ما أُصيب بخيبة أمل باليهوديّة أودت به إلى نبذ كلّ دين نظاميّ دستوريّ، حسب تعبيره.

في أواخـر 1914م، وبعد اشتعال نيران الحرب العالميّة الأولى، بدا له أنّ الفرصة الكبرى لتحقيق أحلامه الصبيانيّة علي قاب قوسين أو أدنى. كان إذ ذاك فى الرابعة عشرة من عمره، فهرب من المدرسة والتحق بالجيش النمساويّ، بعد أن اتّخذ له اسماً مزوّراً، وبعد أسبوع أو نحو ذلك نجح والده في أن يتعقّب آثاره بواسطة البوليس، فيعيده مخفوراً إلى فينّا، حيث كانت عائلته قد استقرّت قبل ذلك بزمن قليل، وحينما استدعي إلى الخدمة العسكرية، بعد أربع سنوات كانت أحلامه حول «المجد العسكريّ» قد تبدّدت، وليتطلّع إلى سُبل أخرى لتحقيق ذاتيّته.

انصرف طيلة عامين تقريباً بعد انتهاء الحرب، وبصورة متقطّعة نوعاً ما، إلى دراسة تاريخ الفنون والفلسفة في جامعة «فينا».. لكنّ المسلك العلميّ الهادئ لم يكن يجذبه.. ليقرّر ترك الدراسة نهائيّاً، ومن ثمّ يجرّب حظّه في الصحافة. دشّن حياة المهنة بالطواف في أنحاء العالم الإسلامي، كمراسل صحافي. والوطن الإسلامي آنذاك كان يعيش حالة الانهيار والهزيمة، وإذا كانت المفارقات تنبّه النفوس وتحرّك العقول، فلا شكّ أنّ «فايس» بعقله النيّر قد لاحظ هذه المفارقة

التي تزامنت آنذاك بين الأيّام القريبة لصولة الدولة الإسلاميّة، واتّساعها شرقاً وغرباً لتحتلّ حتى جزءاً من وطنه النمساويّ، وبين حالها بعد الحرب العالميّة الأولى..

وهكذا بينما كان صاحبنا منبهراً بالقوّة الكامنة في الإسلام، كان في الوقت نفسه، يحسّ بالإشفاق والعطف على هذه الأمة التي غدت حائرة تنشد طريقاً للخلاص ونهاية للمحنة.. كل ذلك تحوّل إلى اهتمام جارف لدى «فايس» بوضع المسلمين ليجد نفسه، في النهاية، إزاء خيار وحيد، وهو أن يعتنق الإسلام، وليقضي بقيّة حياته الفكرية في خدمة الإسلام والنّصح للأُمة حتّى وفاته في شباط (فبراير) 1992م.

كيف اعتنق الإسلام ولماذا؟

وعن كيفية اعتناقه الإسلام، ولماذا اعتنقه.. يحدِّثنا «محمّد أسد» فيقول:

«في عام 1922م تركتُ النمسا بلادي لأتجوّل في أفريقيا وآسيا بصفتي مراسلاً لبعض أُمّهات الصحف الأوروبيّة. ومنذ ذلك الحين قضيت كلّ أوقاتي تقريباً في الشرق الإسلاميّ.. ولقد كان اهتمامي بالشعوب التي احتككتُ بها في أوّل أمري اهتمام رجل غريب. لقد رأيتُ نظاماً اجتماعيّاً ونظرة إلى الحياة تختلف اختلافاً أساسيّاً عما هي الحال في أوروبا. ومنذ البداءة الأولى نشأ في نفسي ميل إلى إدراك للحياة أكثر هدوءاً ـ أو إذا شئت ـ أكثر إنسانيّة، إذا قيست تلك الحياة بطريقة الحياة الآليّة العجلى في أوروبا، ثمّ قادني هذا الميل إلى النظر في أسباب هذا الاختلاف.

وهكذا أصبحتُ شديد الاهتمام بتعاليم الإسلام الدينيّة. إلاّ أنّ هذا الميل لم يكن في الزمن الذي نتكلّم عنه، كافياً لجذبي إلى حظيرة الإسلام، ولكنّه كان كافياً لأن يعرض أمامي رأياً جديداً في إمكان تنظيم الحياة الإنسانيّة مع أقل قدر ممكن من النزاع الداخليّ وأكبر قدر ممكن من الشعور الأخويّ الحقيقيّ.

.. لقد شجّعني هذا الاكتشاف، لكن الذي حيّرني كان ذلك التباعد البيّن بين الماضي والحاضر، من أجل ذلك حاولتُ الاقتراب من هذه المشكلة البادية أمامي من ناحية أشدّ صلة، لقد تخيّلت نفسي واحداً من الذين يضمّهم الإسلام. على أنّ ذلك كان تجربة عقليّة بحتة، ولكنّه كشف لي في وقت قصير عن الحلّ الصحيح.

وكنتُ كلّما زدتُ فهماً لتعاليم الإسلام من ناحيتها الذاتيّة، وعظم ناحيتها العلميّة ازددتُ رغبة في التساؤل عمّا دفع المسلمين إلى هجر تطبيقها تطبيقاً تامّاً على الحياة الحقيقيّة. لقد ناقشتُ هذه المشكلة مع كثير من المسلمين المفكّرين في جميع البلاد ما بين طرابلس الغرب إلى هضبة البامير (في الهند)، ومن البوسفور إلى بحر العرب، فأصبح ذلك تقريباً شجًى في نفسي طغى في النهاية على سائر أوجه اهتمامي بالعالم الإسلاميّ من الناحية الثقافية. ثمّ زادت رغبتي في ذلك شدّة، حتّى أنّي - وأنا غير المسلم - أصبحتُ أتكلّم إلي المسلمين أنفسهم مشفقاً على الإسلام من إهمال المسلمين وتراخيهم. لم يكن هذا التطوّر بيّناً في نفسي، إلى أن كان يوم - وذلك في خريف عام 1925م - وأنا يومذاك في جبال الأفغان، فقد تلقّاني حاكم إداري شاب بقوله: «ولكنّك مسلم، غير أنّك لا تعرف ذلك من نفسك». لقد أثّرت فيّ هذه الكلمات، غير أنّي بقيت صامتاً. ولكن لما عدتُ إلى أوروبا مرّة ثانية في عام 1926م، وجدتُ أنّ النتيجة المنطقيّة الوحيدة لميلي هذا أن أعتنق الإسلام».

وحال اعتناقه الإسلام تسمّى بـ «محمّد أسد». ومنذ ذلك الحين وهذا السؤال يُلقى عليه مرّة بعد مرّة: لماذا لا أعرف جواباً شافياً. لم يكن الذي جذبني تعليماً خاصّاً من التعاليم،بل ذلك البناء المجموع العجيب المتراصّ بما لا نستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقيّة بالإضافة إلى منهاج الحياة العمليّة. ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها، فإنّ الإسلام

على ما يبدو لي، بناء تام الصنعة، وكلّ أجزائه قد صيغت ليتمّم بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً. فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هنالك نقص في شيء، فنتج عن ذلك كلّه ائتلاف متّزن مرصوص. ولعلّ هذا الشعور من أنّ جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض «قد وُضعت مواضعها» هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي، وربّما كانت مع هذا كلّه أيضاً مؤثّرات أخرى يصعب عليَّ الآن أن أحلّلها ...».

ومنذ ذلك الحين سعى إلى أن يتعلّم من الإسلام كلّ ما يقدر عليه: لقد درس القرآن الكريم وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم). لقد درس لغة الإسلام، وتاريخ الإسلام وكثيراً ممّا كُتِبَ عنه أو كُتِبَ في الردّ عليه. وقد قضى أكثر من خمس سنوات في الحجاز، ونجد ـ وأكثر من ذلك في المدينة ـ ليطمئنّ قلبه بشيء من البيئة الأصليّة للدّين الذي قام النبيّ العربيّ بالدعوة إليه فيها. وبما أنّ الحجاز ملتقى المسلمين من جميع الأقطار، فقد تمكّن من المقارنة بين أكثر من وجهات النظر الدينيّة والاجتماعيّة التي تسود العالم الإسلاميّ.

بعد سنوات من الانقطاع لدراسة الإسلام، صار علماً من أعلام الإسلام في العصر الحديث. وبعد قيام باكستان اشتغل مديراً لدائرة «إحياء النظم الإسلامية» في البنجاب الغربيّة، ثمّ صار فيما بعد مندوباً مناوباً لباكستان في الأُمم المتّحدة، وفي عام 1953م استقال من منصبه، لينكبّ علي الكتابة والتأليف. ومنذ عام 1964م حتّى عام 1980 يكون قد أنجز «مشروع العمر» وهو ترجمة معاني القرآن، بأسلوب عصريّ خاطب فيه العقل الأوروبي مباشرة بلغة يفهمها.

أنشأ بمعاونة «وليم بكتول» (الذي أسلم هو الآخر) مجلّة الثقافة الإسلامية في حيدر آباد الدكن (1927)، وكتب فيها دراسات وافرة في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام. كما ترجم صحيح البخاري (1935)، وألّف أصول

الفقه الإسلاميّ، والطريق إلى مكّة، والإسلام على مفترق الطّرق، ومنهاج الإسلام في الحكم، وشريعتنا هذه، وعودة القلب إلى وطنه (مذكّرات)...

مع ضرورة التذكير بأنّ «محمّد أسد» لم يرجع إلى أوروبا منذ أن غادرها بعد اعتناقه الإسلام أواسط العشرينيات.. فقد كان عاشقاً للإسلام وحسب.

● **وهذا ما كتبه د. عبدالمعطي الدالاتي عنه في كتاب (ربحت محمداً ولم أخسر المسيح):**

نمساوي ينحدر من سلالة يهودية، أسلم ووضع كتابيه الشهيرين (الإسلام على مفترق الطرق) و(الطريق إلى مكة) ولقد جاء إسلامه ردّاً حاسماً على اليأس والضياع، وإعلاناً مقنعاً على قدرة الإسلام على استقطاب الحائرين الذين يبحثون بجد عن أرواحهم ومصيرهم .

قصته مع الإسلام:

في حوار مع بعض المسلمين، كان (ليوبولد فايس) ينافح عن الإسلام، ويحمل المسلمين تبعة تخلفهم عن الشهود الحضاري، لأنهم قصروا في تطبيق الإسلام، ففاجأه أحد المسلمين الطيبين بهذا التعليق: (فأنت مسلم... ولكن لا تدري).

هزت هذه الكلمة أعماقه، ووضعته أمام نفسه التي يهرب منها، وظلت تلاحقه من بعد حتى أثبت القدر صدق قائلها الطيب حين نطق (محمد أسد) بالشهادتين.

هذه الحادثة تعلمنا ألا نستهين بخيرية وطاقات أي إنسان! فنحن لا ندري من هو الإنسان الذي سيخاطبنا القدر به، ومن منا لم يحدث انعطافاً في حياته كلمة أو موقف أو لقاء؟! من منا يستطيع أن يقاوم في نفسه شجاعة الأخذ من الكرماء؟!

يقول محمد أسد:

ـ في يوم ذهبت مع صديق إلى الجامع الأموي، في صفوف طويلة مستقيمة

كان يقف مئات من الرجال وراء الإمام، كانوا يركعون ويسجدون فيلمسون الأرض بجباههم ثم ينهضون ثانية، في وحدة منظمة كالجنود سواء بسواء.

في تلك اللحظة أدركت مبلغ قرب هؤلاء القوم من ربهم، إن صلاتهم لم تكن منفصلة عن يوم عملهم! قلت لصاحبي: (ما أقرب وأدهش أن تشعروا أن الله قريب منكم إلى هذا الحد! آه لو أستطيع أن أشعر نفس هذا الشعور).

● ما أجمل أن ينزل الإنسان ضيفاً على العربي! أن تكون ضيفاً على عربي إنما يعني نفاذك إلى صميم الحياة.

● في دمشق ما أكثر ما رأيت زبوناً يقف أمام دكان غاب صاحبه عنه، فيتقدم التاجر المجاور - مزاحم! - ويبيع الزبون من بضاعة جاره لا بضاعته هو! ويترك له الثمن، أين في أوربا يستطيع المرء أن يشاهد مثل هذه الصفقة؟!

● في الإسلام لا يحق لك فحسب بل يجب عليك أيضاً أن تفيد من حياتك إلى أقصى حدود الإفادة.

● يهتم الإسلام اهتماماً واحداً بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد، وبالفرد والمجتمع، ويهدينا إلي أن نستفيد أحسن الاستفادة مما فينا من استعداد إنه ليس سبيلاً من السبل، ولكنه السبيل الوحيد، وإن الرجل الذي جاء بهذه التعاليم ليس هادياً من الهداة، ولكنه (الهادي).

● جاءني الإسلام متسللاً كالنور إلى قلب مظلم، ولكن ليبقى فيه إلى الأبد والذي جذبني إلى الإسلام هو ذلك البناء العظيم المتكامل المتناسق الذي لا يمكن وصفه ولست أدري حتى الآن أي جانب من الإسلام يستميلني أكثر من غيره.

● من بين سائر الأديان نرى الإسلام وحده يعلن أن الكمال الفردي ممكن في الحياة الدنيا ولا يؤجل هذا الكمال إلى ما بعد إماتة الشهوات الجسدية، ومن بين سائر الأديان نجد الإسلام وحده يتيح للإنسان أن يتمتع بحياته إلى أقصى حد من غير أن يضيع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة...

● يصف (محمد أسد) إفاضته مع الحجيج من عرفات: ها نحن أولاء نمضي عجلين مستسلمين لغبطة لا حد لها والريح تعصف في أذني صيحة الفرح: لن تعود بعد غريباً لن تعود... إخواني عن اليمين وإخواني عن الشمال ليس بينهم من أعرفه وليس فيهم من غريب فنحن في التيار المصطخب جسد واحد يسير إلى غاية واحدة وفي قلوبنا جذوة من النار التي وقدت في قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.. يعلم إخواني أنهم قصروا ولكنهم لا يزالون على العهد سينجزون الوعد.

● (لبيك اللهم لبيك) لم أعد أسمع شيئاً سوى صوت لبيك في عقلي ودوي الدم وهديره في أذني.

● ويممت وجه الله والقلب ذاكر وكان صدى لبيك يغلي بمسمعي.

● إن الكعبة ترمز إلى الوحدانية والوحدة أما الطواف حولها فيرمز إلى جهود الحياة الإنسانية...

● وتقدمت أطوف أصبحت جزءًا من سيل دائري!.. لقد أصبحت جزءًا من حركة في مدار!.. وتلاشت الدقائق.. وهدأ الزمن نفسه وكأن هذا المكان محور العالم.

● إن الإسلام يؤكد في إعلانه أن الإنسان يستطيع بلوغ الكمال في حياته الدنيا بمفرده وذلك بأن يستفيد استفادة تامة من وجوه الإمكان الدنيوي في حياته هو.

● لم يكن الذي جذبني إلى الإسلام تعليماً خاصّاً بل ذلك البناء المجموع العجيب فالإسلام بناء تام الصنعة وكل أجزائه قد سيقت ليتمم بعضها بعضاً... ولا يزال الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية بالرغم من جميع العقبات التي خلفها تأخر المسلمين أعظم قوة ناهضة للهمم عرفها البشر لذلك تجمعت رغباتي كلها حول مسألة بعثه من جديد.

● الإسلام ليس فلسفة، ولكنه منهج الحياة حسب القوانين التي سنها الله لخلقه، وماعمله الأسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية.

● الخطأ الأساسي في التفكير الأوربي الحديث، حينما يعتبر التزيد من المعرفة المادية من الرفاهية مرادفاً للترقي الإنساني الروحي والأدبي.

● إن الإسلام لم يقف يوماً ما سدا في وجه التقدم والعلم، إنه يقدر الجهود الفكرية في الإنسان إلى درجة يرفعه فيها فوق الملائكة.

●● وهذا ما كتبه الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين في موقع (الإسلام اليوم) بعنوان «الطريق الروحي إلى مكة»:

كان الصبي (ليوبولد فايس) تحت إصرار والده يواظب على دراسة النصوص الدينية ساعات طويلة كل يوم، وهكذا وجد نفسه وهو في سن الثالثة عشرة يقرأ العبرية ويتحدثها بإتقان، درس التوراة في نصوصها الأصلية وأصبح عالماً بالتلمود وتفسيره، ثم انغمس في دراسة التفسير المعقد للتوراة المسمى (ترجوم) فدرسه وكأنما يهيئ نفسه لمنصب ديني.

كان إنجازه المدهش يعد بتحقيق حلم جده الحاخام الأرثوذكسي النمساوي بأن تتصل بحفيده سلسلة من أجداده الحاخامات، ولكن هذا الحلم لم يتحقق، فبالرغم من نبوغه في دراسة الدين أو ربما بسببه نمت لديه مشاعر سلبية تجاه جوانب كثيرة من العقيدة اليهودية، لقد رفض عقله ما بدا من أن الرب في النصوص التوراتية والتلمودية مشغول فوق العادة بمصير أمة معينة، وهم اليهود بالطبع. لقد أبرزت النصوص الرب لا كخالق وحافظ لكل خلقه من البشر؛ بل كرب قبلي يسخر كل المخلوقات لخدمة الشعب المختار.

لم يؤد إحباطه من الديانة اليهودية في ذلك الوقت إلى البحث عن معتقدات

روحية أخرى، فتحت تأثير البيئة اللا إرادية التي يعيش فيها وجد نفسه يندفع ككثير من أقرانه إلى رفض الواقع الديني وكل مؤسساته، وما كان يتطلع إليه لم يكن يختلف كثيراً عما يتطلع إليه باقي أبناء جيله، وهو خوض المغامرات المثيرة.

في تلك المرحلة من عمر (ليوبولد فايس) اشتعلت الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918) وبعد انتهاء الحرب ـ وعلى مدى عامين ـ درس بلا نظام تاريخ الفن والفلسفة في (جامعة فينا) ولكن ما كان مشغوفاً بالتوصل إليه هو جوانب محببة إلى نفسه من الحياة، كان مشغوفاً أن يصل بنفسه إلى مُثُلٍ روحية حقيقية كان يوقن أنها موجودة؛ لكنه لم يصل إليها بعد!

كانت العقود الأولى للقرن العشرين تتسم بالخواء الروحي للأجيال الأوروبية، أصبحت كل القيم الأخلاقية متداعية تحت وطأة التداعيات المرعبة للسنوات التي استغرقتها الحرب العالمية الأولى في الوقت الذي لم تبد فيه أي روحية جديدة في أي أفق، كانت مشاعر عدم الإحساس بالأمن متفشية بين الجميع، إحساس داخلي بالكارثة الاجتماعية والفكرية أصاب الجميع بالشك في استمرارية أفكار البشر وفي كل مساعيهم وأهدافهم، كان القلق الروحي لدى الشباب لا يجد مستقرّاً لأقدامه الوجلة، ومع غياب أي مقاييس يقينية أخلاقية لم يكن ممكناً لأي فرد إعطاء إجابات مقنعة عن أسئلة كثيرة كانت تؤرق وتحير كل جيل الشباب.

كانت علوم التحليل النفسي (وهي جانب من دراسات الشاب ليوبولد فايس) تشكل في ذلك الوقت ثورة فكرية عظمى، وقد أحس فعلاً أن تلك العلوم فتحت مزاليج أبواب معرفة الإنسان بذاته، كان اكتشاف الدوافع الكامنة في اللاوعي قد فتح أبواباً واسعة تتيح فهماً أوسع للذات، وما أكثر الليالي التي قضاها في مقاهي (فينا) يستمع إلى مناقشات ساخنة ومثيرة بين رواد التحليل النفسي المبكرين من أمثال (الفريد ادلر) و(هرمان سيتكل).

إلا أن الحيرة والقلق والتشويش حلت عليه من جديد، بسبب عجرفة العلم الجديد وتعاليه ومحاولته أن يحل ألغاز الذات البشرية عن طريق تحويلها إلى سلاسل من ردود الأفعال العصبية.

لقد نما قلقه وتزايد وجعل إتمام دراسته الجامعية يبدو مستحيلاً؛ فقرر أن يترك الدراسة، ويجرب نفسه في الصحافة.

كان أول طريق النجاح في هذه التجربة تعيينه في وظيفة محرر في وكالة الأنباء (يونايتد تلجرام)، وبفضل تمكنه من عدة لغات لم يكن صعباً عليه أن يصبح بعد وقت قصير نائباً لرئيس تحرير قطاع أخبار الصحافة الاسكندنافية بالرغم من أن سنه كانت دون الثانية والعشرين، فانفتح له الطريق في برلين إلى عالم أرحب (مقهى دين فيستن) و(رومانشيه) ملتقى الكتاب والمفكرين البارزين ومشاهير الصحفيين والفنانين، فكانوا يمثلون له (البيت الفكري) وربطته بهم علاقات صداقة توافرت فيها الندية.

كان في ذلك الوقت سعيداً بما هو أكثر من النجاح في حياته العملية، ولكنه لم يكن يشعر بالرضا والإشباع ولم يكن يدري بالتحديد ما الذي يسعى إليه وما الذي يتوق إلى تحقيقه.

كان مثله مثل كثير من شباب جيله، فمع أن أيّاً منهم لم يكن تعساً إلا أن قليلاً منهم كان سعيداً بوعي وإدراك.

(1)

لو قال له أحد في ذلك الوقت: إن أول معرفة له مباشرة للإسلام ستصبح نقطة تحول عظمى في حياته؛ لعد ذلك القول مزحة، ليس بالطبع لأنه محصن ضد إغراءات الشرق التي تربط ذهن الأوربي برومانتيكية ألف ليلة وليلة، ولكنه كان أبعد ما يكون عن أن يتوقع أن تؤدي تلك الرحلة إلى أي مغامرات روحية.

كل ما كان يدور في ذهنه عن تلك الرحلة كان يتعامل معه برؤية غربية، فقد كان رهانه محصوراً في تحقيق أعمق في المشاعر والإدراك من خلال البيئة الثقافية الوحيدة التي نشأ فيها، وهي البيئة الأوروبية، لم يكن إلا شابّاً أوربيّاً نشأ على الاعتقاد بأن الإسلام وكل رموزه ليس إلا محاولة التفافية حول التاريخ الإنساني، محاولة لا تحظى حتى بالاحترام من الناحية الروحية والأخلاقية، ومن ثم لا يستحق الذكر، فضلاً عن أن يوازن بالدينين الوحيدين اللذين يرى الغرب أنهما يستحقان الاهتمام والبحث (اليهودية والمسيحية)، كان يلف تفكيره الفكر الضبابي القاتم والانحياز الغربي ضد كل ما هو إسلامي، أو كما يعبر عن نفسه: «لو تعاملت بعدل مع ذاتي لأقررت أني أيضاً كنت غارقاً حتى أذني في تلك الرؤية الذاتية الأوروبية والعقلية المتعالية التي اتسم بها الغرب على مدى تاريخه».

ولكن بعد أربع سنوات كان ينطق بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ويتسمى باسم (محمد أسد).

بالرغم من أن حياته تفيض بالمغامرات والمفاجاءات والمصادفات فلم يكن إسلامه نتيجة لأي من ذلك بل كان نتيجة لسنوات عدة من التجول في العالم الإسلامي، والاختلاط بشعوبه، والتعمق في ثقافته، واطلاعه الواسع على تراثه بعد إجادته للغة العربية والفارسية.

كان في الأعوام المبكرة من شبابه بعد ما أصابه الإحباط وخيبة الأمل في العقيدة اليهودية التي ينتمي إليها قد اتجه تفكيره إلى المسيحية بعد أن وجد أن المفهوم المسيحي للإله يتميز عن المفهوم التوراتي؛ لأنه لم يقصر اهتمام الإله على مجموعة معينة من البشر ترى أنها وحدها شعب الله المختار، وعلى الرغم من ذلك كان هناك جانب من الفكر المسيحي قلل في رأيه إمكانية تعميمه وصلاحيته لكل البشر، ألا وهو التمييز بين الروح والبدن. أي بين عالم الروح وعالم الشؤون الدنيوية، وبسبب تنائي المسيحية المبكر عن كل المحاولات التي تهدف إلى تأكيد

أهميـة المقـاصـد الدنيـوية، كـفت من قـرون طويلة في أن تكون دافـعـاً أخـلاقـيّاً للحضارة الغربيـة، إن رسوخ الموقف التاريخي العتيق للكنيسة في التفريق بين ما للرب وما لقيصر؛ نتج عنه ترك الجانب الاجتماعي والاقتصادي يعاني فراغاً دينيّاً، وترتب على ذلك غيـاب الأخـلاق في الممـارسـات الغـربيـة السيـاسيـة والاقتصادية مع باقي دول العالم، ومثل ذلك يعد إخفاقاً لتحقيق ما هدفت إليه رسالة المسيح أو أي دين آخر.

فالهدف الجوهري لأي دين هو تعليم البشر كيف يدركون ويشعرون، بل كيف يعيشون معيشة صحيحة وينظمون العلاقات المتبادلة بطريقة سوية عادلة، وإن إحساس الرجل الغربي أن الدين قد خذله جعله يفقد إيمانه الحقيقي بالمسيحية خلال قرون، وبفقدانه لإيمانه فَقَدَ فَقَدَ اقتناعه بأن الكون والوجود تعبير عن قوة خلق واحدة، وبفقدان تلك القناعة عاش في خواء روحي وأخلاقي.

كان اقتناعه في شبابه المبكر أن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده قد تبلور إلى اقتناع فكري بأن عبادة التقدم المادي ليست إلا بديلاً وهميّاً للإيمان السابق بالقيم المجردة، وأن الإيمان الزائف بالمادة جعل الغربيين يعتقدون بأنهم سيقهرون المصاعب التي تواجههم حالياً، كانت جميع النظم الاقتصادية التي خرجت من معطف المادة علاجاً مزيفاً وخادعاً ولا تصلح لعلاج البؤس الروحي للغرب، كان التقدم المادي بإمكانه في أفضل الحالات شفاء بعض أعراض المرض إلا أن من المستحيل أن يعالج سبب المرض.

كانت أول علاقة له بفكرة الإسلام وهو يقضي أيام رحلته الأولى في القدس عندما رأى مجموعة من الناس يصلون صلاة الجماعة يقول: «أصابتني الحيرة حين شاهدت صلاة تتضمن حركات آلية، فسألت الإمام هل تعتقد حقّاً أن الله ينتظر منك أن تظهر له إيمانك بتكرار الركوع والسجود؟ ألا يكون من الأفضل أن تنظر إلى داخلك وتصلي إلى ربك بقلبك وأنت ساكن؟ أجاب: بأي وسيلة أخرى

تعتقد أننا يمكن أن نعبد الله؟ ألم يخلق الروح والجسد معاً؟ وبما أنه خلقنا جسداً وروحاً ألا يجب أن نصلي بالجسد والروح؟ ثم مضى يشرح المعنى من حركات الصلاة، أيقنت بعد ذلك بسنوات أن ذلك الشرح البسيط قد فتح لي أول باب للإسلام».

بعد هذه الحادثة بشهور كان يدخل الجامع الأموي في دمشق ويرى الناس يصلون، ويصف هذا المشهد «اصطف مئات المصلين في صفوف طويلة منتظمة خلف الإمام، ركعوا وسجدوا كلهم في توحد مثل الجنود، كان المكان يسوده الصمت يسمع المرء صوت الإمام من أعماق المسجد الجامع يتلو آيات القرآن الكريم، وحين يركع أو يسجد يتبعه كل المصلين كرجل واحد، أدركت في تلك اللحظة مدى قرب الله منهم وقربهم منه بدا لي أن صلاتهم لا تنفصل عن حياتهم اليومية بل كانت جزءاً منها، لا تعينهم صلاتهم على نسيان الحياة بل تعمقها أكثر بذكرهم لله، قلت لصديقي ومضيفي ونحن ننصرف من الجامع: ما أغرب ذلك وأعظمه! إنكم تشعرون أن الله قريب منكم، أتمنى أن يملأني أنا أيضاً ذلك الشعور، رد صاحبي: ما الذي يمكن أن نحسه غير ذلك والله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦).

ويقول بعد ذلك: «تركت تلك الشهور الأولى التي عشتها في بلد عربي قطاراً طويلاً من الانعكاسات والانطباعات، لقد واجهت مغزى الحياة وجهاً لوجه وكان ذلك جديداً تماماً على حياتي، الأنفاس البشرية الدافئة تتدفق من مجرى دم أولئك الناس إلى أفكارهم بلا تمزقات روحية مؤلمة من عدم الاطمئنان والخوف والطمع والإحباط الذي جعل من الحياة الأوروبية حياة قبيحة وسيئة لا تعد بأي شيء».

«أحسست بضرورة فهم روح تلك الشعوب المسلمة لأني وجدت لديهم تلاحماً

عضوياً بين الفكر والحواس، ذلك التلاحم الذي فقدناه نحن الأوربيين، واعتقدت أنه من خلال فهم أقرب وأفضل لحياتهم يمكن أن أكتشف الحلقةالمفقودة التي تسبب معاناة الغربيين وهي تآكل التكامل الداخلي للشخصية الأوروبية، لقد اكتشفت كنه ذلك الشيء الذي جعلنا نحن أهل الغرب ننأى عن الحرية الحقة بشروطها الموضوعية التي يتمتع بها المسلمون حتى في عصور انهيارهم الاجتماعي والسياسي».

«ما كنت أشعر به في البداية لا يعدو أكثر من تعاطف مع شكل الحياة العربية والأمان المعنوي الذي أحسبه فيما بينهم تحوَّل بطريقة لا أدركها إلى ما يشبه المسألة الذاتية، زاد وعيي برغبة طاغية في معرفة كنه ذلك الشيء الذي يكمن في أسس الأمن المعنوي، والنفسي وجعل حياة العرب تختلف كليّا عن حياة الأوربيين، ارتبطت تلك الرغبة بشكل غامض بمشكلاتي الشخصية الدفينة، بدأت أبحث عن مداخل تتيح لي فهماً أفضل للشخصية العربية والأفكار التي شكلتهم وصاغتهم وجعلتهم يختلفون روحيّاً عن الأوروبيين، بدأت أقرأ كثيراً بتركيز في تاريخهم وثقافتهم ودينهم، وفي غمرة اهتمامي أحسست بأني قد توصلت إلى اكتشاف القوى الخفية التي تحركني أنا ذاتي وتشكل دوافعي وتشغل فكري وتعدني بأن تهديني السبيل».

«قضيت كل وقتي في دمشق أقرأ من الكتب كل ما له علاقة بالإسلام، كانت لغتي العربية تسعفني في تبادل الحديث؛ إلا أنها كانت أضعف من أن تمكنني من قراءة القرآن الكريم، لذا لجأت إلى ترجمة لمعاني القرآن الكريم، أما ما عدا القرآن الكريم فقد اعتمدت فيه على أعمال المستشرقين الأوروبيين.

ومهما كانت ضآلة ما عرفت إلا أنه كان أشبه برفع ستار، بدأت في معرفة عالم من الأفكار كنت غافلاً عنه وجاهلاً به حتى ذلك الوقت، لم يبدُ لي الإسلام ديناً بالمعنى المتعارف عليه بين الناس لكلمة دين؛ بل بدا لي أسلوباً للحياة، ليس

نظاماً لا هوتيّاً بقدر ما هو سلوك فرد، ومجتمع يرتكز على الوعي بوجود إله واحد، لم أجد في أي آية من آيات القرآن الكريم أي إشارة إلى احتياج البشر إلى الخلاص الروحي ولا يوجد ذكر لخطيئة أولى موروثة تقف حائلاً بين المرء وقدره الذي قدره الله له، ولا يبقى لابن آدم إلا عمله الذي سعى إليه، ولا يوجد حاجة إلى الترهب والزهد لفتح أبواب خفية لتحقيق الخلاص، الخلاص حق مكفول للبشر بالولادة، والخطيئة لا تعني إلا ابتعاد الناس عن الفطرة التي خلقهم الله عليها، لم أجد أي أثر على الثنائية في الطبيعة البشرية فالبدن والروح يعملان في المنظور الإسلامي كوحدة واحدة لا ينفصل أحدهما عن الآخر.

أدهشني في البداية اهتمام القرآن الكريم ليس بالجوانب الروحية فقط بل بجوانب أخرى غير مهمة من الأمور الدنيوية، ولكن مع مرور الوقت بدأت أدرك أن البشر وحدة متكاملة من بدن وروح، وقد أكد الإسلام ذلك، لا يوجد وجه من وجوه الحياة يمكن أن نعده مهمشاً؛ بل إن كل جوانب حياة البشر تأتي في صلب اهتمامات الدين، لم يدع القرآن الكريم المسلمين ينسون أن الحياة الدنيا ليست إلا مرحلة في طريق البشر نحو تحقيق وجود أسمى وأبقى وأن الهدف النهائي ذو سمة روحية، ويرى أن الرخاء المادي لا ضرر منه إلا أنه ليس غاية في حد ذاته، لذلك لابد أن تُقنن شهية الإنسان وشهواته وتتم السيطرة عليها بوعي أخلاقي من الفرد، هذا الوعي لا يوجه إلى الله فقط؛ بل يوجه أيضاً إلى البشر فيما بينهم، لا من أجل الكمال الديني وحده بل من أجل خلق حالة اجتماعية تؤدي إلى تطور وعي للمجتمع بأكمله حتى يتمكن من أن يحيا حياة كاملة.

نظرت إلى كل تلك الجوانب الفكرية والأخلاقية بتقدير وإجلال، كان منهجه في تناول مشكلات الروح أعمق كثيراً من تلك التي وجدتها في التوراة، هذا عدا أنه لم يأت لبشر دون بشر ولا لأمة بذاتها دون غيرها، كما أن منهجه في مسألة البدن بعكس منهج الإنجيل منهج إيجابي لا يتجاهل البدن، البدن والروح معاً

يكونان البشر كتوأمين متلازمين، سألت: ألا يمكن أن يكون ذلك المنهج هو السبب الكامن وراء الإحساس بالأمن والتوازن الفكري والنفسي الذي يميز العرب والمسلمين».

(2)

بعد أن غادر سوريا بقي شهوراً في تركيا في طريق عودته إلى أوربا لتنتهي رحلته الأولى إلى العالم الإسلامي.

«بدأت انطباعاتي عن تركيا تفقد حيويتها وأنا في القطار المتوجه إلى فينا وما ظل راسخاً هو الثمانية عشر شهراً التي قضيتها في البلاد العربية صدمني إدراكي أني أتطلع إلى المشاهد الأوروبية التي اعتدتها بعيني من هو غريب عنها، بدا الناس في نظري في غاية القبح وحركاتهم خالية من الرقة، ولا علاقة مباشرة بين حركاتهم وما يدرونه ويشعرون به، أدركت فجأة أنه على الرغم من المظاهر التي تنبئ بأنهم يعرفون ما يريدون إلا أنهم لا يعرفون أنهم يحيون في عالم الادعاء والتظاهر، اتضح لي أن حياتي بين العرب غيرت منهجي ورؤيتي لما كنت أعده مهمّاً وضروريّاً للحياة، تذكرت بشيء من الدهشة أن أوروبيين آخرين قد مروا بتجارب حياتية مع العرب وعايشوهم أزماناً طويلة فكيف لم تعترهم دهشة الاكتشاف كما اعترتني، أم أن ذلك قد وقع لهم أيضاً؟ هل اهتز أحدهم من أعماقه كما حدث لي».

«توقفت بضعة أسابيع في فينا واحتفلت بتصالحي مع أبي الذي سامحني على ترك دراستي الجامعية ومغادرتي منزل الأسرة بتلك الطريقة الفجة، على أي حال كنت مراسلاً لجريدة (فرانكفورت زيتنج) وهو اسم يلقى التقدير والتبجيل في وسط أوربا في ذلك الوقت، وهكذا حققت في نظره مصداقية ما زعمت له قبل ذلك من أني سأحقق ما أصبو إليه وأصل إلى القمة».

رحلت بعد ذلك من فينا مباشرة إلى فرانكفورت لأقدم نفسي شخصيّاً إلى

الصحيفة التي كنت أمثلها في الخارج على مدى عام، كنت في طريقي إليها وأنا أشد ثقة بنفسي فالرسائل التي كنت أتلقاها من فرانكفورت أظهرت لي أن مقالاتي كانت تلقى كل التقدير والترحيب».

«أن أكون عضواً عاملاً في مثل تلك الصحيفة كان مصدر فخر واعتزاز لشاب في مثل سني، وعلى الرغم من أن مقالاتي عن الشرق الأوسط قوبلت باهتمام شديد من قبل جميع المحررين إلا أن نصري الكامل تحقق في اليوم الذي كلفت فيه أن أكتب مقالاً افتتاحياً بالصحيفة عن مشكلة الشرق الأوسط».

«كان من نتائج عملي في جريدة (فرانكفورت زيتنج) النضج المبكر لتفكيري الواعي، كما نتجت عنه رؤية ذهنية أكثر وضوحاً من أي وقت مضى، فبدأت في مزج خبرتي بالشرق بعالم الغرب الذي أصبحت جزءاً منه من جديد، منذ عدة شهور مضت اكتشفت العلاقة بين الاطمئنان النفسي والعاطفي السائد في نفوس العرب وعقيدة الإسلام التي يؤمنون بها، كما بدأ يتبلور في ذهني أن نقص التكامل النفسي الداخلي للأوروبيين وحالة الفوضى اللاأخلاقية التي تسيطر عليهم قد تكون ناتجة من عدم وجود إيمان ديني قد تكونت الحضارة الغربية في غيابه، لم ينكر المجتمع الغربي الإله إلا أنه لم يترك له مكاناً في أنساقة الفكرية».

بعد عودته إلى أوروبا من رحلته كان يحس بالملل إحساس من أجبر على التوقف قبل التوصل إلى كشف عظيم سيميط عن نفسه الحجب لو أتيح له مزيد من الوقت.

كان يتوق إلى العودة إلى الشرق مرة أخرى، وقد تحقق له ما أراد إذ إن رئيس تحرير الجريدة الدكتور هنري سيمون ـ الذي كان في ذلك الوقت مشهوراً في أرجاء العالم ـ قد رأى فيه مراسلاً صحفياً واعداً فوافق بحماس على عودته إلي الشرق الأوسط بسرعة.

(3)

عاد إلى الشرق ليقضي عامين آخرين بين مصر وبلاد الشام والعراق وإيران وأفغانستان، عاد من أوروبا وفي ذهنه صورة عن عالم الغرب ظلت تزداد في ذهنه مع الأيام رسوخاً وثباتاً، عبّر عن هذه الصورة فيما يأتي: «لاحقاً إن الإنسان الغربي قد أسلم نفسه لعبادة الدجال، لقد فقد منذ وقت طويل براءته، وفقد كل تماسك داخلي مع الطبيعة، لقد أصبحت الحياة في نظره لغزاً، إنه مرتاب شكوك ولذا فهو منفصل عن أخيه، ينفرد بنفسه، ولكي لا يهلك في وحدته هذه فإن عليه أن يسيطر على الحياة بالوسائل الخارجية، وحقيقة كونه على قيد الحياة لم تعد وحدها قادرة على أن تشعره بالأمن الداخلي، ولذا فإن عليه أن يكافح دائماً ويألم في سبيل هذا الأمن من لحظة إلى أخرى، وبسبب من أنه فقد كل توجيه ديني وقرر الاستغناء عنه فإن عليه أن يخترع لنفسه باستمرار حلفاء ميكانيكيين، من هنا نما عنده الميل المحموم إلى التقنية والتمكن من قوانينها ووسائلها، إنه يخترع كل يوم آلات جديدة ويعطي كلاً منها بعض روحه فيما تنافح في سبيل وجوده، وهي تفعل ذلك حقّاً، ولكنها في الوقت نفسه تخلق له حاجات جديدة، ومخاوف جديدة وظمأ لا يُروى إلى حلفاء جدد آخرين أكثر اصطناعية، وتضيع روحه في ضوضاء الآلة الخانقة التي تزداد مع الأيام قوة وغرابة، وتفقد الآلة غرضها الأصلي - أي أن تصون وتغني الحياة الإنسانية - وتتطور إلى صنم بذاته، صنم فولاذ، ويبدو أن كهنة هذا المعبود والمبشرين به غير مدركين أن سرعة التقدم التقني الحديثة ليست نتيجة لنمو المعرفة الإيجابي فحسب؛ بل لليأس الروحي أيضا. وأن الانتصارات المادية العظمى التي يعلن الإنسان الغربي أنه بها يستحق السيادة على الطبيعة هي في صميمها ذات صفة دفاعية؛ فخلف واجهتها البراقة يكمن الخوف من الغيب، إن الحضارة الغربية لم تستطع حتى الآن أن تقيم توازناً بين حاجات الإنسان الجسمية والاجتماعية وبين

أشواقه الروحية، لقد تخلت عن آداب دياناتها السابقة دون أن تتمكن أن تخرج من نفسها أي نظام أخلاقي آخر ـ مهما كان نظريّاً ـ يخضع نفسه للعقل، بالرغم من كل ما حققته من تقدم ثقافي؛ فإنها لم تستطع حتى الآن التغلب على استعداد الإنسان الأحمق للسقوط فريسة لأي هاتف عدائي أو نداء للحرب مهما كان سخيفاً باطلاً يخترعه الحاذقون من الزعماء.. الأمم الغربية وصلت إلى درجة أصبحت معها الإمكانات العلمية غير المحدودة تصاحب الفوضى العملية، وإذا كان الغربي يفتقر إلى توجيه ديني حاذق فإنه لا يستطيع أن يفيد أخلاقيّاً من ضياء المعرفة الذي تسكبه علومه وهي لا شك عظيمة، إن الغربيين ـ في عمى وعجرفة ـ يعتقدون عن اقتناع أن حضارتهم هي التي ستنير العالم وتحقق السعادة، وأن كل المشاكل البشرية يمكن حلها في المصانع والمعامل وعلى مكاتب المحللين الاقتصاديين والإحصائيين، إنهم بحق يعبدون الدجال».

في هذه الرحلة الثانية أمكنه أن يتقن اللغة العربية ولذلك فبدل أن ينظر إلى الإسلام بعين غيره من المستشرقين ومترجمي القرآن غير المسلمين صار في إمكانه أن ينظر إلى الإسلام في تراثه الثقافي كما هو، لم يعد على اعتقاده السابق استحالة أن يتفهم الأوروبي بوعي العقلية الإسلامية، أيقن أنه لو تحرر المرء تماماً من عاداته التي نشأ عليها ومناهجها الفكرية وتقبل مفهوم أنها ليست بالضرورة الأساليب الصحيحة في الحياة لأمكن أن يفهم ما يبدو غريباً في نظره عن الإسلام، كانت فكرته عن الإسلام تتطور وتنمو طوال هذه الرحلة الثانية التي أمكنه فيها أن يختلط بالشعوب ويناقش العلماء، ويتصل بالزعماء.

«كان التفكير في الإسلام يشغل ذهني لأن الأمر بدا لي في ذلك الوقت رحلة لاستكشاف ما أجهله من تلك المناطق، كان كل يوم يمر يضيف إليَّ معارف جديدة ويطرح أسئلة جديدة لأجد إجاباتها تأتي من الخارج جميعها أيقظت شيئاً ما كان نائماً في أعماقي، وكلما نمت معارفي عن الإسلام كنت أشعر مرة بعد أخرى أن

الحقائق الجوهرية التي كانت كامنة في أعماقي من دون أن أعي وجودها بدأت تتكشف تدريجياً ويتأكد تطابقها مع الإسلام».

كان اليقين ينمو في داخله بأنه يقترب من إجابة نهائية عن أسئلته بتفهمه لحياة المسلمين كان يقترب يومياً من فهم أفضل للإسلام؛ وكان الإسلام دائماً مسيطراً على ذهنه «لا يوجد في العالم بأجمعه ما يبعث في نفسي مثل تلك الراحة التي شعرت بها والتي أصبحت غير موجودة في الغرب ومهددة الآن بالضياع والاختفاء من الشرق، تلك الراحة وذلك الرضا اللذان يعبران عن التوافق الساحر بين الذات الإنسانية والعالم الذي يحيط بها».

بهذه الروح من التسامح تجاه الآخر استطاع بسهولة أن يتخلص من انخداع الرجل الغربي وإساءته فهم الإسلام بسبب ما يراه من تخلف وانحطاط في العالم الإسلامي.

«الآراء الشائعة في الغرب عن الإسلام (تتلخص) فيما يأتي (انحطاط المسلمين ناتج عن الإسلام، وأنه بمجرد تحررهم من العقيدة الإسلامية وتبني مفاهيم الغرب وأساليب حياتهم وفكرهم؛ فإن ذلك سيكون أفضل لهم وللعالم، إلا أن ما وجدته من مفاهيم وما توصلت إلى فهمه من مبادئ الإسلام وقيمه أقنعني أن ما يردده الغرب ليس إلا مفهوماً مشوّهاً للإسلام.. اتضح لي أن تخلف المسلمين لم يكن ناتجاً عن الإسلام، ولكن لإخفاقهم في أن يحيوا كما أمرهم الإسلام.. لقد كان الإسلام هو ما حمل المسلمين الأوائل إلى ذراً فكرية وثقافية سامية».

«وفر الإسلام باختصار حافزاً قوياً إلى التقدم المعرفي والثقافي والحضاري الذي أبدع واحدة من أروع صفحات التاريخ الإنساني، وقد وفر ذلك الحافز مواقف إيجابية عندما حدد في وضوح: «نعم للعقل ولا لظلام الجهل، نعم للعمل والسعي ولا للتقاعد والنكوص. نعم للحياة ولا للزهد والرهبنة». ولذلك لم يكن

عجباً أن يكتسب الإسلام أتباعاً في طفرات هائلة بمجرد أن جاوز حدود بلاد العرب، فقد وجدت الشعوب التي نشأت في أحضان مسيحية القديس بولس والقديس أوجستين.. ديناً لا يقر عقيدة ومفهوم الخطيئة الأولى.. ويؤكد كرامة الحياة البشرية، ولذلك دخلوا في دين الله أفواجاً، جميع ذلك يفسر كيفية انتصار الإسلام وانتشاره الواسع والسريع في بداياته التاريخية ويفند مزاعم من روجوا أنه انتشر بحد السيف.

وكان ذكاؤه الحاد ونفاذ بصيرته، ونهمه إلى الاطلاع على التراث الفكري للمسلمين، يعمق معرفته بالإسلام فيبصره على حقيقته «كانت صورة نهائية متكاملة عن الإسلام تتبلور في ذهني، كان يدهشني في أوقات كثيرة أنها تتكون داخلي بما يشبه الارتشاح العقلي والفكري، أي أنها تتم من دون وعي وإرادة مني، كانت الأفكار تتجمع ويضمها ذهني بعضها إلى بعض في عملية تنظيم ومنهجية لكل الشذرات من المعلومات التي عرفتها عن الإسلام. رأيت في ذهني عملاً عمرانيّاً متكاملاً تتضح معالمه رويداً رويداً بكل ما تحتويه من عناصر الاكتمال، وتناغم الأجزاء والمكونات مع الكل المتكامل في توازن لا يخل جزء بآخر، توازن مقتصد بلا خلل، ويشعر المرء أن منظور الإسلام ومسلماته كلها في موضعها الملائم الصحيح من الوجود» .

«كانت أهم صفة بارزة لحضارة الإسلام وهي الصفة التي انفردت بها عن الحضارات البشرية السابقة أو اللاحقة أنها منبثقة من إرادة حرة لشعوبها، لم تكن مثل حضارات سابقة وليدة قهر وضغط وإكراه وتصارع إرادات وصراع مصالح، ولكنها كانت جزءاً وكلاً من رغبة حقيقية أصيلة لدى جميع المسلمين مستمدة من إيمانهم بالله وما حثهم عليه من إعمال فكر وعمل، لقد كانت تعاقدا اجتماعيّاً أصيلاً لا مجرد كلام أجوف يدافع به جيل نال من امتيازات خاصة بهم.. لقد تحققت أن ذلك العقد الاجتماعي الوحيد المسجل تاريخيّاً تحقق فقط

علي مدى زمني قصير جداً، أو على الأصح أنه علي مدى زمني قصير تحقق العقد على نطاق واسع، ولكن بعد أقل من مائة سنة من وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدأ الشكل النقي الأصيل للإسلام يدب فيه الفساد، وفي القرون التالية بدأ المنهج القويم يزاح إلى الخلفية.. لقد حاول المفكرون الإسلاميون أن يحفظوا نقاء العقيدة؛ إلا أن من أتوا بعدهم كانوا أقل قدرة من سابقيهم، وتقاعسوا عن الاجتهاد.. وتوقفوا عن التفكير المبدع والاجتهاد الخلاق..

كانت القوة الدافعة الأولى للإسلام كافية لوضعه في قمة سامية من الرقي الحضاري والفكري.. وهذا ما دفع المؤرخين إلى وصف تلك المرحلة بالعصر الذهبي للإسلام، إلا أن القوة الدافعة قد ماتت لنقص الغذاء الروحي الدافع لها وركدت الحضارة الإسلامية عصراً بعد عصر لافتقاد القوة الخلاقة المبدعة، لم يكن لدي أوهام عن الحالة المعاصرة للعالم الإسلامي، بينتْ الأعوام الأربعة التي قضيتها في مجتمعات إسلامية أن الإسلام مازال حيّاً وأن الأمة الإسلامية متمسكة به بقبول صامت لمنهجه وتعاليمه؛ إلا أن ما شغلني أكثر من إخفاق المسلمين المعاصرين في تحقيق منهج الإسلام الإمكانيات المتضمنة في المنهج ذاته، فكان يكفيني أن أعرف أنه خلال مدي زمني قصير. كانت هناك محاولة ناجحة لتطبيق هذا المنهج، وما أمكن تحقيقه في وقت ما؛ يمكن تحقيقه لاحقاً، ما كان يهمني ـ كما فكرت في داخلي ـ أن المسلمين شردوا عن التعليمات الأصلية للدين.. ما الذي حدث وجعلهم يبتعدون عن المثاليات التي علمهم إياها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ ثلاثة عشر قرناً مضت ما دامت تلك التعليمات لا تزال متاحة لهم إن أرادوا الاستماع إلى ما تحمله من رسالة سامية؟ بدا لي كلما فكرت أننا نحن في عصرنا الحالي نحتاج إلى تعاليم تلك الرسالة أكثر من هؤلاء الذين عاشوا في عصر محمد ـ صلى الله عليه وسلم، لقد عاشوا في بيئات وظروف أبسط كثيراً مما نعيش فيه الآن، ولذلك كانت مشكلاتهم أقل

بكثير من مشكلاتنا.. العالم الذي كنت أحيا فيه ـ كله ـ كان يتخبط لغياب أي رؤية عامة لما هو خير وما هو شر.. لقد أحسست بيقين تام.. أن مجتمعنا المعاصر يحتاج إلى أسس فكرية عقائدية توفر شكلاً من أشكال التعاقد بين أفراده، وأنه يحتاج إلى إيمان يجعله يدرك خواء التقدم المادي من أجل التقدم ذاته، وفي الوقت نفسه يعطي للحياة نصيبها. إن ذلك سيدلنا ويرشدنا إلى كيفية تحقيق التوازن بين احتياجاتنا الروحية والبدنية، وإن ذلك سينقذنا من كارثة محققة نتجه إليها بأقصى سرعة.. في تلك الفترة من حياتي شغلت فكري مشكلة الإسلام كما لم يشغل ذهني شيء آخر من قبل، قد تجاوزت مرحلة الاستغراق الفكري والاهتمام العقلي بدين وثقافة غربيين، لقد تحول اهتمامي إلى بحث محموم عن الحقيقة».

لقد صار في إمكانه أن يميز بين ما هو الإسلام وما هو غريب عنه في تصورات المسلمين وسلوكهم في رحلته الأولى رأى حلقة ذكر يقيمها الصوفية في أحد مساجد «سكوتاري» في تركيا ويصفها بهذه العبارات «كانوا يقفون في محيط واحد فاستداروا في نصف دورة ليقابل كل واحد منهم الآخر أزواجاً، كانوا يعقدون أذرعهم علي صدورهم وينحنون انحناءة شديدة وهم يستديرون بجذوعهم في نصف دائرة.. في اللحظة التالية (كانوا) يقذفون أذرعهم في الاتجاه المعاكس الكف اليمنى ترتفع والكف اليسرى تنزل إلى الجانب، وتخرج من حلوقهم مع كل نصف انحناءة واستدارة أصوات مثل غناء هامس «هو» ثم يطرحون رؤوسهم للخلف مغمضين أعينهم ويجتاح ملامحهم تقلص ناعم، ثم تتصاعد وتتسارع إيقاعات الحركة وترتفع الجلاليب لتكون دائرة متسعة حول كل درويش مثل دوامات البحار.. تحولت الدائرة إلى دوامات، اجتاحهم الانهماك، وشفاههم تكرر بلا نهاية (هو، هو)».

وفي الرحلة الثانية يتذكر حلقة الذكر هذه ويعلق عليها «اتضحت في ذهني

معانٍ لم تبد لي عندما شاهدت حلقة الذكر (في سكوتاري)، كان ذلك الطقس الديني لتلك الجماعة - وهي واحدة من جماعات كثيرة شاهدتها في مختلف البلاد الإسلامية - لا يتفق مع صورة الإسلام التي كانت تتبلور في ذهني.. تبين لي أن تلك الممارسات والطقوس دخيلة على الإسلام من جهات ومصادر غير إسلامية، لقد شابت تأملات المتصوفة وأفكارهم أفكار روحية هندية ومسيحية، مما أضفى على بعض ذلك التصوف مفاهيم غريبة عن الرسالة التي جاء بها النبي - صلى الله عليه وسلم -. أكدت رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن السببية العقلية هي السبيل للإيمان الصحيح بينما تبتعد التأملات الصوفية وما يترتب عليها (من سلوك) عن ذلك المضمون، والإسلام قبل أي شيء مفهوم عقلاني لا عاطفي ولا انفعالي، الانفعالات مهما تكن جياشة معرضة للاختلاف والتباين باختلاف رغبات الأفراد وتباين مخاوفهم بعكس السببية العقلية، كما أن الانفعالية غير معصومة بأي حال».

كتب بعد ذلك بسنوات: (لقد بدا لي الإسلام مثل تكوين هندسي محكم البناء) كل أجزائه قد صيغت ليكمل بعضها البعض وليدعم بعضها بعضاً، ليس فيها شيء زائد عن الحاجة وليس فيها ما ينقص عنها، وناتج ذلك كله توازن مطلق وبناء محكم، ربما كان شعوري بأن كل ما في الإسلام من تعاليم وضع موضعه الصحيح هو ما كان له أعظم الأثر علي، لقد سعيت بجد إلى أن أتعلم عن الإسلام كل ما أستطيع أن أتعلمه، درست القرآن وأحاديث النبي، درست لغة الإسلام وتاريخه وقدراً كبيراً مما كتب عن الإسلام، وما كتب ضده، أقمت ست سنوات تقريباً في نجد والحجاز ومعظمها في مكة والمدينة بغرض أن اتصل مباشرة ببيئة الإسلام الأصلية، وبما أن المدينتين كانتا مكان اجتماع المسلمين من مختلف الأقطار فقد تمكنت من الاطلاع على مختلف الآراء الدينية والاجتماعية السائدة حالياً في العالم الإسلامي، وكل هذه الدراسات والمقارنات خلقت لدي

اعتقاداً راسخاً أن الإسلام كظاهرة روحية واجتماعية لا يزال أقوى قوة دافعة عرفها البشر رغم كل مظاهر التخلف التي خلفها ابتعاد المسلمين عن الإسلام[3].

(4)

طوال العامين اللذين قضاهما في رحلته الثانية في العالم الإسلامي كان بعقله ومعلوماته يتقدم بسرعة في الطريق إلى الإسلام، لقد وعى ذلك وهو يعدو بجواده فوق جبال ريانية مغطاة بالثلج الأبيض «بدا العالم كله مبسوطاً أمامي في رحابية لا تنتهي، بدا شفافاً في عيني كما لم يبد من قبل، رأيت نمطه الداخلي الخفي، وأحسست بنبضه الدفين في تلك الأصقاع البيضاء الخالية، واندهشت من خفاء ذلك عليّ منذ دقيقة مضت، وأيقنت أن كل الأسئلة التي تبدو بلا إجابة ماثلة أمامنا في انتظار أن ندركها، بينما نحن ـ الحمقى المساكين ـ نطرح الأسئلة وننتظر أن تفتح الأسرار الإلهية نفسها لنا بينما تنتظر تلك الأسرار أن نفتح نحن أنفسنا لها. مر أكثر من عام بين انطلاقي المجنون على جوادي فوق الجليد والبرد قبل أن أعتنق الإسلام، ولكن حتى في ذلك الوقت قبل إسلامي كنت أنطلق ـ دون أن أعي ذلك ـ في خط مستقيم كمسار السهم المنطلق باتجاه مكة المكرمة».

كنت في طريقي من مدينة هراة إلى مدينة كابل.. توجهنا إلى قرية ده زانجي، جلسنا في اليوم التالي حول غداء وافر كالمعتاد (في بيت الحاكم) بعد الغداء قام رجل من القرية بالترفيه عنا..

غنى على ما أذكر عن معركة داود وجالوت، عن الإيمان عندما يواجه قوة غاشمة.. علق الحاكم في نهاية الأغنية قائلاً: «كان داود صغيراً إلا أن إيمانه كان كبيراً» فلم أتمالك نفسي وقلت باندفاع: «وأنتم كثيرون وإيمانكم قليل»، نظر إليّ

(3) Islam at The Crossroads, Ed. 1982 - 12.

مضيفي متعجباً؛ فخجلت مما قلت من دون أن أتمالك نفسي، وبدأت بسرعة في توضيح ما قلت واتخذ تفسيري شكل أسئلة متعاقبة كسيل جارف، قلت: «كيف حدث أنكم معشر المسلمين فقدتم الثقة بأنفسكم تلك الثقة التي مكنتكم من نشر عقيدتكم في أقل من مائة عام حتى المحيط الأطلسي.. وحتى أعماق الصين، والآن تستسلمون بسهولة وضعف إلى أفكار الغرب وعاداته؟ لماذا لا تستجمعون قوتكم وشجاعتكم لاستعادة إيمانكم الفعلي، كيف يصبح أتاتورك ذلك المتنكر التافه الذي ينكر كل قيمة للإسلام، رمزاً لكم في الإحياء والنهوض والإصلاح؟».

ظل مضيفي صامتاً.. كان الثلج قد بدأ في التساقط خارجاً، وشعرت مرة أخري بموجة من الأسى مختلطة مع تلك السعادة الداخلية التي شعرت بها ونحن نقترب من ده زانجي أحسست بالعظمة التي كانت عليها تلك الأمة، وبالخزي الذي يغلف ورثتها المعاصرين.

أردفت مكملاً أسئلتي «قل لي كيف دفن علماؤكم الإيمان الذي أتي به نبيكم بصفائه ونقائه؟ كيف حدث أن نبلاءكم وكبار ملاك أراضيكم يغرقون في ملذات بينما يغرق أغلب المسلمين في الفقر.. مع أن نبيكم علمكم أنه لا يؤمن أحدكم أن يشبع وجاره جائع؟

هل يمكن أن تفسر لي كيف دفعتم النساء إلى هامش الحياة مع أن النساء في حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة ساهمن في شئون حياة أزواجهن؟ كان مضيفي مازال يحملق في دون كلمة، وبدأت أعتقد أن انفجاري ربما سبب له ضيقاً، في النهاية جذب الحاكم ثوبه الأصفر الواسع وأحكمه حول جسمه.. ثم همس "ولكن أنت مسلم" ضحكت وأجبته" كلا لست مسلماً ولكني رأيت الجوانب العظيمة في رسالة الإسلام مما يجعلني أشعر بالغضب وأنا أراكم تضيعونه، سامحني إن تحدثت بحدة، أنا لست عدوّاً على أي حال إلا أن مضيفي هز رأسه قائلاً: «كلا أنت كما قلت لك مسلم إلا أنك لا تعلم ذلك، لماذا لا تعلن

الآن هنا: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتصبح مسلماً بالفعل بدلاً من أن تكون مسلماً بقلبك فقط» قلت له: «لو قلتها في أي وقت فسأقولها عندما يستقر فكري عليها ويستريح لها» استمر إصرار الحاكم: ولكنك تعرف عن الإسلام أكثر مما يعرفه أي واحد منا، ما الذي لم تعرفه أو تفهمه بعد؟» فقلت له: «الأمر ليس مسألة فهم بل أن أكون مقتنعاً، أن أقتنع أن القرآن الكريم هو كلمة الله، وليس ابتداعاً ذكيّاً لعقلية بشرية عظيمة» ولم تمح كلمات صديقي الأفغاني من ذهني على مدى شهور طويلة».

(5)

بعد شهور من هذه الحادثة كان ينطق بالشهادة أمام رئيس رابطة المسلمين في برلين كان قد رجع إلى أوروبا من رحلته الثانية التي استغرقت عامين من التجوال في العالم الإسلامي فعرف أن اسمه أصبح من الأسماء المعروفة.. وأنه أصبح واحداً من أشهر مراسلي الصحف وسط أوروبا، بعض مقالاته لقيت ما يفوق الاعتراف بأهميتها، وتلقى دعوة لإلقاء سلسلة من المحاضرات في أكاديمية الجغرافيا السياسية في برلين، ولم يحدث كما قيل أن رجلاً في مثل سنه (السادسة والعشرين) قد حقق ذلك التميز، وأعيد نشر مقالاته في صحف كثيرة حتى إن واحدة من تلك المقالات نشرت في ثلاثين مطبوعة مختلفة.

ولكن بعد عودته واتصاله من جديد بأصدقاء الفكر والثقافة في برلين، ومناقشته معهم قضية الإسلام، أحس أنه وإياهم لم يعودوا يتحدثون من المنطلقات الفكرية نفسها، شعر بأن من يرون منهم أن الأديان القديمة أصبحت شيئاً من الماضي وهم الأغلبية ومن كانوا لا يرفضون الأديان رفضاً كليّاً، كانوا كلهم يميلون بلا سبب إلى تبني المفهوم الغربي الشائع الذي يرى أن الإسلام يهتم بالشئون الدينية وتنقصه الروحانيات التي يتوقع المرء أن يجدها في أي دين «ما أدهشني بالفعل أن اكتشف أن ذلك الجانب من الاسلام هو ما جذبني إليه من

أول لحظة وهو عدم الفصل بين الوجود المادي والوجود الروحي للبشر، وتأكيد السببية العقلية سبيلاً للإيمان، وهو الجانب ذاته الذي يعترض عليه مفكرو أوروبا الذين يتبنون السببية العقلية منهجاً للحياة، ولا يتخلون عن ذلك المنهج العقلاني إلا عندما يرد ذكر الإسلام، لم أجد أي فرق بين الأقلية المهتمة بالأديان والأغلبية التي ترى أن الدين أصبح من المفاهيم البالية التي عفا عليها الزمن، أدركت مع الوقت مكمن الخطأ في منهج كل منهما، أدركت أن مفاهيم من تربوا فى أحضان الأفكار المسيحية في أوروبا .. تبنوا مفهوماً يسود بينهم جميعاً، فمع طول تعود أوروبا نسق التفكير المسيحي تعلّم حتى اللادينيين أن ينظروا إلى أي دين آخر من خلال عدسات مسيحية فيرون أي فكر ديني صالحاً لأن يكون ديناً إذا غلفته مسحة غامضة خارقة للطبيعة تبدو خافية وفوق قدرة العقل البشري على استيعابها، ومن منظورهم لم يف الإسلام بتلك المتطلبات..

كنت أوقن بأني في طريقي إلى الإسلام وجعلني تردد اللحظة الأخيرة أؤجل الخطوة النهائية التي لا مفر منها، كانت فكرة اعتناق الإسلام تمثل لي عبور قنطرة فوق هاوية تفصل بين عالمين مختلفين تماماً قنطرة طويلة حتى إن المرء عليه أن يصل إلى نقطة اللاعودة أولاً قبل أن يتبين الطرف الآخر للقنطرة، كنت أعي أني لو اعتنقت الإسلام لاضطررت إلى خلع نفسي نهائيّاً من العالم الذي ولدت ونشأت فيه، لم تكن هناك حلول أخرى، فلم يكن ممكناً لامرئ مثلي أن يتبع دعوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويظل بعدها محتفظاً بروابطه مع مجتمع يتصف بثنائية المفاهيم المتعارضة والمتناقضة، كان سؤالي الأخير الذي كنت متردداً أمامه هو: هل الإسلام رسالة من عند الله أم أنه حصيلة حكمة رجل عظيم؟ (287 ـ 289).

ولم يمكث غير بعيد حتى جاءت الإجابة، لقد اتصل من جديد بحياة الغرب مباشرة، ورأى مبلغ التعاسة والشقاء الذي يعانيه الغربيون ولكنهم لا يعونه أو لا

يعون سببه، كان في القطار مع زوجته، وشغل نفسه بالتطلع إلى طبقة تنعم بلبس ومأكل جيدين ولكنها كانت تشي بتعاسة داخلية عميقة ومعاناة واضحة على الملامح تعاسة عميقة حتى إن أصحابها لم يدركوا ذلك.. كنت أوقن بأنهم غير واعين وإلا لما استمروا في إهدار حياتهم على هذا المنوال من دون أي تماسك داخلي ومن دون هدف أسمى من مجرد تحسين معيشتهم ومن دون أمل يزيد على الاستحواذ المادي الذي من الممكن أن يحقق لهم مزيداً من السيطرة.

جاءت الإجابة حين قرأ القرآن فور عودته إلى بيته ـ وكانت تلك التجربة التي مر بها في القطار لا تزال حية في تفكيره.

«وقفت لحظات مشدوداً وأنا أحبس أنفاسي، وأحسست أن يديَّ ترتجفان، فقد كان القرآن يتضمن الإجابة.. إجابة حاسمة قضت على شكوكي كلها وأطاحت بها بلا رجعة، أيقنت يقيناً تامّاً أن القرآن.. من عند الله».

(6)

بعد إسلامه بست سنوات كان يقطع الصحراء الكبرى قادماً من «قصر عثيمين» على الحدود السعودية العراقية وقاصداً مكة، كانت رحلة مليئة بالمفاجأة والمغامرة لقد أشرف فيها على الموت.

وكتب كتابه «الطريق إلى مكة» يقص فيه التفاصيل المثيرة لهذه الرحلة، ويقص معها تفاصيل رحلة أخرى رحلة روحه إلى مكة، رحلتها إلى الإسلام[1].

(1) كل ما سبق من معلومات واقتباسات أخذت من هذه القصة الرائعة.
المصدر: الإسلام اليوم.

21 ـ الأستاذة الجامعية الدكتورة الروسية آلا أولينيكوفا[1]

أنا روسـيـة، ولدت في مـدينة (لينين غـراد) ـ مـيناء لينين ـ ذلك الشـيـوعي الذي قتل آلاف المسلمين في الجمهوريات المسلمة في الاتحاد السوفييتي السابق.

تعلمت وواصلت الدراسـة في أسرة فـقيـرة لم يكن لها من زاد سوى صـيد الأسماك التي عمل بها والدي من قديم.

درست الطب في موسكو وتخرجت، ثم حصلت على الماجستير فالدكتوراه، ودَرَّست بعدها في جامعات موسكو وكييف ولينين غراد.

حيـاتي في ظل الشـيـوعيـة كانت سيئـة جدا، لا تتـفق وفطرة الإنسـان في العيش بحرية وأمان ورفاه.

كنت في داخلي ثائرة على الوضع، لكنني لم أكن أستطيع الكلام، مثل سـائر الناس، وإلا كان المصير هو القتل، أو النفي لسيبيريا، أو السجن أو التعذيب.

كانت حياتنا جحيما مستعرا، ظلما واستعبادا وقهرا، وإجبارا على حياة لا توافق فطرة البشر، ومنعا من العبادة، وإجبارا على الكفر والإلحاد.

نحن نعلم عن الإسـلام أكثر مما يعرفه الغربيون لأسبـاب أهمها قـربنا من المجتمعات المسلمة، ولأن الاتحـاد السوفييتي كان يضم قـرابة 60 مليـون مسـلم، وهؤلاء يعملون معنا في مختلف مراكز الدولة.

عـرفت الإسـلام من بعض المسلمين العاملين معنا، ولاحظته في تصـرفـات الطلبـة الوافـدين من الدول الإسـلامـيـة مـثل: سـورية والكويت وليـبـيـا واليـمن والعراق.

تعـرفت على الإسـلام أكـثـر من خـلال طالب سـوري من حـمص كـان يدرس الطب في جـامـعـة كـيـف، إذ لم يكن يشـرب الخـمـر، ولا يأكل لحم الخنزير، ولا

(1) أستاذة جامعية درَّست الطب في ثلاث جامعات.

يقيم علاقات مع النساء، وكانت أخلاقه عالية جدا، فقد كان أمينا وصادقا، وكان يسكن منزلا متواضعا يقول عنه: هذا منزلي ومسجدي.

شدني هذا الطالب المسلم بأخلاقه، وتعامله المهذب، ليؤكد أن هذه هي أخلاق الإسلام، ولقد أهداني كتبا عن الإسلام قرأتها جيدا فزادت معرفتي به.

في عام 1992م تركت العمل مؤقتا وسافرت إلى سورية حيث التحقت بكلية الدعوة، ودرست الإسلام فيها، وتخرجت عام 1995 لأعلن إسلامي.

الإسلام دين عظيم، وهو في بلادنا من قبل ألف عام، بينما لم تعش الشيوعية أكثر من سبعين عاما.

لاحظت الأخوة والمحبة بين المسلمين وتبادل النصح.

يزداد تجلي الإسلام في رمضان حيث النظام والصبر والمودة التي تفتقدها المجتمعات غير المسلمة على إطلاقها.

الإسلام يراعي الدنيا والآخرة.. وهذا يلائم الطبيعة البشرية.

بعد ارتدائي الحجاب أحاول عدم الاختلاط بالرجال قدر المستطاع.

أنا الآن بصدد وضع كتاب عن الإسلام بالروسية، وسوف أحاول تعريف الجميع بهذا الدين العظيم، الذي رأيت من خلاله النور.

لو عرف مجتمعنا الإسلام جيدا وطبقه لأنقذه من الجريمة والفساد والمافيا والمخدرات والدعارة والبطالة.. لأن الإسلام يحرم ويحارب كل ما يضر بالنفس وبالآخرين.

الإسلام هو الخلاص للبشرية، والشافي لها من أمراض العصر، وفيه الحل لمشكلات المجتمعات المختلفة.

لقد سقطت الشيوعية في مزبلة التاريخ على الرغم من كل ما أحاطوها به من دعايات.

بقي الإسلام الذي حاول الشيوعيون طمسه، بل تعاظم دوره واتسعت رقعته اليوم في روسيا وغير روسيا، وفي هذا درس وعبرة لمن أراد أن يعتبر.

22ـ الشهيدة المفكرة الإسبانية ماريا ألاسترا[1]

ولدت في إسبانيا عام 1949م، حصلت على إجازة في الفلسفة وعلم النفس من جامعة مدريد، واعتنقت الإسلام عام 1978م، وكانت تدير مركز التوثيق والنشر في المجلس الإسلامي، استشهدت في غرناطة عام 1998م على يد حاقد إسباني بعد لحظات من إنجاز مقالها (مسلمة في القرية العالمية). ومما كتبت في هذا المقال الأخير: «إنني أؤمن بالله الواحد، وأؤمن بمحمد نبيّاً ورسولاً، وبنهجه نهج السلام والخير.. وفي الإسلام يولد الإنسان نقيّاً وحرّاً دون خطيئة موروثة ليقبل موقعه وقَدره ودوره في العالم». «إن الأمة العربية ينتمي بعض الناس إليها، أما اللغة العربية فننتمي إليها جميعاً، وتحتل لدينا مكاناً خاصّاً، فالقرآن قد نزل بحروفها، وهي أداة التبليغ التي استخدمها الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم». «تُعد التربية اليوم أكثر من أي وقت آخر، شرطاً ضروريّاً ضد الغرق في المحيط الإعلامي، فصحافتنا موبوءة بأخبار رهيبة، لأن المواطن المذعور سيكون أسلس انقياداً، وسيعتقد خاشعاً بما يُمليه العَقَديّون!»[2].

(١) صَبورة أوربية (ماريا ألاسترا)

(2) عن مقال (مسلمة في القرية العالمية) ترجمة صلاح يحياوي، مجلة (الفيصل) العدد (291) عام 2000م ـ رحمها الله وأدخلها في عباده الصالحين.

23 ـ الكاتبة الأمريكية مارجريت ماركوس[1]

أمريكية من أصل يهودي، وضعت كتباً منها (الإسلام في مواجهة الغرب)، و(رحلتي من الكفر إلى الإيمان) (الإسلام والتجدد) و(الإسلام في النظرية والتطبيق). تقول: «لقد وضع الإسلام حلولاً لكل مشكلاتي وتساؤلاتي الحائرة حول الموت والحياة وأعتقد أن الإسلام هو السبيل الوحيد للصدق، وهو أنجع علاج للنفس الإنسانية». «منذ بدأت أقرأ القرآن عرفت أن الدين ليس ضرورياً للحياة فحسب، بل هو الحياة بعينها، وكنت كلما تعمقت في دراسته ازددت يقيناً أن الإسلام وحده هو الذي جعل من العرب أمة عظيمة متحضرة قد سادت العالم». «كيف يمكن الدخول إلى القرآن الكريم إلا من خلال السنة النبوية؟! فمن يكفر بالسنة لابد أنه سيكفر بالقرآن». «على النساء المسلمات أن يعرفن نعمة الله عليهن بهذا الدين الذي جاءت أحكامه صائنة لحرماتهن، راعية لكرامتهن، محافظة على عفافهن وحياتهن من الانتهاك ومن ضياع الأسرة»[2].

(1) مريم جميلة (مارجريت ماركوس)

(2) عن (مقدمات العلوم والمناهج) للعلامة أنور الجندي (مجلد 6 ص199).

24 ـ الكاتبة البريطانية إيفلين كوبلد[1]

شاعرة وكاتبة، من كتبها (البحث عن الله) و(الأخلاق). تقول: «يصعب عليَّ تحديد الوقت الذي سطعت فيه حقيقة الإسلام أمامي فارتضيته ديناً، ويغلب على ظني أني مسلمة منذ نشأتي الأولى، فالإسلام دين الطبيعة الذي يتقبله المرء فيما لو تُرك لنفسه». «لما دخلت المسجد النبوي تولتني رعدة عظيمة، وخلعت نعلي، ثم أخذت لنفسي مكاناً قصيّاً صليت فيه صلاة الفجر، وأنا غارقة في عالم هو أقرب إلى الأحلام.. رحمتك اللهم، أي إنسان بعثت به أمة كاملة، وأرسلت على يديه ألوان الخير إلى الإنسانية!».

وقلت أسارع ألقى النبيَّ ... تعطّرت، لكن بعطرِ المدينه
وغامت رؤايَ وعدتُ سوايَ ... وأطلقتُ روحاً بجسمي سجينهْ
سجدتُ، سموتُ عبرتُ السماء ... وغادرتُ جسمي الكثيف وطينهْ
مدينةُ حِبّي مراحٌ لقلبي ... سناءٌ، صفاءٌ نقاءٌ، سكينه»[2]

«لم نُخلق خاطئين، ولسنا في حاجة إلى أي خلاص من المسيح عليه السلام، ولسنا بحاجة إلى أحد ليتوسط بيننا وبين الله الذي نستطيع أن نُقبل عليه بأي وقت وحال».

من مقولاتها في كتابها (البحث عن الله):

● «.. وذكرتُ أيضاً ما جاء في القرآن عن خلق العالم وكيف أن الله سبحانه وتعالى قد خلق من كل نوع زوجين، وكيف أن العلم الحديث قد ذهب يؤيد هذه النظرية بعد بحوث مستطيلة ودراسات امتدت أجيالاً عديدة»[3].

---

(1) المصدر: من كتاب «ربحت محمدا ولم أخسر المسيح» د. عبدالمعطي الدالاني.

(2) ديوان «أحبك ربي» د. عبدالمعطي الدالاني، ص45.

(3) البحث عن الله، ص (45).

● «إن أثر القرآن في كل هذا التقدم (الحضاري الإسلامي) لا ينكر، فالقرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح العالم، ومكّنهم من إنشاء إمبراطورية فاقت إمبراطورية الإسكندر الكبير، والإمبراطورية الرومانية سعة وقوة وعمراناً وحضارة»(1).

● «الواقع أن جمل القرآن، وبديع أسلوبه أمر لا يستطيع له القلم وصفاً ولا تعريفاً، ومن المقرر أن تذهب الترجمة بجماله وروعته وما ينعم به من موسيقى لفظية لست تجدها في غيره من الكتب ولعل ما كتبه المستشرق جوهونسن بهذا الشأن يعبر كل التعبير عن رأي مثقفي الفرنجة وكبار مفكريهم قال: (إذا لم يكن شعراً، وهو أمر مشكوك به، ومن الصعب أن يقول المرء بأنه من الشعر أو غيره، فإنه في الواقع أعظم من الشعر، وهو إلى ذلك ليس تاريخاً ولا وصفاً، ثم هو ليس موعظة كموعظة الجبل ولا هو يشابه كتاب البوذيين في شيء قليل أو كثير، ولا خطباً فلسفية كمحاورات أفلاطون، ولكنه صوت النبوة يخرج من القلوب السامية، وإن كان عالميّاً في جملته، بعيد المعني في مختلف سوره وآياته، حتى إنه يردد في كل الأصقاع، ويرتل في كل بلد تشرق عليه الشمس»(2).

● «أشار الدكتور مارديل المستشرق الفرنسي الذي كلفته الحكومة الفرنسية بترجمة بعض سور القرآن، إلى ما للقرآن الكريم من مزايا ليست توجد في كتاب غيره وسواه فقال: (أما أسلوب القرآن فإنه أسلوب الخالق عز وجل وعلا، ذلك أن الأسلوب الذي ينطوي عليه كنه الكائن الذي يصدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلا إلهيّاً. والحق والواقع أن أكثر الكتاب ارتياباً وشكّاً قد خضعوا لتأثير سلطانه وسحره، وأن سلطانه على ملايين المسلمين المنتشرين على سطح المعمورة لبالغ الحدّ الذي جعل أجانب المبشرين يعترفون بالإجماع بعدم إمكان إثبات حادثة

(1) البحث عن الله، ص 51.
(2) البحث عن الله، ص 111 ـ 112.

واحدة محققة ارتد فيها أحد المسلمين عن دينه إلى الآن. ذلك أن هذا الأسلوب، الذي يفيض جزالة في اتساق منسق متجانس. كان له الأثر العميق في نفس كل سامع يفقه اللغة العربية، لذلك كان من الجهد الضائع الذي لا يثمر أن يحاول المرء (نقل) تأثير هذا النثر البديع الذي لم يسمع بمثله بلغة أخرى»[1].

● «الواقع أن للقرآن أسلوباً عجيباً يخالف ما كانت تنهجه العرب من نظم ونثر، فَحُسنُ تأليفه، والتئام كلماته ووجوه إيجازه، وجودة مقاطعه، وحسن تدليله، وانسجام قصصه، وبديع أمثاله، كل هذا وغيره جعله في أعلى درجات البلاغة، وجعل لأسلوبه من القوة ما يملأ القلب روعة، لا يمل قارؤه ولا يخفق بترديده.. قد امتاز بسهولة ألفاظه حتى قلّ أن تجد فيها غريباً، وهي مع سهولتها جزلة عذبة، وألفاظه بعضها مع بعض متشاكلة منسجمة لا تُحِسُّ فيها لفظاً نابيّاً عن أخيه، فإذا أضفت إلى ذلك سموّ معانيه أدركت بلاغته وإعجازه»[2].

(1) البحث عن الله، ص (112 ـ 113).
(2) البحث عن الله، ص (113).

25ـ العالمة الكندية صوفي بوافير[1]
ماجستير في تعليم الفرنسية والرياضيات

تمثل قصة إسلام السيدة (سلمى بوفير) نموذجاً للرحلة الفكرية الشاقة التي مر بها سائر الذين اعتنقوا الإسلام، وتمثل نموذجاً للإرادة القوية، والشجاعة الفكرية وشجاعة الفكر أعظم شجاعة.

تروي السيدة سلمى قصة اهتدائها إلى الإسلام فتقول باعتزاز: «ولدت في مونتريال بكندا عام 1971 في عائلة كاثوليكية متدينة، فاعتدت الذهاب إلى الكنيسة، إلى أن بلغت الرابعة عشرة من عمري، حيث بدأت تراودني تساؤلات كثيرة حول الخالق وحول الأديان، كانت هذه التساؤلات منطقية ولكنها سهلة، ومن عجب أن تصعب على الذين كنت أسألهم! من هذه الأسئلة: إذا كان الله هو الذي يضر وينفع، وهو الذي يعطي ويمنع، فلماذا لا نسأله مباشرة؟! ولماذا يتحتم علينا الذهاب إلى الكاهن كي يتوسط بيننا وبين من خلقنا؟! أليس القادر على كل شيء هو الأَوْلى بالسؤال؟ أسئلة كثيرة كهذه كانت تُلحُّ علي، فلمّا لم أتلق الأجوبة المقنعة عنها توقفت عن الذهاب إلى الكنيسة، ولم أعد للاستماع لقصص الرهبان غير المقنعة، والتي لا طائل منها.

لقد كنت أؤمن بالله وبعظمته وبقدرته، لذلك رحت أدرس أدياناً أخرى، دون أن أجد فيها أجوبة تشفي تساؤلاتي في الحياة، وبقيت أعيش الحيرة الفكرية حتى بدأت دراستي الجامعية، فتعرفت على شاب مسلم تعرفت من خلاله على الإسلام، فأدهشني ما وجدت فيه من أجوبة مقنعة عن تساؤلاتي الكبرى! وبقيت سنة كاملة وأنا غارقة في دراسة هذا الدين الفذ، حتى استولى حبه على قلبي،

---

(1) المصدر: من كتاب «ربحت محمدا ولم أخسر المسيح» د. عبدالمعطي الدالاني.

والمنظر الأجمل الذي جذبني إلى الاسـلام هو منظر خشـوع المسلم بين يدي الله في الصـلاة، كـانت تبـهـرني تلك الحـركـات المعـبـرة عن السكينة والأدب وكـمـال العـبـودية لله تعـالى. فـبـدأت أرتاد المسـجـد، فـوجـدت بعض الأخـوات الكنديات اللواتـي سبـقـنني إلى الاسـلام الأمـر الذي شـجـعني على المضي في الطـريق إلى الاسـلام، فـارتديت الحـجـاب أولاً لأخـتـبـر إرادتي، وبقـيت أسـبـوعين حتى كـانت لحظة الانعـطاف الكبيـر في حيـاتي، حين شـهـدت أن لا إله إلا الله وأن مـحـمـداً رسـول الله. إن الاسـلام الذي جـمـعني مع هـذا الصـديق المسلم، هو نفسـه الذي جـمعنا مـن بعـد لنكون زوجين مسـلمين، لقـد شـاء الله أن يكون رفـيـقـي في رحلة الإيمان هـو رفيقي في رحلة الحياة».

26 ـ الفيلسوف الفرنسي رينيه جينو

عبدالواحد يحيي (رينيه جينو) عالم وفيلسوف وحكيم، درس الأديان عامة، ثم اعتنق الاسلام، فأحدث إسلامه ضجة كبرى في أوروبا وأمريكا، وكان سبباً في دخول الكثيرين إلى الإسلام.

ألف الكثير من الكتب منها (أزمة العالم الحديث) و(الشرق والغرب) و(الثقافة الإسلامية وأثرها في الغرب)، كما أصدر مجلة سماها (المعرفة).

وقد ترجمت كتبه إلى كثير من اللغات الحية، وبسبب قدرة أفكاره على الاكتساح فقد حرَّمت الكنيسة قراءة كتبه! ولكن كتبه انتشرت في جميع أرجاء العالم.

وممن تأثر بكتاباته الكاتب الفرنسي المشهور أندريه جيد الذي كتب يقول: «لقد علمتني كتب جينو الكثير، وإن آراءه لا تُنقَض».

يقول عبدالواحد يحيى:

«أردت أن أعتصم بنص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم أجد بعد دراسة عميقة، سوى القرآن».

«لقد ابتعدت أوربا عن طريق الله فغرقت في الانحلال والدمار الخلقي والإلحاد، ولولا علماء الإسلام لظل الغربيون يتخبطون في دياجير الجهل والظلام».

27ـ الباحثة الأمريكية بربارا براون

كانت الكاتبة الأمريكية «بربارا براون» من بين المنضمين الى رحاب الإسلام، في التسعينيات. وبهذا تكون قد توصّلت إلى السلام الداخليّ مع نفسها، وطوت صفحة من حياتها دامت مدة سبع وثلاثين سنة كانت تائهة في ضباب الارتياب بخصوص الله والطريقة الصحيحة لعبادته، حتّى استطاعت في عام 1991م أن تكتشف الإسلام، على حسب تعبيرها.

وعن نشأتها كمسيحيّة وخلفيّات تحوّلها إلى الإسلام تقول براون: «لقد نشأتُ كمسيحية وترعرعتُ في كنف طائفة بروتستانتيّة تُعرف بـ «عقيدة المسيحية الإصلاحية» Christian Reformed Faith.

ورغم الخلفية الدينية الشاملة: صلاة في الكنيسة مرتين كل يوم أحد وفي العطلات، وتعليم مسيحي خاص يوم الأحد ومدارس صيفيّة لدراسة الكتاب المقدّس، ومعسكرات دينيّة، ودروس عقائديّة كنيسيّة ومجموعات شباب مسيحية، فقد وجدتُ نفسي أواجه أسئلة عديدة، بخصوص أسس عقيدتي، لم يستطع أي شخص ولا أية طريقة من التعليم الديني أن تجيب عليها. ولمدّة سبع وثلاثين سنة، كنتُ تائهة في ضباب هذا الارتياب بخصوص الله والطريقة الصحيحة لعبادته حتّى استطعت في عام 1991م أن أكتشف الإسلام».

وتواصل الكاتبة الأمريكية كلامها:

«لقد كان نزاع (عاصفة الصحراء) في الشرق الأوسط على أشده. وبجوار كتب استراتيجية الحروب والأسلحة في مكتبة محليّة، كان هناك كتاب صغير عنوانه (فهمُ الإسلام) (Understanding Islam)، وتصفّحت الكتاب بنفس فضول البعض، في ذلك الوقت، حول هذا الدين (الغامض) من الشرق الأوسط.

وتحوّل الفضول بسرعة إلى اندهاش، عندما عرفتُ من خلال صفحات ذلك الكتاب أنّ الإسلام أعطاني الأجوبة لتلك الأسئلة التي كانت تنتابني طيلة تلك السنين ـ ولم أضيّع كثيراً في الوقت ـ لقد أصبحت مسلمة. وأخيراً فلقد توصّلتُ إلى ذلك الهدف، وهو أن أكون في سلام داخلي نفسي بخصوص علاقتي مع الله».

بما أنّ الله قد وهبها الإمكانيّة لأن تُعبّر عن نفسها وأفكارها ببلاغة على صفحات الورق، فإنها حاولت أن تُخاطب الآخرين الذين يعانون من نفس تلك الشكوك التي تطوف في مخيّلاتهم بخصوص الدِّين؛ وكان الأمل الذي يحدوها هو كما تقول:

«انّني ربّما أستطيع أن أوجّههم نحو بعض الأجوبة. أن المادة التي أقدمها هنا يمكن أن تفاجئ البعض وربما تصدمهم عندما يقرؤونها، ولكن البحث عن الحقيقة ليس سهلاً، وخصوصاً في مواجهة العقائد والمبادئ التي اعتنقناها لآماد طويلة».

وفي هذا الاتجاه، بدأت عملها بكتابة بعض المقالات، وأبرزها:

1 ـ ثلاثة في واحد: نظرة إلى العقيدة المسيحية في التثليث، وقد طُبعت في بداية عام 1993 من قبل مدرسة شيكاغو المفتوحة The Open School Of Chicago.

2 ـ مقالة عنوانها: نظرة عن قرب نحو الديانة المسيحية، وهي دراسة عن العقائد المسيحية.

3 ـ مقالة عنوانها: حالة في الفساد، وهي دراسة في تحريف النص في الكتاب المقدس.

وفي آذار (مارس) 1993م، أقدمت الكاتبة «بربارا براون» على تجميع المقالات الآنفة الذكر مع بحوث إضافية (لأنها واظبت على الإكثار من القراءة)

وطبعتها في كتاب صدر بالانجليزية عام 1993م تحت عنوان: (A Colser Look At Christlanity). وتُرجم إلى العربية عام 1995م، بعنوان «نظرة عن قرب في المسيحية».

«أن نكون في سلام مع أنفسنا بخصوص الله: هذه ببساطة، هي الفكرة وراء هذا البحث كلِّه». بهذه العبارة صدّرت «بربارا براون» مقدمة كتابها المذكور، ومضت بالقول: «إن الكثير منا يعيش حياته راضياً بقبول الأشياء (كما هي)، فنضرب صفحاً عن الأسئلة الصغيرة المنكّدة والشكوك التي تتوارد على أذهاننا وخصوصاً في القضايا المتعلقة بالدين. نعم أننا نستطيع أن نمضي هكذا في رحلة الحياة، ولكننا لا نستطيع أبداً أن نصل إلى تلك الحالة من السلام داخل نفوسنا.

والبعض منا، مع ذلك لا يكتفون أن يأخذوا الأشياء بسطحية، فيبحثون بجد عن أجوبة تلك الأسئلة التي تعترضنا في طريق الحياة. فنحن نضع موضع التساؤل عقائد آبائنا ولسنا مستعدين لأن نقنع بالقبول الأعمى. وهذا الطريق ليس من السهل أن نسير عليه بأي حال، ولكن المكافأة هي التي تستأهل منا هذا الجهد.

وتختتم الكاتبة المهتدية مقدمة كتابها بالقول:

«إني لآملة في الصفحات التالية أن تتاح الفرصة للقراء ليبصروا وجهة النظر حول المسيحية كما تيسر لي أن أفهمها».

وبهذه الثقة الكبيرة والأمل المشرق خاضت «بربارا» العديد من القضايا المهمة والإثارات الحساسة، على صعيد المعتقدات المسيحية. ففي البداية تطالعنا بعنوان «ميثاق يصيبه الانحراف» تُسلّط فيه الأضواء السريعة، ولكنّها كاشفة، على مرحلة إرهاصات ظهور المسيح، مؤكدة: لأجل أن نفهم الرسالة الحقيقية

للمسيح، يجب علينا أن نعود إلى التاريخ قبل ظهور المسيح لنجد لماذا أُرسل المسيح أصلاً، لنخلص إلى أن اليهود قد انحرفوا، مرة أخرى، عن التوحيد ولكن انحرافهم عن التوحيد في هذه المرة قد تم تحت غطاء كثيف من الطقوس والشعائر المعقدة. إن هذا كان هو الموقف السائد في العالم عندما تلقى عيسى دعوته من الله.

وعن «رسالة المسيح» السماوية، وكيف طرأ عليها التغيير أو التحريف فجأة عندما ظهر على المسرح واعظ ادعى بأنه يتكلم باسم المسيح، بعد سنوات قليلة فقط من (رحيل) المسيح. ذلك هو الشاب اليهودي «شاؤول» المولود في طرطوس، والعضو في طائفة يهودية تسمى الفريسيين التي تتميز بتمسكها الأعمى بالمظاهر والطقوس.

وبالرغم من أن الديانة المسيحية تأخذ اسمها من عيسى المسيح، فإن شاؤول الذي غير اسمه إلى بولص يجب أن يعتبر هو مؤسسها الحقيقي.. والمسيحيون لا ينكرون ذلك أيضا.. ولكن هناك مشكلة كبيرة.. وهي أن تعاليم بولص ـ المؤسس الحقيقي للمسيحية ـ لا يمكن العثور عليها في أي مكان من تعاليم عيسى أو في تعاليم الأنبياء الذين سبقوه. ليس هذا فقط ولكن بولص لم يكن له إلا اتصال قليل مع الحواريين الحقيقيين لعيسى والذين كان من الممكن أن يوجهوه إلى الطريق الصحيح. فهؤلاء لم يكونوا على وفاق مع تعاليم بولص المبتكرة وأخبروه بذلك كلما كان ذلك ممكنا.

وفي النهاية، على أي حال، فإن نوع المسيحية التي نادى بها بولص إنما أحرز فيها النجاح بفضل شخصيته الساحرة، إضافة إلى حقيقة أنه وأصحابه غلبوا الحواريين الحقيقيين لعيسى في أمور مهمة كالوجاهة الاجتماعية والثروة والتعليم، ولذلك حصل على أتباع كثيرين من بين السكان غير اليهود. فالمسيحية ـ اليهودية، أي عقيدة حواريي عيسى لم تكن لها أية فرصة للنهوض.

بعد ذلك، تمضي بربارا براون في إلقاء نظرة من قرب على كل البدع التي أدخلها بولص في «ديانته» المسيحية كالتثليث، والخطيئة، وألوهية عيسى وموته، والخلاص.. إلخ؛ لتنتهي إلى أن الإسلام هو الدين الحق، فهو دين بسيط ليس مدفوناً تحت تعقيدات غامضة وغير منطقية من العقائد، وليس في الإسلام كهنوت ولا قديسون ولا مراتب دينية ولا قرابين مقدسة. إن اللاهوت لا مكان له في الإسلام، لأن الإسلام طريقة حياة وليس حفنة من الكلمات.

وهكذا يتضح أن الإسلام هو الحل الناجح الوحيد الذي لا مناص للبشرية المعذبة أن تأوي ـ ذات يوم ـ إلى كنفه، طال الوقت أم قصر.

28ـ أستاذ الفلسفة الجامعي الفرنسي روبرت بيرجوزيف

أستاذ سابق للفلسفة بالجامعات الفرنسية، وله العديد من الكتب في مجال الفلسفة والتوحيد.. اعتنق الإسلام بعد دراسة جادة مضنية أوصلته إلى اقتناع كامل به كدين قائم على التوحيد ـ علي عبادة الله الاحد.

وعلى حد تعبيره كان من فضل الله عليه أن منَّ الله عليه بالإسلام مكافأة من الله له على ما بذله في سبيل تحصيل العلوم المختلفة، وخاصة اجتهاده في الفلسفة والتوحيد، فضلاً عن إلمامه الكبير في مختلف فروع المعرفة.

ويسترسل الدكتور في حديثه فيقول:

«بلا شك أن الإسلام ـ وهو دين العلم والمعرفة ـ يدعو معتنقيه إلى التزود بالعلم به، ولا غَروَ في ذلك، فإن أول آية من القرآن الكريم هي قوله تعالى لرسوله الكريم: ﴿اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١). والنبي الكريم يقول: «اطلبوا العلم ولو كان في الصين»، فمن تجاربي الشخصية فإني أؤمن إيماناً لا يتزعزع بأن الفرد الذي يخلص في أبحاثه للحصول على العلم في أي فرع من فروعه لخدمة المجتمع، ولخير البشرية جمعاء، فإن الله سبحانه وتعالى سيجازيه خير الجزاء على كل ما يقدمه من خير لمجتمعه، فالله يقول في سورة الزلزلة:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ (٨)﴾ (الزلزلة: ٧ ـ ٨).

وبالنسبة لي فإنني لم أكتف بدراستي الخاصة في الفلسفة، بل إنني حاولت في شتى فروع المعرفة، وخاصة في إثبات وحدانية الله خالق كل شيء، ومدبر كل شيء في هذا الكون، الذي تهدده الحضارة المادية الإلحادية التي تقضي على كل ما توارثته الأجيال الماضية والحاضرة من تقدم وازدهار. فسلاح العلم

وحده لايُستخدم إلا في الخير والبناء، لا في الدمار والخراب، وذلك هو الأمل لأبناء البشرية جمعاء للوصول إلى الحقيقة الكبرى، وإلى خلاص العالم من مشاكله.

فالعلم والبحث كانا سبباً في انبثاق إشراقة الأمل ونور الحق، وإنارة الطريق أمامي.. ويهديني ربي إلى الصراط المستقيم، ويرشدني إلى بر الأمان، وينقذني من العذاب الشديد الذي كنت أعانيه نتيجة الصراع العنيف الذي كان يدور في نفسي، ولا ريب في هذا الكلام، فإنني أعتقد بأن الإسلام ـ وهو شريعة الله والحق ـ معناه السلام، بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معانٍ كبيرة، وأولها السلام بين الشخص ونفسه.

فالنفس ـ وهي الأمارة بالسوء ـ لا تستطيع أن تسيطر عليها وتوجهها إلى خير الفرد والمجتمع، إلا الشريعة الإسلامية ومبادئها السمحاء.

فالشهادة تعني أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. تعني أن الناس جميعاً متساوون، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى..

واتصال العبد مباشرة بخالقه خمس مرات يومياً ـ في صلاته ـ زاد يومي يُذَكِّرُهُ بوجود الخالق، ويدعوه إلى اتباع ما دَعَا إليه، واجتناب ما نهى عنه.. .﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

والزكاة توحد بين القلوب، وتقضي على الحقد والبغض والحسد، فتقرب بين المسلمين وتجعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا..

وصيام رمضان يعتبر تدريبا للنفس لكبح جماحها..

وخروج الفرد من زينة الدنيا في الحج يذكره بيوم الحشر والحساب..

فهذه المبادئ تستطيع إقامة المجتمع المثالي الذي ظل يبحث عنه منذ

نشأته.. ولذا فإنني أدعو كل إنسان أن يبحث عن حقيقة الإسلام ومبادئه المختلفة، ولا يتأثر بالادعاءات الكاذبة التي يرددها المغرضون وأصحاب الأغراض الشخصية، فالطريق مفتوح أمام كل إنسان للنظر في كتاب الله وسنة رسوله، وليحكم بعد ذلك بما يمليه عليه ضميره.

ثم يقول الدكتور الجامعي الذي أسلم: إن شيئاً فعلته بعد اعتناقي للإسلام، هو محاولة زيارة الدول الاسلامية لدراسة أحوال معيشتهم، والتعرف عليهم، ولقد سعدت كثيراً بزيارة المملكة العربية السعودية، والكويت، ومصر وغيرها، وكنت دائماً أحس بالبيئة الإسلامية التي أفتقدها ويفتقدها كل مسلم يعيش في بلاد الغرب.

ثم يستطرد قائلا: إنني الآن أقوم بمحاولة إعداد كتاب باللغة الفرنسية عن الشريعة الإسلامية، وتاريخ الإسلام والمسلمين، ودور علماء المسلمين الأوائل في العلوم والفنون المختلفة.

ثم اختتم حديثه وهو في حالة من النشوة والزهو وهو يقول:

أود أن أطلب من المسلمين أن يفتخروا بأنهم مسلمون، وأن يكونوا خير مثل لهذه الشريعة الخالدة، وأن يكونوا جديرين بأن يحملوا هذه العقيدة.

وأحب أن أذكر هنا مثلاً يبين لهم أهمية تمسكهم بدينهم دون التأثر بما يجري من حولهم، وهو أن أصحاب الأعمال هنا يفضلون المسلمين المتمسكين بدينهم، نظراً لأنهم يكونون على خُلُق طَيبٍ وإخلاص تام للأعمال التي يقومون بها، فضلاً عن أن سلوكهم الاجتماعي يجبر الجميع على احترامهم وتقديرهم، واحترام وتقدير عقيدتهم.

كما أطلب من الدول الإسلامية ـ وخاصة مصر ـ أن تتحمل المسئولية الكبرى لخدمة الإسلام والمسلمين في العالم أجمع، كأن تهتم مثلاً بتوزيع

المطبوعات الإسلامية التي تتناول الأسس والمبادئ الإسلامية بالأسلوب العلمي المبسط، وباللغات المختلفة.. وأن تهتم بالقرآن الكريم وترجمته للشعوب غير الناطقة بالعربية، والاهتمام أيضا باسطوانات وتسجيلات تعليم الصلاة للمسلمين في الدول الغربية بصفة عامة، وفي فرنسا بصفة خاصة، حتى يمكننا - نحن الأوروبيين دراسة ومعرفة هذا الدين الحنيف.. كما يمكننا نحن الذين أسلمنا أن نُعَرّف إخواننا غير المسلمين به، ولكل طالب علم ومعرفة، والله يهدي من يشاء من عباده.

29 ـ عالم النفس الألماني فيلي بوتولو

هو أستاذ علم النفس بجامعة «ميونيخ» بألمانيا الغربية سابقا.. درس القرآن وتعمق في دراسة التصوف الإسلامي بحكم تخصصه كباحث في الظواهر المختلفة في الأديان.. جذبه الإسلام الذي شعر تجاهه براحة نفسية، ويعبر عن ذلك بقوله:

«إنني وجدتُ في الإسلام راحة نفسية، لم تفتقدها ألمانيا الغربية فحسب، وإنما تفتقدها أوروبا كلها».

ثم يسرد قصة إسلامه فيقول:

«إن شعوري بانجذاب للإسلام كان منذ فترة طويلة.. ولكن أراد الله تعالى أن يكون عملي كأستاذ لعلم النفس بجامعة «ميونيخ» مدخلاً لاعتناقي دين الإسلام.. فمن خلال عملي بدأت مرحلة البحث والدراسة حول الأديان كافة لمختلف دول العالم، والظواهر الغريبة في كل الأديان.

وعند دراسة الإسلام شد انتباهي ما وجدته في القرآن أولاً، وفي التصوف ثانياً، من شرح لأصول العقيدة ومناهج الإسلام، فعكفت على دراسة التصوف فترة قصيرة، حتى انتهيت إلى حقيقة مهمة وهي أن الإسلام يهتم بعلاج الإنسان ظاهراً وباطناً.. فهو دين يدعو إلى نظافة الظاهر وطهارة الباطن، ويربي في الإنسان حب الأخوة والترابط والتآلف، بعكس ما نجده في المجتمعات الغربية، حيث يعيش كل إنسان في عالمه الخاص، لا تربطه بالمجتمع روابط روحية أو علاقات دينية، كما يحدث عند المسلمين.

وعرفت من خلال دراستي للتصوف أن المتصوفة يجتمعون لذكر الله، ويلتقون على حُبِّه، ويسيرون في طريق النقاء الروحي والوجداني، ويتلون أوراداً معينة بعد كل صلاة، مما يجعلهم مشدودين دائماً إلى تعاليم السماء.

ثم يصمت برهة ليتأمل ما حوله ليقول بعدها:

«من الصعب أن تجد في أوروبا مجتمعاً يتسم بهذه الصفات، ولهذا وجدتُ نفسي مدفوعاً إلى اعتناق الإسلام.. ولكنني رأيت من الضروري والضروري جدّاً - أن أظل مسلماً في السر لمدة عام كامل، لأنك إن أردت أن تدخل الإسلام في بلد كل وسائل الإعلام فيه موجهة ضد هذا الدين الحنيف، لكان ذلك صعباً جدّاً ولكن بعد أن رسخت العقيدة في نفسي أعلنت إسلامي بصراحة، ولم أخش الذين يحاربون الإسلام.

ثم اختتم قوله بحماس - وهو يشير بإصبعه إلى بعيد:

«إنني أؤكد أنه بدون القرآن، وبدون التصوف[1] الذي يُعَدُّ فرعاً من علم النفس الذي أدرسه في الجامعة لم يكن بمستطاعي أن أغيرَ ديني ولذا فلقد غيرت ديني عن ثقة واقتناع تام»..

ثم ابتسم ابتسامة عريضة وهو يقول:

«لقد تغيرت حياتي اليومية بعد الإسلام تماماً، وانتظمت انتظاماً عجيباً، فقد كانت في الماضي بلا هدف، أما الآن فقد أَصبح لها معنى، ولها هدف ولها حلاوة.. لقد أصبحتُ أخاف الله في كل تصرفاتي، وأعرف أن لي ربّاً سوف يحاسبني فيما أفعله في أي وقت».

(1) يلاحظ أن اختياره لاسم «أبي الحسن» بالذات لأنه أحبَّ القطب الصوفي الكبير «أبا الحسن الشاذلي»، كما أوضح في ثنايا حديثه.

30 ـ أستاذ الصحافة الأمريكي مارك شليفر

هو أستاذ علم الصحافة بجامعة «نيويورك».. لم يكن ملتزماً بدين معين، مع أنه ينتمي إلى أسرة مسيحية كاثوليكية.. كان يعمل بالمغرب مراسلاً للإذاعة الأمريكية، ولعدد من المجلات في «نيويورك».. وعن إقامته بالمغرب يقول:

«.. كانت فترة إقامتي بالمغرب مفتاح السعادة لي ولأسرتي، فقد رأيتُ عالماً جديداً يختلف كليةً عن العالم الذي تركته خلفي في الولايات المتحدة الأمريكية، وما لمسته عن كثب من جمال وروعة السلوك الإسلامي شدني إلى شريعة الحق».

ويستطرد في حديثه ليذكر موقفاً قد تعرض له فيقول:

«تعثرت قدمي في حفرة ذات يوم حينما خرجت لأول مرة إلى سوق شعبي بمدينة الرباط، وعلى الفور وجدتُ عددا من المغاربة يسارعون إليَّ لمساعدتي على النهوض، ويسألوني في لهفة عمّا إذا كنت قد أُصبت بسوء!!».

ثم أردف هذا الموقف بما حدث له أثناء فترة مرضه قائلاً:

«ومرضت ذات مرة فوجدت عشرات من جيراني ومعارفي يأتون لزيارتي، ويحاول كل منهم أن يصنع لي شيئاً، فدهشت لهذا السلوك الإنساني الذي لم أجد له نظيراً في بلدي أمريكا، حيث الكل لا يهتم إلا بنفسه، وطابع الحياة المادية البحتة هناك يصبغهم جميعاً بالأنانية، ولهذا لا يكترثون بما يصيب الآخرين، فالمرء عندنا يكون محظوظاً إذا ساعده أحدٌ أو زاره أهله في أثناء مرضه، أو حتى سألوا عنه.. ولذا فإنني حين سألتهم عن الدافع الذي يحملهم على صنع كل هذا من أجلي بدون مقابل؟!.. أجابوا جميعاً: إن هذا هو ما يفرضه عليهم دينهم الإسلامي، ويأمرهم به رسولهم العظيم محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم يستطرد قائلاً:

«إنه بعد مناقشات طويلة واسعة مع عشرات من علماء الإسلام تعلمت خلالها الكثير من أمور الإسلام، فازداد إعجابي به أكثر، ومع مرور الوقت وجدت عقيدة التوحيد تملأ عقلي وقلبي.. ومن ثم انكببت أدرس ترجمة لمعاني القرآن الكريم، واستوعبت ما بها حتى وجدت نفسي تتوجه إلى الله أن يهديني إلى الطريق المستقيم».

ويمتد نظره إلى بعيد سارحاً في أعماق نفسه وكأنه يسبر أغوارها ليقول وهو يهز رأسه: «.. وبينما أقلب صفحات القرآن الكريم إذا بي أطالع تفسير الآيتين الكريمتين: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام: ١٠٣ ـ ١٠٤).

عندئذ لم أتمالك نفسي، ووجدت الدموع تنهمر من عيني، ومن ثم أيقنت أن هذه إشارة صريحة من الله عز وجل ترشدني إلى الإسراع في اعتناق الدين الإسلامي الحنيف، واللحاق بركب الموحدين، وعلى الفور حزمت حقائبي، وسافرت إلى أمريكا حيث أشهرتُ إسلامي أنا وزوجتي وولدي بالمسجد الكبير في «نيويورك».

31 ـ أستاذ الأدب البريطاني جان مونرو

أستاذ الأدب الإنجليزي في الجامعة الأمريكية ببيروت.. درس في جامعات «نورث كارولينا» و«لندن» و«تورنتو».. ووضع خمسة عشر كتاباً معظمها يدور حول المواضع التي يدرسها، فضلاً عن أنه كتب حول موضوعات متنوعة تتعلق بالحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط.. وآخر كتبه هو «التجارة والإسلام في منطقة الشرق الأوسط».

عاش بين المسلمين في لبنان عشرين عاماً بحكم عمله رئيساً لقسم الأدب الإنجليزي في الجامعة الأمريكية في بيروت.. عرف في أثنائها طبيعة وسلوك المسلمين، وتبين له خطأ التصوُّر الذي كان يحمله معه عند ذهابه إلى لبنان، فقد كان يسيطر علي مخيلته بعض الأضاليل والافتراءات على الإسلام والمسلمين، والتي كانت منتشرة بصورة كبيرة في الغرب، مثال ذلك أن الحرب المقدسة عند المسلمين هي العدوان على كل من لا يؤمن بعقيدتهم الإسلامية.. ولكنه بعد أن قرأ بإمعان التاريخ الإسلامي، اتضح له بجلاء أن الإسلام عقيدة متسامحة، ودين لا يُفرض على الآخرين بالإكراه.

ولقد تأكد من ذلك بالمعايشة الفعلية التي يعبر عنها قائلاً:

«أريد القول: إن حظِّي كان كبيراً، لأن الفرصة قد أتاحت لي الدراسة، ولكن ليس بطريقة أكاديمية، وإنما عن طريق اتصالات الصداقة مع مجموعة من الناس الذين كانت مهمتهم تنوير الناطقين بالإنجليزية بحقيقة طبيعة العقيدة الإسلامية، فضلاً عن ذلك أنني قرأت كل ما وصلت إليه يداي، كما أنني ناقشت مع الذين أعمل معهم بعض القضايا التي يُثار الجدل حولها.. وبهذه الطريقة توصلت إلى طبيعة وحقيقة الإسلام، ليس على أنه نظام يجب دراسته ـ وهي الطريقة التي يتبعها معظم الغربيين في معرفة الإسلام، ولكن كعقيدة فعالة،

ومنهج وطريق للحياة، وكنت في بداية الأمر مهتماً بهذه الأمور.. أمّا الآن فإنني أكنُّ كل احترام وتقدير للإسلام وأتعاطف معه.

وعن تأثير الإسلام على حياته يقول:

«إنني أعتقد أن تجربتي المشتركة مع المسلمين قد جعلتني أكثر تسامحاً من قبل.. كما أن تلك التجربة قد جعلتني مدركاً لبعض الأمور التي تحيط بي أكثر من الماضي.

بالإضافة إلى هذا، أصبحت متفهماً لوضع المرأة في الإسلام، على عكس ما يعتقد الغربيون ـ بصورة خاطئة ـ أن المسلمين يعتبرون النساء كائنات دنيا ووضيعة، في حين أن الحقيقة أن النساء في ظل الإسلام يتمتعن بتلك الحقوق والامتيازات التي يجب أن يتمتعن بها، يكفي أن هناك سُوَراً عديدة في القرآن الكريم تثبت وجهة نظري هذه.

وأخيراً ـ فإن أهم درس تعلمته من الإسلام هو عدم الجدوى من التذمر من أمور هي فوق طاقتنا لتغييرها أو تبديلها، فالإنسان ليس قادراً على كل شيء، مع أنه يتمتع بصفات خارقة تميزه عن بقية المخلوقات، ولكن عليه إدراك ضرورة الإذعان إلى قوة خارج طاقته، وأن التذمر من ذلك يؤدي إلى الفشل والإخفاق والحزن، في حين أن الإنسان الذي يدرك مكانه الحقيقي في هذا الكون يكون هادئاً مطمئناً يشعر بالراحة مع نفسه وعالمه المحيط به».

ثم عاد يكرر: إن فَهمَ الإسلام لا يكون إلا بمعايشته. ويأخذ على الأوروبيين أنهم لا يُعايشونه، لذلك فعندما يصلون إلى مرحلة التقييم الفكري للإسلام فإنهم يصلون إلى ذلك بواسطة طريقة أكاديمية، ولذلك فإن العديد من علماء الغرب الذين يعتنقون الإسلام يعتبرهم زملاؤهم شواذاً، لأن الأوربي العادي يعتبر الإسلام ديناً دخيلاً وغريباً أكثر من اعتباره عقيدة حيوية. ويرى «مونرو» أنه عندما يتم استيعاب وفهم مبادئ الإسلام النبيلة يكون التعاطف معه وانتشاره.

32ـ الأستاذ الجامعي الإسباني ميجيل بيرو

قرأ «ميجيل بيرو» عن الإسلام الذي وضع ضوابط للسلوك ومعايير أخلاقية في المعاملات، في الوقت الذي كره الحرية المنفلتة في أوروبا، والانحلال، وعدم الترابط الأسري، وكثرة الجرائم والانحرافات التي سادت المجتمعات الغربية.

ثم حدث أن التقى بمجموعة من الإسبانيين المسلمين، وعن طريقهم أتيح له إمكانية قراءة ترجمة معاني القرآن بالإسبانية، فاستشعر بميل قوي ودبيب حُبّ تجاه هذا الدين، فواصل قراءاته المكثفة عنه حتى اقتنع تماماً بتعاليمه ومنهاجه، بعدها قرر أن يشهر إسلامه، ويختار لنفسه اسم «نصر الدين».

يقول في مجمل حديثه عن إسلامه:

«لقد التقيت بمجموعة من الإسبانيين المسلمين، وعن طريقهم أتيحت لي إمكانية قراءة ترجمة معاني القرآن، كما قرأت عن التراث العربي القديم فأُعجبت به، بعدها قررت أن يكون الإسلام ديني.

وقد قام أحد أصدقائي بترجمة كتاب «المحظورات» للشيخ «ياسين رشدي» واستفدت فيه كثيراً، وسمعت صوت الشيخ «عبدالباسط عبدالصمد» في قراءة القرآن وأحببته كثيرا.

ويضيف: «وبالرغم من القليل الذي عرفته عن الإسلام فإنني أتمنى من كل قلبي أن يهتدي إليه الناس أجمعون، وسأعمل على الدعوة إلى الإسلام، وسوف ابتدئ بعائلتي والمقربين إليّ إن شاء الله».

ثم يستطرد قائلاً:

«إنني أحافظ على أداء الفروض في مواقيتها، وعلى صلاة الجمعة التي

أشعر براحة نفسية كبيرة عند أدائها.. وأنني أعرف أهمية خطيب المسجد، والدور الكبير الذي يقوم به تجاه المسلمين، مثل مساعدتهم على فهم القرآن الكريم، وشرح الأحاديث النبوية، بجانب إرشادهم وتجميعهم على طريق الخير والصلاح».

وعن تصوراته المستقبلية كمسلم يسعى للمزيد من العلم بدينه قال:

«إنني حريص على تعلم اللغة العربية وإتقانها حتى يتسنى لي قراءة القرآن بلغته الأصلية، وبالتالي محاولة فهم معانيه، لأن ترجمته إلى اللغات المختلفة تؤدي إلى تضارب المعنى وعدم الوضوح» ثم يصمت فجأة ليسترجع شيئاً دفيناً في نفسه:

«إنني أنبه إلى أن الكتب التي تُرجمت إلى الإسبانية عن الإسلام ليست دقيقة في مضمونها، خصوصاً بعد ما ترجم أحد الأسبان ـ وهو مسيحي يدعى «جانت فونت» ـ معاني القرآن إلى الإسبانية بطريقة بعيدة كل البعد عن النص القرآني أو معناه.. مما جعل الذين اطلعوا على هذه الترجمة من الإسبان يقولون: إن الإسلام دين غريب، ومما يدعو للأسف والأسى ما جاء في تلك الترجمة الإسبانية على يد ذلك المترجم، وعلى الأخص سورة «الناس» التي ترجمها إلى سورة «الرجال» وأخلَّ بمعناها وبمضمونها».

وعن المسلمين في إسبانيا يقول الدكتور «نصر الدين» الذي يعمل أستاذاً بجامعة القاهرة: «وبالرغم من أن المسيحية هي الديانة المنتشرة في إسبانيا، فإن حرية الأديان متاحة للجميع، ولكن الإسلام ـ كما في كثير من الدول الأوروبية ـ يظل محدود الانتشار، ممّا يتطلب تنشيط حركة الدعوة الإسلامية ودعم أنشطتها ووضع كافة الإمكانيات في سبيلها».

33 ـ رئيس المعهد الدولي التكنولوجي بالرياض الدكتور اسبر إبراهيم شاهين

رئيس المعهد الدولي التكنولوجي لـ«الشرق الأوسط»:

- **عملية سرطانية في البنكرياس حولت مجرى حياتي**
- **اتساع المد الإسلامي وراء الحملة عليه**

(جريدة الشرق الأوسط)

الدكتور اسبر إبراهيم شاهين اسم معروف في الولايات المتحدة الأمريكية التي يحمل جنسيتها وتربطه علاقة صداقة حميمة مع رؤسائها ويعتبر أحد الشخصيات ذوي الإنجازات في دول الغرب، ولكونه من أصل عربي ويحمل الجنسية الأمريكية فقد تابع باهتمام بالغ التطورات الجارية في المنطقة العربية. وقد أسهمت رحلاته إلى الشرق الاوسط على مدار سنوات كثيرة في الحصول على فهم أفضل وأعمق للمنطقة، وعرف شاهين بمؤلفاته ومقالاته التي تناول فيها عدة موضوعات وحققت رواجاً بين أوساط القراء بل إن بعضها أدرج ضمن الكتب الأكثر رواجاً وخصوصاً تلك التي لها علاقة بالتكنولوجيا. والدكتور شاهين خطيب بارع، ومتحدث لبق يجيد فن الحديث. وقد نال جائزة قيمة في مجال تطوير المهارات المتخصصة، وهو مصنف ضمن رجال العلم الأمريكان، وضمن أحد الشخصيات ذوي الإنجازات في دول الغرب. كما أنه مواطن فخري لمدينة تكساس وأحد الأساتذة البارزين في أمريكا. وقد نال جائزة رواد الخطابة العالمية للباقته في الحديث. كما حصل على شهادة تقدير وسجل اسمه في سجل الشرف التذكاري الرئاسي. ومنح وسام الاستحقاق من الرئيس رونالد ريجان، والرئيس بوش الأب ووسام الاستحقاق من الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز أمير المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية.

وقد أعلن شاهين في العاصمة السعودية إسلامه وتحوله من المسيحية إلى الإسلام. «الشرق الأوسط» حاورت الدكتور شاهين الذي يعمل حالياً استشاريّاً ورئيساً للمعهد الدولي التكنولوجي (آي آي تي آي) بالولايات المتحدة الأمريكية عن موضوعات عدة بدءاً بقصة إسلامه والأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة ونشاطه في شرح القضايا العربية والدفاع عنها، وتطرق الحوار إلى أبرز مؤلفاته فكانت هذه الحصيلة[1]:

• نبدأ بقصة هجرتك إلى أمريكا التي تحمل حالياً جنسيتها وأنت الذي ولدت في لبنان قبل 65 عاماً؟

- نعم ولدت في لبنان عام 1937 وأنا مسيحي أرثوذكسي، درست في لبنان وأكملت دراسة الثانوية فيها، ومن خلال حبي لروح المغامرة كشاب في مقتبل العمر وطموحي وتعطشي للمعرفة هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1957 طلباً للعمل والبحث عن فرص وظيفية، وكنت أعمل أثناء الدراسة لأنفق على نفسي، وقد درست بجامعة تكساس في اوستن لمدة سنتين، وحصلت على درجة البكالوريوس في العلوم من قسم الهندسة الكيميائية من جامعة ولاية أوكلاهوما ثم درست بعد ذلك بجامعة أريزونا في توسون وحصلت على درجة الماجستير في العلوم، كما حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة تينيسي في نوكسفيل. أثناء دراستي هناك كنت ناشطاً في شرح القضايا العربية والدفاع عنها، ففي جامعة أوكلاهوما انتخبت رئيساً لمنظمة الطلبة العرب.

• ما هي قصة إسلامك؟

- أُصارحك بالقول أنه ومنذ صغري وأنا أشعر بحب وميل إلى الإسلام، وفي مراحل التعليم المختلفة ومن خلال ما اطلعت عليه في صغري عن الحضارة العربية والإسلامية والتاريخ العربي اتضح لي أن الإسلام دين عظيم وقد انبعث

---

(1) أجرى الحوار في الرياض: بدر الخريف

من الجزيرة العربية لينتشر في جميع أنحاء المعمورة. ومن خلال صداقاتي مع كثير من المسلمين التي امتدت إلى عدة عقود لمست فيهم سلوكيات في غاية الكمال وممارسات تجبرك على احترامهم، فمثلاً أنا مسيحي لم أجد من أصدقائي المسلمين أي شيء يشعرني بالبعد عنهم بل إن الاحترام هو ديدن هذه الصداقة.

وإن المعاملة والوعي في لب روح الإسلام تجبرك على احترام هذا الدين كما أن صداقاتي للدكتور ناصر بن إبراهيم الرشيد التي امتدت لأكثر من 33 عاماً كان لها تأثير إيجابي على حياتي، فالإسلام دين واقعي ودين يدعو للعدالة والرحمة وتقدير الإنسان وتكريمه.

• ما هي الأسباب العميقة والمباشرة التي جعلتك تختار الإسلام ديناً لك بعد هذه السنوات؟

- قلت «العمر يمشي ونحن نمشي، ولم يبق من الزمن مثل ما مضى» وإضافة إلى ما كانت ذاكرتي تختزنه من حب للإسلام فقد مررت بظروف صعبة جداً منذ سنتين ونصف حيث خضعت لعملية استئصال ورم سرطاني حول البنكرياس وذلك في أحد المستشفيات الأمريكية واتضح لي أن العملية ونتائجها خطرة وأن نسبة نجاحها تعد من النوادر. وفي ليلة العملية تلقيت اتصالات من أصدقاء ومحبين كلهم يدعون لي بنجاح العملية بل إن البعض منهم أشار إلى أنهم دعوا لي في الحرم بخروجي سالماً معافى من هذا الظرف، ولأنني مولع بالقرآن الكريم بصوت المقرئ الراحل عبدالباسط عبدالصمد الذي كنت أتلذذ بالاستماع إليه وينتابني عند سماعه شعور غريب أشعر بعده بالطمأنينة، فقد استمعت ليلة إجراء العملية إلى آيات من القرآن الكريم وبعد العملية شعرت بطمأنينة عميقة وروح هادئة، وحينها قررت أن أعلن إسلامي، وبالفعل لكن ذلك لم يتم رسمياً إلاّ في العاشر من شهر يونيو (حزيران) من هذا العام في مدينة الرياض، فقد حرصت على أن أعلن إسلامي في عاصمة مهد الإسلام.

• تزامن إسلامك مع ظروف وأحداث صعبة وأنت ضمن الشخصيات الأمريكية البارزة وتربطك علاقة بصناع القرار السياسي في أمريكا، إضافة إلى أنك استشاري دولي ورئيس لمعهد تكنولوجي دولي، هل ترى أن توقيت إسلامك فيه نوع من التحدي؟

- نعم إعلان إسلامي في ظل هذه الظروف هو نوع من التحدي، ولكنني لا أخشى أحداً فقد اتخذت قرار الدخول في الدين الإسلامي عن قناعة تامة.

• وهل تتوقع أن تواجه انتقادات بسبب إسلامك؟

- بالتأكيد سأواجه انتقادات ولكن كما قلت لا أعبأ بذلك.

• وهل ستعرض الإسلام على أسرتك؟

- نعم ولكن بأسلوب الإقناع، ودخول أفراد أسرتي للإسلام وخصوصاً زوجتي الأمريكية يعتمد على القناعة، وأنا أرى أنني قدوة لأسرتي سابقاً والآن ساكون أفضل بعد إسلامي.

• ما هو تفسيركم للتشهير بالإسلام والمسلمين والعرب في الغرب؟

- مثل هذا الهجوم ليس له ما يبرره، وقد تابعت ذلك ووجدت أن ما طرح لايعدو أن يكون حقداً وكراهية ولا يصور الواقع، واقع الدين الإسلامي المشهور بالعدل والحق وواقع المسلمين والعرب، والغريب أن هذه الحملة تأتي من أشخاص في مراكز قوى تؤثر على الملايين من المواطنين. والإعلام الأمريكي وخصوصاً بعد أحداث 11 سبتمبر أصبح طوفانا من الدعاية السيئة ومن المستحيل أن يقف أمامه من يسعون إلى إيضاح الحقيقة بسبب سيطرة الصهاينة عليه وهذا يتطلب آلية من العرب والمسلمين لإيضاح الصورة وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن دينهم وعن واقعهم.

• هل لمست أن صراعاً ظهر بين الإسلام والمسيحية؟

- يا أخي المسيحية لا تعادي الإسلام والعكس كذلك، لكن ظهرت مؤخراً أصوات من مبشرين تتناول إعلان الحرب على الإسلام مثل ما ذهب إليه فرانك جراهام (وهو نجل المبشر الكبير بل جراهام) حيث قال يجب أن تعلن الحرب على الإسلام فإله الإسلام ليس بإلهنا، والإسلام هو دين عنف وكراهية لأقصى الدرجات.

تصور، هل مثل هذا الكلام يطرح وتتناقله بعض وسائل الإعلام، وهل مثل هذا الشخص يمكن أن يقال إنه يدين بالمسيحية، لا أعتقد ذلك، فالمسيحية تقول: «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر». وإنه بذلك يحرض العالم على الحرب وهذا شيء مؤلم. فكيف تنتقد ديناً أو تبدي رأياً فيه دون ان تعرف حقيقته أو تقرأ عنه. المشكلة أن البعض في الغرب يقارن الإسلام النبيل بالمتطرفين من المسلمين ومن قبل متطرفين مسيحيين، رغم أن الإسلام والمسيحية براء من هذه النماذج.

• وماهي الآلية التي تراها مناسبة لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام؟

- من خلال إيضاح حقيقة الإسلام، من خلال الحوار مع الآخر، من خلال المراكز الإعلامية.. بأساليب نبيلة ومحترمة توضح الحقيقة وتراعي شعور الآخرين.

34ـ الباحث الكندي موري ديفيد كيل

- **لم يفلح ترددي علي الكنيسة في معالجة حالة الفراغ النفسي داخلي.**
- **في الإسلام وحده وجدت العلاج لمشاكل الروح.**
- **لقد أعطاني الإسلام التوزان في الحياة.**
- **فماذا يخسر من يربح الإسلام؟! وماذا يربح من يخسر الإسلام؟!**
- **لقـد وجـدت في الإسـلام مـا يطابق العـقل، ومـا يعطي الإنسـان العـقل، والإيمان العقلي.**

موري ديفـيد كـيل باحث كندي شـاب ولد عام 1964 لأسـرة بروتسـتانتيـة مسيحية، ومنذ أن بلغ عمره الرابعة عشرة بدأ يعرف شيئا قليلاً عن الإسلام من خلال ما تبثه وسائل الإعلام الغربي من أحداث تتعلق بالعالم العربي.. ولم تمض سـوى سنوات قليلة حـتى أشـهـر إسـلامـه بـعـد فـتـرة من الدراسـة وصلت به إلى الاقتناع بأن الإسلام هو دين الفطرة.

يقول كيل: كنت أنتمي إلى عـائلة مسيحيـة وأتردد على الكنيسـة حتى الثانية عشـرة من عمري وكنت أغني مـزامير وتراتيل الكنيسة ولكن ترددي على الكنيسة بدأ يقل كـثيـرا أو شـعـرت بأن وجـودي هناك لا يعـالج حـالة الفـراغ الـروحي التي أشعر بها، وكانت مشكلة الدين تثير اهتمامي بشكل كبير في ذلك الوقت.

ورغم أن كـيل كـان يعـرف نتـفـاً عن الإسـلام من خـلال مـا يعلمـه من وسـائل الإعلام، إلا أنه يؤكد أنه لم يكن يعلم أن الإسلام دين توحيدي بل لم يكن يعلم أن الإسـلام تربطه أي عـلاقـة بدين إبـراهيم أو غـيـره من الأديان.. ولكنه بدأ يلتـفت إلى الإسلام بقوة عندما علم أن أحـد علماء الإسـلام في سويسـرا وصف الإسلام بأنه نقطة تلاقي بين الله كما هو وبين الإنسان كما هو.

يقول كيل: بعدها بدأت رحلة البحث والدراسة والتفكير، وبدأ يتكشف أمامي الكثير من تعاليم الدين الإسلامي وكانت كل مشكلتي تتمثل في عدم وجود من يشجعني على دخول الإسلام خاصة وأن المجتمع الغربي ككل يتخذ موقفاً معادياً للإسلام.

ولكن كيل ما كان ليتراجع عن الإسلام الذي أعطاه التوازن الذي ينشده وهداه إلى الغاية الحقيقية من الحياة ووجد فيه علاجاً وحلاً لمشكلة الروح في هذا الزمان والتي بحث كثيراً عنها في مختلف الأديان لكنه لم يجد ديناً يعالج هذه القضية بشكل شامل وواسع سوي الإسلام.. فأعلن إسلامه رغم علمه بالصعوبات التي سوف تواجهه، وسمي نفسه عبدالصمد.

معارضة.. لكن!!

ويقول عبدالصمد - أو كيل - عندما أعلنت إسلامي لم ألق معارضة من قبل أصدقائي ولكن بمرور الوقت اكتشفت أنني فقدتهم جميعاً أما بالنسبة لعائلتي فقد أخفيت إسلامي عنهم طويلا وعندما اكتشفوا ذلك توترت علاقتي بهم وأصيبوا بحالة من خيبة الأمل والحزن ولمدة عام كامل وهم يتعاملون معي بحساسية شديدة ورغم أن موقفهم من إسلامي كان يعذبني إلا أنني اقتديت بالصحابي الجليل مصعب بن عمير والذي فضل الإيمان على أمه الذي كان باراً بها.. ولكن بمرور الوقت تحسنت علاقتي بالأسرة، ولكنهم لايزالون حتى اليوم يحرصون على إخفاء نبأ إسلامي ويعتبرون ذلك فضيحة. ويؤكد عبدالصمد أنه اختار هذا الاسم بعد إسلامه لأنه اكتشف في لحظة تفكير هل باستطاعته إدراك المطلق حتى ولو بشكل جزئي.. وانتهى إلى أنه مجرد عبد لهذا المطلق الذي يفكر فيه فاختار طواعية أن يكون عبداً للصمد اسماً.. ويتمني أن يكون بعمله قريباً إلى الله وعبداً مطيعاً له.

35ـ أستاذ القانون اليهودي[1]

وهذا أستاذ مصري للقانون يعمل بإحدي الجامعات الأمريكية.. يقول: كنا في حوار قانوني، وكان معنا أحد أساتذة القانون من اليهود، فبدأ يتكلم ثم بدأ يخوض في الإسلام والمسلمين، فأردت أن أسكته فسألته: هل تعلم حجم قانون المواريث في الدستور الأمريكي؟.

قال: نعم، أكثر من ثمانية مجلدات.

فقلت له: إذا جئتك بقانون للمواريث فيما لا يزيد على عشرة سطور، فهل تصدق أن الإسلام دين صحيح؟

قال: لا يمكن أن يكون هذا.

فأتيت له بآيات المواريث من القرآن الكريم وقدمتها له.

فجاءني بعد عدة أيام يقول لي: لا يمكن لعقل بشري أن يحصي كل علاقات القربي بهذا الشمول الذي لا ينسى أحداً ثم يوزع عليهم الميراث بهذا العدل الذي لا يظلم أحداً.

ثم أسلم هذا الرجل.. فكانت آيات المواريث وحدها سبيلاً إلى اقتناع هذا الرجل اليهودي بالإسلام.

(1) «الذين هدى الله» للدكتور زغلول النجار.

36 ـ الدكتور العراقي اليهودي سابقاً أحمد نسيم سوسه

باحث مهندس من العراق، وعضو في المجمع العلمي العراقي، وواحد من أبرز المختصين بتاريخ الري في العراق، كان يهودياً فاعتنق الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم، توفي قبل سنوات قلائل. ترك الكثير من الدراسات في مختلف المجالات وخاصة في تاريخ الريّ، وفنّد في عدد منها ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية، ومن مؤلفاته الشهيرة (مفصل العرب واليهود في التاريخ)، و(في طريقي إلى الإسلام) الذي تحدث فيه عن سيرة حياته.

«يرجع ميلي إلى الإسلام.. حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى.. فولعت به ولعًا شديدًا.. وكنت أطرب لتلاوة آياته». (في طريقي إلى الإسلام51/1).

«.. الواقع أن تحوير وتبديل مصاحف اليهود أثر أجمع عليه العلماء في عصرنا الحالي نتيجة الدرس والتنقيب وقد جاء ذلك تأييداً علميّاً للأقوال الربانية التي أوحيت قبل نيف وثلاثة عشر قرنًا على لسان النبي العربي الكريم صلى الله عليه وسلم. أما الفرقان المجيد.. فقد حافظ المسلمون عليه بحرص شديد وأمانة صادقة فهو حقّاً الكتاب المقدس الفريد الذي أجمع الكل على سلامته وطهارته من التلاعب والتحوير، وما على القارئ إلا أن يطالع ما كتبه المستشرقون في هذا الباب.. الذين وصفوا كيفية جمعه وتدوينه، وهؤلاء أجانب غرباء كثيراً ما يصوّبون أسهمهم الناقدة السامة نحو الإسلام. والواقع أن الدلائل التاريخية واضحة بأجلى وضوح مما لا يترك أي شك في أن الفرقان الكريم لم يطرأ عليه أي تحريف أو تحوير وقد جاء كلام الله بكامله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم دون أن يتغير فيه حرف واحد». (في طريقي إلى الإسلام، 86/1).

«ورد في القرآن أنه جاء مهيمناً على ما بين يديه من الكتب، ويستدل من ذلك أن التعاليم الإلهية المقدسة الأصلية قد ضمن القرآن المحافظة عليها بما أوضحه من الحقيقة بإظهار الصحيح والدخيل في الكتب الرائجة في زمان نزوله، وعليه فيكون بهذا البيان والإيضاح قد جاء خير مهيمن على كتب الله الحقيقية وخير حافظ إياها من التلاعب» (في طريقي إلى الإسلام 1/87).

«الواقع أنه يتعذر على المرء الذي لم يتقن اللغة العربية ولم يضطلع بآدابها أن يدرك مكانة هذا الفرقان الإلهي وسموه وما يتضمنه من المعجزات المبهرة، ولما كان القرآن الكريم قد تناول كل أنواع التفكير والتشريع فقد يكون من العسير على إنسان واحد أن يحكم في هذه المواضع كلها. وهل من مناص للمرء من الانجذاب إلى معجزة القرآن بعد تمعنه في أميّة نبي الإسلام ووقوفه على أسرار حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.. فقد جعل الله تعالى معجزة القرآن وأميّة محمد صلى الله عليه وسلم برهانًا على صدق النبوة وصحة انتساب القرآن له..» (في طريقي إلى الإسلام، 1/182 ـ 183).

«إن معجزة القرآن الكريم هي أكثر بروزاً في عصرنا الحالي، عصر النور والعلم، مما كانت عليه في الأزمنة التي سادها الجهل والخمول..» (في طريقي إلى الإسلام 1/185).

37 ـ المفكر الانجليزي عبدالله كويليام

مفكر إنجليزي، ولد سنة 1856، وأسلم سنة 1887، وتلقب باسم : (الشيخ عبدالله كويليام). من آثاره: (العقيدة الإسلامية) (1988)، و(أحسن الأجوبة).

من مقولاته في كتبه:

«من الوجه العلمي، بصرف النظر عن أنه كتاب موحى به، فالقرآن أبلغ كتاب في الشرق.. (وهو حافل بالمنجزات السامية مليء بالاستعارات الباهرة)..» (العقيدة الإسلامية، ص 199 ـ 120).

« أحكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الأدبية والدينية.. إنه القانون العام للعالم الإسلامي، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجنائية والجزائية. ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية إلى أمور الحياة الدنيوية، ومن حفظ النفس إلى صحة الأبدان، ومن حقوق الرعية إلى حقوق كل فرد، ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى منفعة الهيئة الاجتماعية، ومن الفضيلة إلى الخطيئة، ومن القصاص في هذه الدنيا إلى القصاص في الآخرة.. وعلى ذلك فالقرآن يختلف مادياً عن الكتب المسيحية المقدسة التي ليس فيها شيء من الأصول الدينية بل هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم في الأمور التعبدية.. وهي غير معقولة وعديمة التأثير» (العقيدة الإسلامية، ص 122 ـ 123).

«لقد عثرت في دائرة المعارف العامة Popular Encyclopedia على نبذة نصها كما يأتي (إن لغة القرآن معتبرة بأنها من أفصح ما جاء في اللغة العربية فإن ما فيه من محاسن الإنشاء وجمال البراعة جعله باقياً بلا تقليد ودون مثيل. أما أحكامه العقلية فإنها نقية زكية إذا تأملها الإنسان بعين البصيرة لعاش عيشة هنية)..» (العقيدة الإسلامية، ص 138).

«هذا القـرآن الذي هو كتـاب حكمة فـمن أجال طرف اعـتبـاره فيه وأمـعن النظر في بدائع أساليبه وما فيها من الإعجاز رآه وقد مر عليه من الزمان ألف وثلاثمائة وعشرون سنة[1] كأنه مقول في هذا العصر إذ هو مع سهولته بليغ ومع إيجازه مفيد للمرام بالتمام. وكما أنه كان يرى مطابقاً للكلام في زمن ظهوره لهجة وأسلوباً كذلك يرى موافقاً لأسلوب الكلام في كل زمن، وكلما ترقّت صناعة الكتابة قدرت بلاغته وظهرت للعقول مزاياه. وبالجملة فإن فصاحته وبلاغته قد أعجزت مصاقع البلغاء وحيرت فصحاء الأولين والآخرين. وإذا عطفنا النظر إلى ما فيه من الأحكام وما اشتمل عليه من الحكم الجليلة نجده جامعاً لجميع ما يحتاجه البشر في حياته وكماله وتهذيب أخلاقه.. وكذا نراه ناهيًا عما ثبت بالتجارب العديدة خسراته وقبحه من الأفعال ومساوئ الأخلاق.. وكم فيه ما عدا ذلك أيضاً ما يتعلق بسياسة المدن وعمارة الملك، وما يضمن للرعية الأمن والدعة من الأحكام الجليلة التي ظهرت منافعها العظيمة بالفعل والتجربة فضلاً عن القول..» (العقيدة الإسلامية، ص 139 ـ 140).

«إن ضمن محاسن القرآن العديدة أمرين واضحين جداً أحدهما علامة الخشوع والوقار التي تشاهد دائماً على المسلمين عندما يتكلمون عن المولى ويشيرون إليه.. والثاني خلوّه من القصص الخيالية والخرافات وذكر العيوب والسيئات إلى آخره، الأمر الذي يؤسف عليه كثيراً لوقوعه بكثرة فيما يسميه المسيحيون (العهد القديم)..» (أحسن الأجوبة عن سؤال أحد علماء أوروبا، 23 ـ 26).

(1) أي في زمن المؤلف.

38- الدكتور المصري عبده إبراهيم والد الدكتور عيسى عبده، رائد الاقتصاد الإسلامي[1]

إن الأزهر على طول عمره كان منارة علم ومرتعاً للعلماء خرجت منه أسماء لا تحصى، ممن أثروا المكتبة الإسلامية بعلوم وفنون شتى.. وإن للأزهر علماء قلّ من سمع عنهم وقلّ من أحبهم، ربما لأنهم لم يحصلوا على الدعاية المطلوبة، وربما لأن الناس في غفلة من أمرهم.

سأحدثكم هنا عن أحد هؤلاء..

بذرة طيبة نبتت في أرض طيبة فأنبتت لنا شجرة طيبة سنظل نقطف ثمارها إلى يوم الدين، إنه رائد الاقتصاد الإسلامي الشيخ الدكتور عيسى عبده إبراهيم، رحمه الله.

وقبل أن أحكي عن هذا الطود الشامخ يلزمنا وقفة مع الأرض التي نبت فيها مع أبيه الدكتور عبده إبراهيم، رحمه الله.

كان والده الدكتور عبده إبراهيم، رحمه الله، نصرانيّاً، هو ابن إبراهيم عبدالملك، ولد بحي الظاهر بالقاهرة سنة 1883 من الميلاد.

كانت حياة الدكتور عبده إبراهيم تمر كحياة أي نصراني حتى وصل إلى المرحلة الثانوية التي قضى فيها أربع سنوات من 1896 إلى 1900، كان يدرس وهو في المرحلة الثانوية مع زميلين له في بيوتهم، وكان هذان الزميلان مسلمين، فكان يراهما عند حلول وقت الصلاة يستأذنان فيتوضآن ويصليان العصر ثم يعودان.. وتكررت هذه العملية طيلة فترة الدراسة المشتركة.. وكان عبده طالب

(1) ترجمة رائد البنوك الإسلامية الدكتور عيسى عبده إبراهيم.

الثانوية العامة يراقبهما في الصلاة وفي الحركات والأصوات، وهذا كان أول خيط في النسيج الطيب.

وهنا بدأ عبده يفكر مَن على حق فيهم ومن على باطل وظن عبده إن صديقيه لديهما نفس الأسئلة فباده‌هما بالسؤال.. وأول شيء فعله هو الوضوء فقط ليجرب.. ثم سألهما على حكمة الوضوء والصلاة وماكان لدى الشباب الصغير العمر ردّاً سديداً على هذه الأسئلة.. وكانت بداية النهاية فقد قال لهما «إننا جميعاً مقلدون ولا خير فينا مالم ندرك حقيقة مانختار فهلا تعاهدنا جميعاً على البحث فى حقائق الدين وأسباب ما نحن عليه من خلاف فيه بالرغم مما نحسه جميعاً من حب وود يجمعنا.

واستغرق عبده وصدقي في دراسة الأديان أما ثالثهما قد زهد في هذه الدراسة لحالته المادية الغير مناسبة فانكب على دراسته ونجح في الثانوية، وأما الباحثان عن الحق فرسبا لانهماكهما في البحث عن حقائق الدين وظن الأهل أن الشابين انحرفا.

أما الباحثان فقد استكملا طريق البحث عن الحق وتابعا الندوات العلمية والكتب البحثية مما أدى إلى تعرفهما على الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله فلازماه.. ثم مرت سنة الإعادة ونجح الصديقان الباحثان عن الحقيقة ودخلا كلية الطب.. فما أن دخل الطالب عبده إبراهيم كلية الطب وبَعُدَ عن مؤثرات أهله، حتى تفتقت التربة الصالحة عن شجرة الإيمان وبدأت تنمو وتكبر.

وحينما وصل إلى دراسة التشريح أصابته خشية الله نتيجة رؤية الموتى.. ففاتح صديقيه في رغبته في اعتناق الإسلام.. فنصحاه بإكمال دراسته مخفياً دينه حتى التخرج فيستطيع أن يوفر الكسب الحلال لنفسه.. فرضخ الدكتور الشاب لطلبات صديقيه.. ولكن نور الله لا يستطيع أحد أن يخفيه.. فلما تخرج وأصبح طبيب امتياز، لم يعد يطيق كتمان ما في داخله، وكان شهر رمضان

وتخلف عبده عن حضور الغداء في يوم الأحد مع الأسرة.. ثم في الأحد التالي امتنع أبوه عن الأكل بانتظار ابنه الطبيب.. ثم كان الأحد الثالث في هذا الرمضان.. وكانت العاصفة حيث صارحه أباه بما راوده من شكوك.. هنا آن أن يلقى حموله وينهى حياته القلقة.. فأعلم أباه بإسلامه.. فعرض عليه المال والزواج.. فعرض عبده عليه الإسلام.. فتوعده أبوه بالويل والثبور وعظائم الأمور.. فاندفع الابن المسلم إلى خارج الدار فخرجوا وراءه يسبونه ويقذفونه بالطوب.. فخرج إلى الشوارع وراجع نفسه فوجد أنه ليس لديه شيء لا كتبه ولا أدواته ولا ملابسه ولا يملك المال بالطبع فاستضافه صديقه في طريق البحث الدكتور صدقى وأنفق عليه صديقهم الثالث.. ثم وجد أهل الدكتور عبده ابنهم.. فدعوه إلى مناقشة رجال الدين النصراني.. فوافقهم وكانت المناظرة في بيت أبيه.. وفي يوم المناظرة في الصباح ذهب الدكتور إلى الشيخ محمد رشيد رضا فأرشده إلى الأسئلة المضادة والأدلة من الكتب السابقة وغير ذلك مما خفى عليه من فنون المناظرة.. وكانت المناظرة وكانت الردود المفحمة من الطبيب الشاب، وألجم رجال الدين النصاري.

وانتهت الجلسة بأنهم يلتقون مرة أخرى مع رجال أقوى أما الحضور فقد تشككوا في دينهم وأصبحت المسلمات عندهم معلقات وأعلن القساوسة صب اللعنات على الطبيب عبده.

ثم كان اليوم الموعود مع أعلم علماء النصارى وجاء الناس منتظرين الهزيمة النكراء للطبيب الشاب. وكان رد عبده ردّاً قوياً لا يخرج سوى من باحث قضى عمره في البحث عن الحق.. فحاربه أهله ولكنه لم يرضخ لهم، وتزوج فتاة مسلمة من بيت علم ودين.. وكانت قصة الزواج أحد العذابات التى تعرض لها هذا الرجل المهاجر بدينه.. وأنجب منها عام 1907 ابنه البكر عيسى الذي أصبح فيما بعد الدكتور عيسى عبده إبراهيم المفكر والباحث والمستشار في

الاقتصاد الإسلامي، عليه رحمة الله ثم في عام 1910 أنجب ابنه الثاني هو الدكتور محمد عبده رحمه الله أستاذ الهندسة في جامعات سويسرا.

وكان السبب في اختيار الاسم عيسى ما رواه د. عيسى عبده إبراهيم على لسان أبيه بشأن تسميته «عيسى» حيث قال: (إن بيني وبين ربي عهدا لا يعلمه إلا هو، وإني أسير على الدرب لا أحيد، إنني حين تمسكت بالاسم الذي اختاره أبي وهو «عبده» تعلق رجائي بأن يمتد بي الأجل حتى أتزوج وأن أرزق مولودا أدعوه «عيسى»، وعاهدت ربي على تنشئته تنشئةً صالحة، ولأدعون له بطول العمر والتوفيق إلى مافيه رضا الله وبأن يكون له في حياته ومن بعد حياته أحسن الذكر على ألسنة العباد، ولذا جعلت من وجود هذا الولد شهادة تنبض بالحياة بأن «عيسى» «عبده» وما هو بولده، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.. فكلما ذكره الذاكرون غائبا أو حاضرا.. حيا أو ميتا.. كان ذكرهم هذا شهادة مني بين يدي الله عز وجل بأن عيسى عبده ـ أي عبدالله).

عيسى عبده:

هو أستاذ الاقتصاد الإسلامي بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، وأستاذ الحضارة الإسلامية بكلية الاقتصاد والتجارة بالجامعة الليبية، أستاذ إدارة الأعمال بكليات الاقتصاد والتجارة بجامعة عين شمس وبالجامعة الليبية، أستاذ منتدب بكليات الهندسة بجامعة القاهرة والإسكندرية، أستاذ منتدب بالمعهد العالى لشئون القطن وبالمعهد العالى للدراسات الإسلامية، ومحاسب قانوني.

هو رائد البنوك الإسلامية والذى عمل على تحقيق حلم البنك الإسلامي فكان بنك دبى الإسلامي أول بنك إسلامي ثم كان بنك فيصل.

إن من الوفاء لهذا الرجل أن يعرف هذا الجيل بعض هذه الجهود التى بذلها

الدكتور عيسى عبده إبراهيم، وإخوانه، كي ينطلق شباب الصحوة الإسلامية لإكمال المسيرة في كل الميادين، فكل ميسر لما خُلق له.

وفاته:

كانت وفاة أستاذنا في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية يوم 1980/1/9م، وقد تم نقل جثمانه إلى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام «المدينة المنورة» حيث دفن بالبقيع حسب أمنيته. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

من أقوال الدكتور عيسى عبده:

(إن الإسلام لا يفرض على القوة العاقلة في الإنسان حالة من الجمود والتعطيل.. بل على العكس من ذلك، إنه يدعو إلى إعمال العقل حيث ينبغي له أن يعمل، ومجاله واسع في هذا الوجود المشهود، في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وفيما خلق الله من شيء.. أما أن يتطاول العقل ليحكم على القواعد الآمرة والناهية التي تحكم السلوك، أو يحاول أن يجيء من عنده بأسس نظرية يقيم عليها الحكم المعين، فإذا انهارت هذه الأسس بقي الحكم معلقاً حتى يصل العقل إلى غيرها.. نقول: أما هذا الذي يطيب لبعض الباحثين، فهو عندنا إثم كبير).

من كتب الدكتور:

- العقود الشرعية الحاكمة للمعاملات الإسلامية.
- دراسات في الاقتصاد الإسلامي.
- وضع الربا في بناء الاقتصاد القومى
- الاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج.
- التأمين بين الحل والتحريم.

- النظم المالية في الإسلام.
- حقيقة الإنسان.
- الاقتصاد الإسلامي، مدخل ومنهاج.
- البنوك الإسلامية.. في مراحل الدراسة والإنشاء والإدارة.
- بحوث في الربا.
- بترول المسلمين.
- الزكاة أداةٌ اقتصادية.
- التأمين بين المؤيدين والمعارضين.
- التأمين بين الأصيل والبديل.
- نحو اقتصاد إسلامى سليم.. لماذا حرم الله الربا؟
- الربا ودوره في استغلال موارد الشعوب.
- وضع الربا في البناء الاقتصادي.
- بنوك بلا فوائد.
- حاجة المسلمين إلى خطة العمل.
- القرآن والدراسات الاقتصادية.
- النظم المالية في الإسلام.
- حديث الفجر.
- دراسات في الاقتصاد السياسي.
- مذكرة في التنظيمات الاتحادية.
- النقود والمصارف ـ بالاشتراك مع الدكتور عبدالعزيز مرعى.

- اقتصاديات النقود والمصارف ـ بالاشتراك مع الدكتور عبدالعزيز مرعى.
- شركات الأموال.
- تمويل المشروعات ـ بالاشتراك مع الأستاذ محمد حمزة عليش.
- إدارة المشروعات في مراحل الإنتاج والتوزيع.

ـ التصنيع ومشكلاته ـ جزءان.

- المشكلات الاقتصادية المعاصرة في الإقليم المصري ـ بالاشتراك مع الدكتور عبدالعزيز مرعى.

كما أن له العديد من المقالات في المجلات الاقتصادية المتخصصة كالأهرام الاقتصادي.. وبحوث فى المجلات التى تصدر عن الجمعيات الإسلامية (كمجلة المسلمون)... والعديد من المحاضرات النافعة، وأحاديث في الإذاعة والتلفاز.

رحم الله الدكتور إبراهيم وولديه عيسى ومحمد ورحم الله رفاق طريق الهداية ورحم الله الشيخ محمد رشيد رضا.

39ـ المستشار الدكتور المصري محمد مجدي مرجان رئيس محكمة الاستئناف العليا

ولد في أسرة متدينة مسيحية، وكان شماساً في الكنيسة، ثم اعتنق الإسلام، وكتب أربعة كتب في إظهار الحق: (الله واحد أم ثالوث؟)، (المسيح إنسان أم إله؟)، (محمد صلى الله عليه وسلم نبى الحب)، و(لماذا أسلمت؟).

يشغل الآن منصب رئيس محكمة الجنايات والاستئناف العليا، ورئيس منظمة الكتاب الأفريقيين والآسيويين، وتنشر جريدة الأهرام المصرية مقالاته.

كم هى ممتعة كتابات النصارى الذين أسلموا!

لكن الأكثر إمتاعاً عندما يتصدون لعلماء دينهم السابق، يبينون تفاهتهم، ويفندون باطلهم، دافعين عن الإسلام كل باطل وسوء.

اخترت لكم فصلاً ممتعاً من كتابه القيم، أسوقه إليكم إن شاء الله، بعد ملاحظة جانبية.

يرد في كتاب الدكتور مرجان اسم الكاتب النصراني «يس منصور» كثيراً، وأغلب ظني أنه خطأ مطبعي، أقصد «يس»، مع أنها تتكرر في كثير من الكتابات بهذا اللفظ.. والذي أميل إليه، وقد قرأته في كتاب من قبل، أن تصحيحها هو «يَسَّى»، وهذا أقرب من «يس» للتصديق، لأنه اسم أبى داود في الكتاب المقدس عند النصارى.

أترككم الآن مع هذا الفصل الممتع من كتابه «الله واحد أم ثالوث».

الفصل الرابع: القرآن والثالوث

رغم عدم اقتناع أصحاب الثالوث به، ورغم اختلافهم حوله فى جملته

وتفصيله، وفي عناصره وأقانيمه، فقد دفع الغى والمكابرة بالبعض منهم إلى الادعاء بأن الإسلام وكتابه المنزل على رسوله «القرآن الكريم» لا يعترف بوحدانية الله، بل يؤمن بثالوثهم الإلهى!

يقول القمص باسيليوس إسحق: «إن البسملة الإسلامية، وهى بسم الله الرحمن الرحيم تؤيد التثليث، فالله هو الآب، والرحمن هو الابن، والرحيم هو الروح القدس» (كتاب الحق ص122).

ونعتقد أن القمص الفاضل قد نسى أن كلا من صفتى الرحمن والرحيم هما بعضاً من الصفات التى لا تحصى لله الواحد الأوحد، وليست جزءاً أو عنصراً أو أقنوماً من أقانيم الله، فالله سبحانه وتعالى ذو صفات وأسماء عديدة لا يمكن حصرها، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على قدرته وعظمته جل وعلا، وعلى تفرده وحده بالربوبية والتعظيم.

ونحن إذا تابعنا هذا الرأى فإنه يمكن الاستدلال من القرآن ليس فقط على التثليث بل على التسبيع ووجود سبعة آلهة وليس ثلاثة، وذلك بما ورد في أول سورة غافر: ﴿حمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ② غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ (غافر: ١ ـ ٣).

بل يمكن أيضاً أن يجرفنا الزيغ والضلال، فنقرر أن القرآن يثبت وجود سبعة عشر إلهاً! وذلك بما ورد في آخر سورة الحشر التى ورد بها سبعة عشر اسماً وصفة من الصفات التى يتصف بها الرحمن والتى لا يحصيها بيان.

ومع ذلك فإن قسيسنا «الفاضل» القمص باسيليوس إسحق يتمادى في ادعائه، ويقوم باستجلاب بعض الألفاظ الدارجة التى يتلفظ بها العامة أحياناً، ثم يقوم بتحميل تلك الألفاظ فوق ما تحتمل أو تطيق، رغبة منه في إلصاق تهمة التثليث بها وهى بريئة منها براءة الحملان.

يقول القمص باسيليوس: «إن القسم المغلظ الذى يقسمه المسلم قائلاً: والله العظيم ثلاثة.. فإنما يقسم بالآب والابن والروح القدس، وإذا طلق المسلم زوجته طلقة بائنة، فإنه يطلقها ثلاثاً، أى أنه يطلقها باسم الآب والابن والروح القدس».

ويستطرد القمص قائلاً: «إن المسلم يفتتح صلاته بالتكبير قائلاً: (الله أكبر) والمقصود بذلك مقارنة الله بآخر من ذات جنسه ونوعه، وأن المسلمين بذلك يعتنقون المذهب المسيحي القائل بأن أقنوم الأب أعظم من أقنوم الابن».

ويقول القمص باسيليوس إن هذه الأقوال وردت في القرآن وأنها تدل على إيمان المسلمين بالثالوث.

وبعد هذا الشرح المستفيض لعقيدة الثالوث، وادعاء اعتناق الإسلام لها، يعود القمص فيقرر عدم فهمه وإدراكه لحقيقة الثالوث فيقول: «أجل، إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا، ولكن عدم إدراكه لا يبطله».

والإنسان منا ليعجب في هذا الأمر!.. كيف يؤمن المرء بعقيدة لا يفهمها؟!.. وكيف يحاول أن يقصر غيره على الاعتقاد بما لا يفهمون ولا يفهم؟.. بل كيف يصل به التمادى إلى ادعاء اعتناق دين التوحيد الأسمى لعقيدة الثالوث، التى ما جاء هذا الدين إلا لتحرير العقول والقلوب من أدرانها وترهاتها؟

وإذا تركنا جانباً عواطف الدهشة والاستنكار، ثم حاولنا أن نناقش أقوال القمص باسيليوس من الناحية الموضوعية، طالعنا منذ البداية أنها قد بنيت فى جملتها على المغالطة والبعد عن الصواب، فلا مراء ولا جدال في أنه لا علاقة للقرآن الكريم الذي نزل من عند الله بألفاظه ومعانيه بتلك الكلمات الدارجة التي أتى بها القمص لتأييد ثالوثه، فهذه الكلمات لم ترد في القرآن، ولم تنزل على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.

ومع تسليمنا بأن هذه الألفاظ قد يستعملها الناس مسلمين وغير مسلمين في أحاديثهم، فإنه لا علاقة لتلك الألفاظ مطلقاً بأحلام القمص الثالوثية،

فالمسلم حين يقسم بالله العظيم مرة واحدة، وحين يكرر قسمه أحياناً مرتين أو ثلاثة، أو أكثر من ذلك أو أقل ليؤكد عزمه على الوفاء بقسمه، أو حين يعزم على طلاق زوجته فينطق بصيغة الطلاق قائلاً لها: أنت طالق، وأحياناً يردد تلك الصيغة مرة أو مرات ليؤكد تصميمه على إيقاع الطلاق.. هذه الألفاظ التى تخضع في صيغتها وفي عدد مرات تكرارها للبيئة والعرف والعادات الاجتماعية، والتى تختلف صيغتها وتكرار ترديدها من مجتمع إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى، على اختلاف دياناتها ومعتقداتها، مثلها في ذلك مثل الأمثال العامية التى تقول إن المرة الثالثة ثابتة، أو العدد عشرة يجلب الحظ والعدد 13 يجلب النحس.. هذه الأقوال والأمثال في جملتها مستخرجة من ظروف وتاريخ الشعب الذى يستعملها ويسير عليها، بصرف النظر عن معتقداته وأديانه، فليس ثمة علاقة بين هذه الألفاظ وبين أى دين من الأديان.

كما أنه من الغرابة بمكان أن نحاول إثبات أو نفى عقيدة دينية تتعلق بذات الله باستجلاب الألفاظ والأمثال العامية التى وضعها الناس لحكم معاملاتهم المادية واحتكاكاتهم السوقية!

أما القول بأنه إذا نطق المسلم بلفظ الطلاق ثلاث مرات، أو ألقى يمين الطلاق على زوجته ثلاثاً، فإن هذا يعتبر طلاقاً بائناً، فلا شك أنه قول مرجوح لا يستند إلى دليل ولا يجرى عليه علم، ذلك أن العبرة دائماً ليست بتكرار الألفاظ أو بترديد الكلمات، وإنما العبرة أولاً وأخيراً هى بتعدد المرات التى يقوم فيها المسلم من حيث الواقع بتطليق زوجته وإعادتها إلى عصمته، فمهما عد المسلم أيمان الطلاق، ومهما كرر التلفظ بصيغة الطلاق مرة أو مرات، ثلاثاً أو عشراً، فما دام أنه يطلق زوجته ـ من حيث الواقع ـ للمرة الأولى، فإن طلاقه هذا لا يعتبر بحال من الأحوال طلاقاً بائناً، هذا هو حكم الشرع والقانون، وهذا هو ما يسير عليه العمل.

أما التكبير والتعظيم لله الكبير العظيم الذى يفتتح به المسلم صلاته بقوله «الله أكبر» و«الله أعظم»، فهو لفظ يعنى أن الله أكبر وأعظم من كل ما في الوجود.. إنما تعنى أن الله أكبر وأعظم من كل شىء، وأنه سبحانه ليس كمثله شىء، إنما تعنى تفرد الله وحده بالإكبار والإعظام والإجلال، فالله وحده هو الأكبر والأعظم والأغنى والأعلى من كل ما في الوجود، ولم يدر بخلد إنسان ما بقولة القمص باسيليوس من أن هذا الإكبار والإعظام لله يعنى مقارنة بين إلهين أحدهما أكبر أو أعظم من الآخر.. حاشا لمؤمن أن يتردى في هذا الضلال!

ويشرع كاتب ثالوثى آخر في محاولة إثبات الثالوث والبرهنة عليه من القرآن، ولكن بطريقة أخرى مغايرة لطريقة القمص باسيليوس، وذلك هو الأستاذ يسى منصور يقول سيادته: «إن الإسلام يذكر حوالى تسعة وتسعين اسماً لله، أى أن صفات الله الحسنى نحو 99 صفة، وهذه الصفات متباينة ومختلفة، تناقض إحداها الأخرى، بحيث لا يمكن التوفيق بينها في الذات الواحدة، إلا إذا آمنا بالتثليث، فمن أسمآء الله الحسنى: الضار المنتقم، ومنها: العفو الرءوف، ومنها: القدوس البار» (التثليث والتوحيد ص105).

ويستطرد الكاتب قائلاً: «كيف يكون الله منتقماً وغافراً معاً؟.. فالمنتقم يدل على انتقامه من المذنب انتقاماً بلا تساهل، أما الغفور فيدل على تبريره للمذنب تبريراً شاملاً».

ويضيف قائلاً: إنه لا يمكن التوفيق بين هذه الصفات المتناقضة إلا بالقول بالتثليث.

ويعنى كاتبنا «الألمعي» أن نقوم بتوزيع أسماء وصفات الله الحسنى على أفراد الثالوث الإلهى، بحيث يكون لكل أقنوم أو إله من آلهة الثالوث عدة أسماء وصفات متوافقة مع بعضها وإن اختلفت مع أسماء وصفات الإله الآخر، فيكون الله الآب مثلا هو الضار المنتقم، ويكون الله الابن هو العفو والرءوف الغفور، ويكون الله الروح القدس البار.

وقد يبدو أن هذا الرأى في البداية ـ لبعض الناس ـ أنه متوافق مع المنطق، ولكن هؤلاء إذا ما تمهلوا قليلاً، لتبينوا أن هذا الرأى قد وصل إلى حال من البساطة والسذاجة فاقت كل تصور!

إن الأستاذ يسى منصور في رأيه هنا يعتنق مذهب الثنوية الذي كان منتشراً في بلاد الفرس القديمة إبان الوثنية، والذي كان يقسم الآلهة إلى قسمين متعارضين، كل إله منها يحمل صفة مناقضة لصفة الإله الآخر، وكل إله منها يقوم بعمل لا يقوم به الإله الآخر، فهذا إله الخير، وذاك إله الشر، وهذا إله النور، وذاك إله الظلام، وهذا إله السلام وهكذا..

والأستاذ يسى في انسياقه وراء المذاهب الوثنية قد هدم الأساس الأول الذى بنيت عليه عقيدة الثالوث من حيث أراد تبريرها وتدعيمها، ذلك أن عقيدة الثالوث مؤسسة على الاعتقاد بمشابهة المخلوقات للخالق، وبأن البشر والحيوانات والنباتات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء كالله الثالوث تماماً، فالمماثلة والمشابهة بين الخالق والمخلوق هى الدعامة الأولى لعقيدة الثالوث.

ونحن إذا أخذنا الإنسان، صورة الله ومثاله كما تقرر نظرية الثالوث، لوجدناه يتصف بعدة صفات متباينة مختلفة، وبعدة خصائص متغايرة متعارضة، تظهر أى منها وقت الحاجة إليها، وتبعاً للظروف التى اقتضتها.

فمن صفات الإنسان مثلاً: العطف والحنان والقسوة والانتقام، والإنسان نفسه قد تدعوه الظروف تارة إلى القسوة، وتارة أخرى إلى الرحمة.

فالجندى الذي يكون رحيماً عطوفاً مع ابنه الصغير هو نفسه الجندي الصلب القاسي مع أعداء وطنه ومستعمريه، والمدرس الذي يقسو على الطلاب الخاملين هو نفس المدرس الذي ينبض عطفاً على الطلاب النابغين، والعاشق الذي يذوب رقة في معاملة محبوبته قد يكون قاسياً في معاملة موظفيه وعماله، وهكذا بالنسبة لبقية الصفات والخصائص التي يتحلى بها الإنسان، والتي تظهر

أى منها تبعاً للظروف والملابسات التي فرضتها وحتمتها. ولم يقل أحد إن من يقسو لظرف لا يرحم لآخر، أو من يحب شخصاً لا يكره آخر.

بل إنه حتى الوحوش المفترسة قد أودعت فيها مع القوة والقسوة العطف والحنان، بحيث يمكن أن تتحول في لحظة من التوحش إلى الوداعة ومن العنف إلى اللطف، فالأسد الذي ينقض في شراسة على فريسته لينهش لحمها ويفتت عظامها، هو الأسد نفسه الذي ينساب ليونة في تدليل زوجته، وهو الأسد نفسه الذي يعتصره الحزن والألم عند موت وليده، والأسد كما هو في كافة حالاته، وبجميع صفاته وخصائصه المختلفة المتباينة.

وعقيدة الثالوث ترى أن هذه المخلوقات المتعددة الصفات، ما هى إلا صورة للخالق الذي خلقها على صورته وشبهه، ولكن يبدو أن الأستاذ يسّى منصور يميل إلى حرمان الخالق من الصفات والملكات المتعددة التى تملكها المخلوقات، بحيث إنه يلزم لخلق إنسان مثلاً متعدد الصفات والملكات أن يشترك في صنعه عدة آلهة يمنحه كل منها صفته الخاصة وقدرته الذاتية، وبهذا تتجمع الصفات في المخلوق وتتفرق في الخالق.. إذا لم يكن هذا هو الغى، فماذا عساه يكون؟!

خبرونا أيها العقلاء!!

لقد أخفق (يسى منصور) من حيث أراد النجاح، وهوى من حيث أراد الارتقاء.

ومن حيث المبدأ فالإسلام يبطل التثليث ـ كما قدمنا ـ بحجج كثيرة، ويكفر النصارى باعتقادهم إياه واعتقادهم ان المسيح هو الله، فكيف يقال: إن التثليث يمكن أخذه من القرآن بينما أن معظم آيات القرآن الكريم إنما جاءت لتأصيل التوحيد في مواجهة الوثنية والثنوية والتثليث، وغيرها من العقائد الباطلة؟

ولا أدرى كيف يدل تعدد أسماء الله الحسنى على التثليث، وهى ليست ثلاثة أسماء، بل يبلغ مجموعها عشرات الأسماء، كما هو معروف؟

والواقع أن عقيدة الإسلام فيما يتعلق بأفعال الله: أنه سبحانه وتعالى فاعل مختار، أي أنه مريد لأفعاله، لا تصدر عنه بالإيجاب. ولهذا تعددت أفعاله تبعا لإرادته، فلم يكن ذا فعل واحد، أو ذا أفعال لها وجه واحد ـ كما هي العقيدة الثنوية في أنها تقصر الخير على إله، والشر على إله آخر ـ فهو خالق كل شيء في هذا الوجود، وهو الفعال لما يريد، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويقبض ويبسط، ويعاقب ويغفر، ويعز ويذل.. وكل ذلك منه سبحانه وتعالى خير وحكمة.

وهكذا تتعدد أفعاله.. وتتعدد صفاته، وتتعدد أسماؤه. ولا محالة في أن تجمع الذات الإلهية بينهما جميعاً مهما كان بينها من تناقض، وما دام فعله سبحانه وتعالى لا يجمع بين النقيضين في موضوع واحد، تتم فيه شروط التناقض.

فأي محال في أن يغفر لهذا، ويعاقب هذا؟ بل وأي محال في أن يعاقب إنسانا، ثم يغفر له بعد ذلك، ويدخله الجنة؟

وهكذا يمكننا أن نفهم تعدد أسماء الله الحسنى على اختلاف ما بينها وأن نفهم تعدد أفعاله على اختلاف ما بينها، وما دام الفعلان المتناقضان لا يتحدان موضوعا، أو محمولا، أو زمانا، أو مكانا.. إلخ؛ أي لا يتحدان في النسبة الحكمية بين موضوع الفعل ومحموله.

فالله الفاعل المختار واحد، يفعل بإرادته كل فعل تقتضيه حكمته، وليس ذاتا موجبة لأفعال معينة، وكمالات الفاعل المختار على هذا النحو تبدو في تعدد أسمائه وأفعاله، وليس في هذا التعدد ما يوجب توزيعها على آلهة متعددة أو على آلهة مختلفة، لا إلهين اثنين، ولا آلهة ثلاثة، ولا أكثر من ذلك. وقيامها بالذات الواحدة أمر مفهوم على نحو ما قدمناه. وهذا هو مقتضى الكمال الإلهي ومقتضى التوحيد.

والقرآن يقرر أن كافة الصفات والقدرات والأسماء التى لا تحصى ولا تعد

والتى أورد منها 99 اسماً هى لإله واحد لا شريك له ولا مثيل، وأن هذه الصفات والأسماء إنما تدل على قدرة الله وتفرده بالقوة والعظمة.. يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)﴾ (القصص: ٧٠).

ويقول عز من قائل: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ (٨)﴾ (طه: ٨).

أما دعوة الثالوث، وعبادة الثالوث، فيورد القرآن فيها حكمة القاطع!.. ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾ (المائدة: ٧٣).

40- الشاعرة والكاتبة الهندية الشهيرة كملاداس[1]

هذه ولادتي الجديدة:

● لا أود أن يحرق جثماني بعد الممات طبقا للمراسيم الهندوسية.

● قبلت الإسلام وأنا أرملة، وأولادي ليسوا معي، أحب الناس وأتمنى أن يحبوني.

● شهر رمضان شهر هداية، والحمد لله فقد اهتديت إلى الإسلام في هذا الشهر المبارك.

● وجدت الإسلام دين محبة ومودة وأمن وسلام.

● الإسلام يوفر حماية عظيمة للنساء وأنا في أشد الحاجة إلى هذه الحماية.

● آلهة الهندوس تعاقب أتباعها بينما الله سبحانه يعفو ويغفر، وأحب أن يكون ربي غفورا رحيما.

● لم يُكرهني أحد على الإسلام الذي كانت فكرة الدخول إليه في نفسي منذ سنوات.

● أخرجت جميع تماثيل وأصنام الآلهة الهندوس من غرفتي، لقد أصابني الهندوس بالأذى والأسى.

● لا أبالي بأي أحد.. هذا هو قراري وحدي ردا علي ما أثاره الهندوس من ضجات وانتقادات على إسلامها.

● أنا سعيدة بقراري هذا.

● لقد نظمت ثلاث قصائد عن الإسلام.

● أبني مسجدا شامخا في قريتي لينطلق صوت المؤذن فيه.

● لقد كفلت ولدين مسلمين في بومباي.

(1) الشاعرة والكاتبة الهندية الشهيرة «كملاداس» تسمت بـ «الثريا» بعد إسلامها وكانت قد أعلنت إسلامها خلال افتتاحها اجتماعا لمجلس المكتبة في إيرناكولم بولاية كيرالا في 1999/12/11م.

41ـ ألفونا مشيلر الأستاذة بالجامعة الأمريكية

راحة نفسية عميقة بعد قراءة الفاتحة:

● بدأت أعاني من بعض الشكوك حين كنت أذهب للاستماع إلى المواعظ وأداء الصلاة في الكنيسة.

● صارت هذه الشكوك تتزايد وتتجمع داخل عقلي يوما بعد يوم.

● حين كنت أقوم بالتدريس في إحدى الجامعات الأمريكية تعرفت على عدد من الطلبة المسلمين الماليزيين الدارسين في تلك الجامعة، ولفت نظري سلوكياتهم الطيبة وجديتهم، فبدأت أطلب منهم بعض الكتب التي تتحدث عن الإسلام.

● شدتني عقيدة التوحيد الخالص لله الرب الواحد سبحانه.

● شعرت حين قرأت سورة الفاتحة، براحة نفسية عميقة لم أشعر بها في حياتي من قبل، ووجدت قلبي ينجذب نحو الإسلام.

● بدأت رحلة البحث عن الكتب الإسلامية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية للتعرف على المزيد من المعلومات عن الإسلام.

● يعيش في أمريكا ما بين 8 إلى 10 ملايين مسلم، وتختلف معاملة المواطنين لهم من ولاية إلى أخرى، وللأسف فإن وقوع أى عمل من أعمال العنف يجعل المواطنين هناك ينظرون نظرات الاتهام إلى الجالية المسلمة رغم أن عددا من أعمال العنف ارتكبها أمريكيون متعصبون.. ولا علاقة للمسلمين بها.

● الإسلام أنصف المرأة وأعطاها حقوقا لا تتمتع بها نظيرتها في الغرب.

● واجهت بعض المتاعب من جانب والدتي ولكنني تمكنت بفضل الله من التغلب عليها، إذ كان الطلبة الماليزيون يرفعون معنوياتي ويحثونني على الصمود في مواجهة احتجاجات الوالدين.

● لقد رزقني الله تعالى بولد وبنت، سميت الولد مصطفى، والبنت خديجة، وسبب اختياري اسم خديجة لأنه اسم زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قرأت سيرتها في كتاب فأعجبتني جدا.

● أقوم الآن بترجمة عدد من الكتب الإسلامية من العربية إلى الإنجليزية.

● تراجع القيم الدينية، وازدياد العنف، والخروج على الأعراف الاجتماعية، كل ذلك حصاد العلمانية في الغرب، والأخطر من هذا كله تفكك نظام الأسرة التي هي شرط بقاء المجتمع قويا وقادرا على الاستمرار ومواجهة المخاطر.

42ـ دونالد ركويل: الشاعر الأمريكي[1]

• بساطة العقيدة الإسلامية وشكل العلاقة بين الإنسان وربه وراء إسلامي.

• الإسلام دين الديمقراطية، والمسجد هو مكان العثور على الحقيقة.

كانت سماحة الإسلام هى أهم ما جذبه لاعتناق الإسلام حيث يرى كيف يعامل الإسلام من يختلفون معه سواء فى الحرب أو السلم رأى كيف يحترم هذا الدين أهل الكتاب من نصارى ويهود، بهرته هذه العلاقة بين الإنسان وربه والتى لا تعتمد على وسيط أو كاهن.. إنه الشاعر والصحفى الأمريكي رونالد ركويل.. والذي يقول لماذا أسلم؟

يبدأ قصة اعتناقه للإسلام بالقول:

ـ قرأت عن الإسلام وقرأت القرآن الكريم وقرأت أجزاءً متفرقة من سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأول ما لفت نظري للإسلام هو بساطة هذه العقيدة وخلوها من أي ألغاز أو أسرار، ولا يوجد بها ما تؤمن به دون مناقشة بل إن مرجع الإيمان للعقل.

ولكن أكثر ما شدني للإسلام هو شكل العلاقة بين الإنسان وربه.. حيث يخبر الله العباد عن نفسه فيقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، تلك العلاقة التي تنتفي معها ضرورة وجود وسيط بين الإنسان وخالقه، أو الحاجة إلى كاهن يعترف له الإنسان بخطاياه.. هذه العبادة التي لا تخصص هيكلاً لابد من وجوده للقاء الإنسان بخالقه.

ويذكر دونالد ركويل أنه قبل الإسلام راقب المسلمين عندما يذهبون للمساجد ولفت نظره بشدة هذا الجلال الذي يخلو من أى طقوس وهؤلاء الذين

(1) القاهرة ـ (الوطن).

يسرعون للمساجد بمجرد سماع الأذان وخشوعهم وهم يقفون جميعا في صفوف منتظمة تخلو من أي تمييز.

ثم إنه بدأ رحلة البحث في تعاليم وتاريخ الدين الإسلامي فبُهر بما لمسه من سماحة هذا الدين مع غيره من الديانات الأخرى وأنه لا يمنع أصحاب هذه الديانات من إقامة شعائرهم.. كما بهره نظرة الإسلام للمرأة وحقها للملكية في ظله هذا الحق الذي لم تصل إليه المرأة في كل المجتمعات التي تدعي الحضارة والتقدم.

ويؤكد دونالد ركويل أن قراءاته في الحديث النبوي تركت في نفسه آثاراً كبيرة.. ومنها عرف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو أتباعه إلى أن يحسنوا معاملة المؤمنين بالتوراة والإنجيل وكذلك إلى الإيمان بأنبياء هذه الرسالات عيسى وموسى، بل إنه اشترط عليهم لاكتمال إيمانهم أن يؤمنوا بكل الرسل بدون استثناء بعيدا عن العصبية أو الكراهية.

ويضيف ركويل: كما لم ينس النبي محمد أن يتعامل مع مشاكل الواقع فكان حريصاً على صحة أتباعه وقومه وكان يأمرهم بالنظافة إلى أبعد الحدود.. كما أمرهم بالصوم والسيطرة على شهوات الجسد.

ويضيف: عندما كنت أقف في مساجد أسطنبول ودمشق وبين القدس والقاهرة وغيرها من المدن الإسلامية كنت أحس بشعور عميق بقدرة الدين الإسلامي على الارتفاع بروح البشر إلى الآفاق العليا دون حاجة إلى زخارف أو تماثيل أو طقوس.. فالمسجد مكان تذوب فيه الذات وتصل إلى الحقيقة الخالدة، وهي تذكر الله الواحد الأحد.

وعندما أعلن دونالد ركويل إسلامه أكد أن إنسانية الإسلام هى السبب الرئيسي في اعتناقه للإسلام، فالجانب الإنساني في الإسلام ملموس في كل

تعـاليـمه وكل تـشـريع فـي الإسـلام يحـرص على هـذا الجـانب.. فـالناس جـمـيعـا متساوون في نظر الإسلام وإن اختلف لونهم أو جنسهم أو حظهم من متاع الدنيا وأن الفـضل بالتـقـوى.. كـمـا أن الفـقـيـر والعـاجـز يجـد مكانا له فـي ظل تعـاليم الإسـلام.. من خـلال زكاة واجـبـة يؤديهـا، وفي انعدام الواسطة بين الإنسـان وربه وفي تساوي الحقوق بين الحاكم والمحكوم.

ويقول (ركويل) إن أهـم مـا فـي الإسـلام أنه لا يقعد أصحابه عن حركة التقدم بل يأمـر النـاس أن يأخذوا بالأسـبـاب ويعملوا بجـد واجـتهـاد كمـا لا يحـرم الإنسـان من مـتـاع الدنيـا فـيـقـول الله ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.

43ـ الدكتور ريكورد الفاريز كوستيلو[1]

القرآن.. جامعة العالم.. في جامعة المكسيك

الدين مدرسة الكمال، التي تغرس في النفوس الصفات الإنسانية البحتة، فالدين يتعلم منه الإنسان ليعطي نفسه حقها في الوجود. الدين تعريف بالخالق سبحانه وتعالى، ومن تعرف بالله، وتوصل إلى حقيقة وجوده، أصبحت تعاليم الدين سنداً قوياً للعارف بالله، فالعارف بالخالق، له صفات تقرب إلى الكمال، وليس هناك من يزعم أن كل منتمٍ للدين يحرز كل الكمال، لكن الدين يعطي الطريق، بهدف الوصول إلى غاية طهارة النفس، التي هي في الواقع هدف الكمال، ويتفاوت الناس في حظهم من تعاليم الدين التي يشدهم إليه، فالدين ساحة استشفاء واسعة، تعطي من يدخلها، العلاج المطلوب له.

ذلك لأن عبادة الإنسان لربه، درجة لا يرقى إليها الخطاءون والمفسدون، والمتكبرون، وأصحاب الشهوات والنزوات، وهؤلاء بعيدون كل البعد عن الحقيقة، عن الله، والبعيدون عن الحقيقة، هم في الواقع محتاجون لدرجة نقاء نفسي وإيمان حقيقي، حتى يتخلصوا من كل مايعلق بقلوبهم، ليوجهوها وجهة دينية، تعرف فيها الخير فتتبعه، وتتعلم فيها درجات الكمال التي يصبو إليها الدين، طريقاً للإنسان الذي يود أن يسير على طريق الصراط المستقيم، بعيداً عن النزوات والهفوات التي تخلع على الإنسان صورة لا تمت للآدمية بصلة.

إذن فالدين الذي يعتنقه أكثر من 700 مليون مسلم في العالم، دين الحقيقة التي يبحث عنها الإنسان، لذا فالداخلون فيه يزداد عددهم اليوم عن الأمس، والشواهد التي نلمسها دليل على ذلك، ففي مختلف الأقطار والأمصار، يوجد مسلمون، ويزيدون في العدد في كل مكان.

---

(1) من كتاب: لماذا أسلم هؤلاء؟ لأحمد حامد.

وهذا هو الدكتور «ريكورد الفاريز كوستيلو» الأستاذ بجامعة المكسيك، الذي آمن بالله وبالرسالة المحمدية، فارتاحت نفسه ودأب يبحث ويستفسر عن الدين الحنيف، حتى اعتنقه عن إيمان وعقيدة وأصبح اسمه بعد الإسلام الدكتور محمد الفاريز.

ويقول محمد الفاريز المكسيكي: لم يكن لي دين معين، وكنت مولعاً بقراءة سير الشخصيات العالمية التي أثرت في التاريخ، وعند شخصية محمد صلى الله عليه وسلم، كان إعجابي الشديد بهذه الشخصية العظيمة، فلقد كان محمدٌ، قبل بعثته.. ساخطاً وناقماً على كل مايزدحم به مجتمعه من فساد في العقيدة، وضلال في العقول، وعمى في القلوب، وانحلال في الأخلاق، وكان عليه الصلاة والسلام، يبدي رأيه في الأمور بشجاعة دون خوف من أحد، وظل هكذا حتى نزول الوحي، فضاقت قريش برسالته ودعوته إلى الإسلام الذي قوَّض دعائم الجاهلية، ونقل البشرية من ظلام الشرك إلى نور الإيمان والتوحيد.

والذي يدرس شخصية محمد صلى الله عليه وسلم، لابد له أن يعرف ضرباً من ضروب شجاعته المحمدية بعد الرسالة، وذلك ما كان وما حدث في غزوة «أُحد»، حيث التقى الجمعان.. قريش في ثلاثة آلاف رجل، والمسلمون في سبعمائة، وقال الرسول للرماة المسلمين الخمسين: «لاتبرحوا أماكنكم، انتصرنا أو انكسرنا»، ودارت الدائرة على قريش، ولما رأى ذلك الرماة، تركوا مكانهم الحصين الذي يشرف على أرض المعركة، عندئذ كرت قريش راجعة، وأعمل مقاتلوها في المسلمين، السيف. وهنا كان الصمود العظيم والرائع للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، حيث ضرب أروع الأمثلة في الشجاعة رغم ما لحقه من أذى.

لقد كانت شجاعته في سبيل إعلاء كلمة الدين، ودفاعاً عن وحدانية الله ورسالته، من أبرز صفاته الشريفة.

ويقول أستاذ الجامعة المكسيكي الذي أسلم: إن محمداً صلوات الله عليه، شخصية فريدة من نوعها في هذا الوجود، لأنها أقامت الدنيا وأقعدتها بثورة لاتزال حتى اليوم، بدليل من يدخلون في دين الإسلام. والدين الإسلامي هو خير الأديان السماوية التي يجد الإنسان فيها كل شيء.

ويعود الدكتور محمد الفاريز المكسيكي ليقول: ومن الصفات التي شدتني للدين الإسلامي في هذا النبي العظيم، أنه كان أُميّاً، ومع ذلك فقد علّم هذه الأمة كل شيء، الأخلاق الحميدة بكل مافيها من قدوة صالحة يمكن أن يتبعها الإنسان، فيها كل شيء.

ويقول الدكتور محمد الفاريز المكسيكي: الصفات التي أعجبت بها في شخصية الرسول المعلم، صبره على المكاره من أعدائه في سبيل دعوة ونشر الدين الإسلامي الحنيف.

قال تعالي:

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل: ١٠).

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤)﴾ (الإنسان: ٢٣ ـ ٢٤).

ولقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثلاثاً وعشرين سنة، يدعو إلى الإسلام والتوحيد، وتحمل في سبيل ذلك، أذى قريش والمشركين، وصمد من أجل إعلاء كلمة الله، والتمكين لدينه في الأرض، فواجه الشدائد والمكاره والحروب والحملات، بصبر شجاع وإيمان بالله لا يلين.

ويشتد إعجاب الدكتور المكسيكي المسلم، لنبي الإسلام محمد ليقول: لقد جاء بأعظم رسالة سماوية، لقد علّم البشرية بدينه الأخلاق السمحة والبساطة

في العبادة، واليسر في كل شيء، فالدين الإسلامي، كما عرفته دين البساطة والسهولة والبعد عن تعقيد الديانات الأخرى.

ويقول الأخ محمد الفاريز أستاذ الجامعة المكسيكي: بعد أن درست حياة محمد صلى الله عليه وسلم، قرأت القرآن الكريم، فوجدته دستور العالمين، وجدته شاملاً جامعاً لكل نواحي الحياة، السياسية والاقتصادية والعلمية، والتاريخية والاجتماعية، والنفسية، والصحية، وجدت في القرآن حياة هذا العالَم، فزاد تعلق قلبي وعقلي بمحمد الذي خصه الله سبحانه وتعالى بهذه القيمة العظيمة التي تخشع القلوب لقراءتها وفهمها، ولا أملك ما أقوله عن القرآن الكريم، إلا أنه جامعة كبرى لهذا الوجود، لو درسه العالم دراسة مستفيضة لوجدوه لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وله فيها من الحديث ما لا ينقطع، فالقرآن يتحدث أيضاً عن المستقبل، وله في ذلك ما وصل إليه عقل الإنسان من علم وتكنولوجيا.

وقبل أن أترك الأخ الدكتور محمد الفاريز المكسيكي، الذي جاء القاهرة وأشهر إسلامه بها. وجدته يقول:

لعلمك أنا أؤدي الفروض الخمس في مواعيدها، سواء هنا، أو في المكسيك، فأنا أحترم كل صغيرة وكبيرة لمسها الدين الإسلامي الحنيف.

وكانت صلاة الظهر قد وجبت صلاتها، وكان الأخ المكسيكي على موعد مع شيخ الأزهر، فأدى الصلاة أولاً، وانتظره الشيخ حتى فرغ منها واستقبله وهنأه على مسلكه الذي اختاره بنفسه دون إجبار أو إكراه.

44ـ العالمة الإنجليزية كريستين[1]

كريستين.. ومكارم الأخلاق..

الإسلام، دين عالمي، لم يقتصر على فئة معينة، لكنه شمل كل الفئات، وخص العالمين بالرحمة والخير، ومن اتبع الإسلام ديناً، والقرآن طريقاً إلى هذا الدين، كانت له عند الله منزلة خاصة، فالله يعز من عباده الذين يخلصون في حبهم له ولدستوره.. ودستور الدين الإسلامي، هو معروف ـ القرآن الكريم ـ الذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم، في شهر رمضان المبارك، فزادت قيمة الشهر الكريم، لأن جبريل عليه السلام، جاء محمداً فيه بالقرآن، مباركاً من عند الله. والقرآن الذي أنزله سبحانه وتعالي، تحفظه العناية الإلهية الكبرى، فلم يستطع إنس ولا جان أن يغير أو يبدل فيه، أو يأتي بمثله أو بنظير له.

والقرآن الذي يحفظه الله في قلوب المؤمنين، يرعاهم الله منذ نعومة أظفارهم، حتى يشبوا على دين الله، وإن لم يكونوا بالوراثة له يتسمون أو يدينون.

وهذه نبيلة إنجليزية، من أعرق الأسر الإنجليزية المعروفة، أراد الله لها الإسلام ديناً، والقرآن طريقاً، فسبب الأسباب وجعل في قلبها الاستعداد الفطري، لتلقي الدين الإسلامي الحنيف.. ولنتعرف معاً على هذه النبيلة الإنجليزية التي كانت تدعي الليدي كريستين جاك هيلين، هي كما تعرف الآن تنحدر من أسرة من النبلاء في بريطانيا، أسرة موسرة، عريقة معروفة، لها علاقاتها أيضاً وصداقاتها بالأسر النبيلة مثيلاتها.

تلقت كريستين تعليمها في أرقى المدارس والجامعات البريطانية حتى

(1) من كتاب: لماذا أسلم هؤلاء؟ لأحمد حامد.

أصبحت بعد استكمالها سنوات دراستها واحدة من علماء الذرة في بريطانيا، وواحدة من شهيرات هذا العلم في العالم.

وبسؤالها عن إسلامها الذي حدث، والزمان الذي حدث فيه تقول الليدي كريستين جاك:

يبدو أن الله سبحانه وتعالى، كان قد أهلني منذ الصغر لأكون مسلمة، فأنا نشأت لا أحب الكذب والنفاق، وأكره العلاقات الإنسانية المزيفة، التي تصعد وتنشأ على حساب الآخرين، أيّاً كان نوعهم، صغيراً أو كبيراً.

ويسود الصمت، لتسترجع كريستين ذكريات تعرفها بالإسلام فتقول:

في إحدى رحلاتنا السياحية، وكنت آنذاك لم أتجاوز بعد العاشرة من عمري، كنت ألمح علاقات من نوع فريد بين المسلمين في الهند، فكان الحب والإخاء والمساواة والتعاون، هو العلاقة التي تربط بينهم جميعاً، حتي أنني أحسست أني واحدة منهم، ولدت بينهم، فقد كان بداخلي هذه العادات التي افتقدتها في تربيتي الأرستقراطية المتعالية، ورأيتهم يصلون، وبدأ استفساري عما يفعلون، وكانت الإجابة صريحة، وواضحة عن الدين الإسلامي، حتى أحسست به داخلي، منذ ولدت، فهذا الدين، هو الذي أحب تعاليمه وقيمه، فهو يكره المنافق، والكذاب والسارق، ويكره التفرقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وينادي بالتعاون في شتى المجالات الإنسانية التي ترتفع بالإنسان والإنسانية إلى درجة من السمو، عالية.

وتحكي كريستين:

بدأت أتعلم الصلاة، ورحت أؤديها معهم، وبدأ ترددي على المساجد، شيء من واجبي اليومي، الذي كنت أحبه من بين الواجبات المفروضة التي كنت أقوم بها غير مقتنعة بها. وكانت أسرتي تعتبر أن تعلقي بالمساجد، هواية من هوايات

الأطفال آنذاك، لكني كنت قد بدأت أتعرف على الدين الإسلامي الحنيف الذي هو طريق الهداية، والطريق إلى الله.

وتعرفت بجدية على محمد صلوات الله عليه وسلامه، فعرفت فيه مكارم الأخلاق، وعرفت أن ربه أدبه فأحسن تأديبه، وأن الله سبحانه وتعالى، قد أهله منذ الصغر لتلقي الدين الحنيف، وبذلك أبعده عن كل الموبقات التي كان يعيش فيها أبناء جيله من أبناء قريش.

وتعطي كريستين درساً في استقامة محمد صلى الله عليه وسلم منذ الصغر، فتقول:

لقد كانت سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أروع مثل لمكارم الأخلاق، لاتوصف بذلك بسنوات البعث والرسالة فقط، بل كانت حياته قبلهما، تضيء بالمثل العليا والقيم التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى له، فقد عصمه الله سبحانه وتعالت قدرته، من الفاحشة، وجنبه الزلل، وهداه دائماً سواء السبيل، وهناك حادثتان حاول منهما الشاب محمد، أن يشارك أقرانه فيهما لهوهم ومرحهم وعبثهم، لكن العناية الإلهية، كانت تسهر عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ماهممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به، غير مرتين، وكان الله يحول بيني وبين ما أريد، ثم ماهممت بسوء حتى أكرمني الله عز وجل برسالته، فقد قلت ذات ليلة لغلام من قريش، كان يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة، فأسمر بها كما يسمر الشباب؟ فقال: أفعل. فخرجت أريد ذلك، حتى إذا جئت أول دار من دور مكة، سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير، فقلت: ماهذا؟ قالوا فلان ابن فلان يتزوج بفلانة بنت فلان، فجعلت أنظر إليهم، فضرب الله على أذني، فنمت، وما أيقظني إلا لسع الشمس، ثم جئت صاحبي فقال: ماذا فعلت؟ قلت: مافعلت شيئاً، وحكيت له ماجرى، ثم قلت لصاحبي في ليلة أخرى مثل الليلة الماضية، فقال:

أفعل. فخرجت، وسمعت حين جئت مكة الذي سمعته في الليلة الماضية، وجلست، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا لسع الشمس، ورحت إلى صاحبي وحدثته بما جرى، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله عز وجل برسالته».

وتقول كريستين الإنجليزية التي درست كل شيء عن الإسلام: وكل صغيرة وكبيرة كتبت عن نبي الرسالة، محمد صلوات الله وسلامه عليه، شديدة الإعجاب، محمد الرسول الكريم الذي عاش حياته بعيداً عن النزوات والشهوات، فقد كان مسلماً ومؤمناً قبل أن تأتيه الرسالة الإلهية لينشرها ويذيعها على العالم.

ولهذا عرف الإسلام طريقه إلى قلبي وعقلي، ونفسي وروحي، سريعاً، فأقبلت عليه غير هيابة بما يحدث، ولما رأت أسرتي أن الهواية التي تركوني للعبث بها، تتحول في جدية إلى شيء في حياتي، حاولوا الحد من قراءتي التي كانت تتم بالعربية ـ وللعلم أسرتي هي التي استدعت أحد مدرسي اللغة العربية لأتعلمها كرغبتي، وقد كان لي ما أردت ـ فلما وجدوا مني الإصرار على الدين الإسلامي الحنيف، كانوا يعاملونني بطريقة جديدة حتى أكف عن التمسك بالدين، لكنه كان في العقل والقلب، راسخ لا يزعزعه حتى الموت.

وأرادت أسرتي أن توجه دراستي إلى الوجهة العلمية البحتة، وكانت رغبتي فيها، فوافقت عليها، وانشرحت قلوبهم لأنهم أدركوا أن دراستي العلمية، ستبعدني عن الإسلام، لكنها كانت تثبت لي يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام، أن هذا الكون الممتد، تتحكم فيه إرادة الله العليا صاحبة الرسالة المحمدية الكريمة، وتأكد لي في دراستي وجود الخالق بطرق كثيرة، أثبتها للذين كانوا يدرسون معي.

ولم تفلح أسرتي في تحويلي عن ديني الإسلامي الحنيف، وتخرجت في الجامعة، وأرادوا أن يكون زوجي نبيلاً مثلي، لكني كنت أريد رجلاً مسلماً، يعرف

الإسلام ويقرأ القرآن، ويعمل بتعاليم وقيم الإسلام، ورفضت الزوج الذي حاولت أسرتي أن تفرضه، وتزوجت هنديّاً مسلماً، وأصبح اسمي بعد ذلك أمينة محمد كيرال، وأنجبت حتى الآن: محمداً، وعمر، وعبدالله.

هذه هي الإنجليزية التي عشقت الإسلام في أخلاق نبي الإسلام ومبلّغ رسالته، محمد صلى الله عليه وسلم، المثل الأعلى، والكمال الذي لا يوصف، والأخلاق الكريمة، التي اختارها الله سبحانه وتعالى، لتكون القدوة الحسنة لخير الأديان وآخرها.

45ـ الدكتور الكندي وليم لايك[1]
وليم لايك.. مع الله في المشرحة..

تساءلت كثيراً عن المميزات التي يستفيد بها المسلم من الصلاة، وكانت الإجابة على تساؤلاتي، مقدمة لبحثي ودراستي عن الصلاة والعبادة في مختلف الأديان، توقفت فيها عند الدين الإسلامي الحنيف، وجعلت من نفسي باحثاً ودارساً في شئون الإسلام، حتى وصلت في النهاية إلى قمة الإيمان الحقيقي، ووجدت في ذلك سلاماً وأماناً وطمأنينة لم أجدها في مختلف الأديان، وعرفت بالفعل، أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وعرفت أن صدق الصلاة، يعصم مؤديها من الخطايا والدنايا.

فالذي يؤدى صلاته عن إيمان بها وبالدين الإسلامي، يجد نفسه يبتعد عن الزلل والخطايا والمعاصى، حتى وإن قربت منه تفرض نفسها عليه فرضا، ولأني كنت ما زلت كأهل موطني، حتى تعلمت الصلاة وعرفت حقيقة أمرها ومبلغ الاستفادة منها، وجدت نفسى، بعد أن توجهت بها لله سبحانه وتعالى، أبتعد عن المعاصى والمنكر الذي يعيشه بني وطني، والبغى المستفحل بينهم، وعرفت أن الصلاة، عماد الدين الإسلامي، تعتبر شيئا مقدساً لكل مسلم يؤديها عن صدق، والصلاة التى لا ترفع مؤديها إلى درجة الإيمان والبعد عن الخطايا، تعتبر صلاة كاذبة، حتى لو تكررت، ولا تعتبر صادقة، إلا إذا كان قلب صاحبها متجها إلى الخالق، وليس أداء واجب، أو حبا للظهور أمام الناس بالصلاح والتقوى.

وعلاوة على أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، إلا أن ميزتها التى ترتفع فوق مستوى العبادات الأخرى، جعلت لها قدسية لا تجارى، ففى الصلاة،

---

(1) من كتاب: لماذا أسلم هؤلاء؟ لأحمد حامد.

يقف كل الناس، الغني والفقير، الحاكم والمحكوم، الأبيض والأسود، كلهم في صف واحد، عبادة واحدة، أداء واحد، دين واحد، لا فرق بينهم جميعا، والفرق الوحيد، هو تقوى كل منهم عن الآخر، وعند الله الميزان، يقدر تقوى كل فرد يقف أمامه، وهنا الفرق الوحيد بين الواقفين أمام الله. يصلون، يتعبدون، ويذكرون اسمه الكريم، في كل حركة من حركاتهم، والرسالة العظيمة، إلى ثورة عظيمة، يندر أن يوجد مثلها حتى الآن، فلقد كانت أعظم ثورة ضد الظلم والرجعية والفساد والاضطهاد، ويحق لنا أن نصف محمدا صلى الله عليه وسلم، أنه قائد أكبر ثورة في تاريخ البشرية، فعليها قامت أعظم المثل والمبادئ التي لو اتبعت لساد العالم سلام وحب وحرية وكرامة للإنسان والإنسانية، العالم في حاجة شديدة إليها الآن.

وبصفتي واحدا من بني البشر، الذين لم يولدوا مسلمين، وولدوا وسط روح المادية، وتسلط البشرية وبربريتها، وتسلط الإنسان وظلمه لأخيه الإنسان، أقول لكل مسلم، إن الدين الإسلامي، دين الحق، فهو دعوة للحقيقة والبحث عنها لا يجده الإنسان إلا في القرآن الكريم، الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على عبده محمد صلوات الله عليه وسلامه.

وقد تأكدت في أبحاثي ودراساتي، أن الإسلام دين الحقيقة، وأن الحقيقة التي داخ العالم في البحث عنها، لا توجد إلا في الدين الإسلامي الحنيف. ودليلي على ذلك موجود فالجسم البشري أي الإنسان، لو وقفت أمامه، لعرفت قدرة الله وعرفت الحقيقة الكبرى، وبصفتي طبيبا بشريا، فقد وقفت على الحقيقة من خلال وقفاتي الكثيرة أمام المشرحة، خاصة أثناء دراستي وبحثي عن الدين الإسلامي.

ولما كنت واحداً من الذين لابد أن يمر عليهم هذا السؤال، أين الله؟

ولما كانت حيرتي كبيرة في الاستدلال على إجابة صريحة، وجدت أن الله هو

الحـقـيـقـة الكامنة وراء تحـريك هـذا الوجـود كله، والدليل الذي ملك نفسي وأنا أقف أمـام الجـثث في المشـرحـة، كـان أقـوى من كل الإجـابات التـي طرحتـهـا على سؤالي الذي اعتبرته ساذجا فيما بعد، فالله فى كل شيء خلقه وسواه، والإنسان صورة حية تقول لنا، إن الله، صاحب هذا التكوين الذي يتحرك، لحما، وعظاما ودما، وعيونا، وآذانا.

وبالرغم من أني درست جسم الإنسان كثيرا، ووقفت أيضا وأنا طبيب أمام جثث كثيرة، وأجساد للمرضى كثيرة، إلا أني ما فكرت في إجابة لسؤالى بهذه الطريقة التى جاءتني مصادفة، وأنا بين دفة البحث، أنقب في كتب الدين الحنيف، عن مميزات الصلاة.

وعرفت أثناء ذلك، أن هذا الجسم الممدد أمامي بالمشرحة، ليس إلا قوة من قوى الرحمن، وبدأ إيماني بالله ووجوده يقوى ويزداد يوما بعد يوم.

ولأحكي قصة جسد كان قد قيل إنه مات:

«وقفنا أمام المريض الذى كان يعاني ألماً شديداً فى معدته، وكنا مجموعة من الأطباء المهرة، وفقدنا الأمل في إيجاد حل لبقاء هذا الجسد وهذه الحياة، ورفعنا الأقنعة عن وجوهنا وتحدثت العيون «لا فائدة»، واستدرنا جميعا، بعد أن غطينا جسد المريض المفتوحة بطنه، الخارجة أمعاؤه، وقلنا «مات»، لكني وأنا في الطريق خارج المشرحة، قلت في نفسي، إن هذا الجسد لم ينته بعد، وعدت، وقرأت بعض آيات الذكر الحكيم، وبدأت أدخل أمعاء الرجل، داخل بطنه المبقورة، وما أن أدخلتها، حتى أحسست بزميل لي، كان يهزأ من تصرفى، ومن قراءتي القرآن والبسملة والحوقلة التى لا يعرف لها معنى، وتركني زميلي بعد الاستغناء عنه، وعاد كل شيء إلى مكانه الطبيعي في الجسد الممدد أمامي، وبعد ساعتين تقريبا. حدثت المعجزة، وعاد الجسد يعلو ويهبط متنفسا، وكانت فرحة لا تجارى لأهله، وإعجازا طبيا، نسب لي. لكنه في الواقع، معجزة إلهية، فالله أراد أن يثبت

في قلبي الإيمان به وبرسالته، فأعطاني القدرة على مواصلة الاستمرار في استكمال ما رفضه زملائي، ولو لم أكن قد عرفت الإسلام دين الرحمة والإنسانية، ما عدت ثانية إلي الجسد الذي فقد فيه الأمل كل الزملاء.

هذا هو حديث الدكتور وليم لايك، الكندي، الذى أصبح أحمد عبدالواحد، ويعتبر أحمد عبدالواحد، واحدا من الأطباء المشهورين، الذين يدعون للدين الإسلامي وتعاليمه وقيمه، بعد أن آمن ووجد في الإيمان بالله والرسول، الحقيقة التي يبحث عنها العالم.

46 ـ الصحفي الأمريكي.. محمد ألكسندر[1]

يروى في التاريخ الإسلامي، أن الفيلسوف اليهودي، موسى بن ميمون، أعلن إسلامه وأظهره وهو في الأندلس، وحفظ القرآن والأحاديث، وعمل في العلوم الإسلامية، حتى ينال مكانة في مجتمع يدين ويعتز بالإسلام، وما أن جاء إلى مصر في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، حتى ترك ما أظهره من إسلام، وعاد ليتمسك بيهوديته، ولما عرف أحد فقهاء الأندلس بحكايته في مصر، لحق به فيها وآخذه على فعلته وتركه الدين الإسلامي، وتدخل ساعتها القاضي الفاضل لحماية ابن ميمون من الفقيه الأندلسي وقال له:

رجل يُكرَه على الإسلام، لا يصح إسلامه شرعا. وعاش الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون، مكرما في حكم صلاح الدين، حتي قرر له السلطان رزقا ثابتا من بيت مال المسلمين، وولاه الإشراف والرئاسة على يهود مصر آنذاك. وقد حدث هذا، أيام أن كان صلاح الدين يحارب الصليبيين في معارك كان شعارها التعصب الصليبي.

لكن سماحة الإسلام والإنسانية الحقيقية التي تنادي بها تعاليم الدين الحنيف وقيمه، وضعت الحق الإنساني فوق كل الاعتبارات.. فلا قهر ولا إكراه على التمسك بدين، فمن يهيىء الله مالك الملك، قلبه للإيمان، والاتجاه إلى الدين الإسلامي، آمن وصدق وأسلم، دون ضغوط، فالدين سمح، وإسلام المكره باطل، سواء كان بالضغوط أو القسوة أو العنف أو الشدة أو استغلال نواحي الضعف والحاجة.

وهذا هو الإسلام، ناشراً أجنحته على العالمين، فمن أعجبه ظله، استظل بتعاليمه وشريعته السماوية.

(1) من كتاب: لماذا أسلم هؤلاء؟ لأحمد حامد.

وهذا هو الصحفي الأمريكي «الكسندر ويب»، الذي ولد في مقاطعة «هدسون» التابعة لولاية «كولومبيا» وأمضى رحلته الدراسية في مسقط رأسه حتى أتم دراسته الجامعية في نيويورك، ولأنه كان صاحب خيال خصب وحاسة أدبية ورأى حر، آثر أن يشتغل بالصحافة فاشتهر اسمه الذى كان يقترن دائما بالمقالات الجريئة الناقدة للمجتمع الذي يعيش فيه، وكانت شهرته أيضا في كتابة القصة القصيرة التي كان يعالج من خلالها القضايا الإنسانية والاجتماعية، واجتمع حول «الكسندر ويب» جمهور عريض من قرائه كصحفي وناقد، ومن قرائه كأديب له قلمه الذي يتابعه جمهوره بشغف وحب شديدين.

وكان لنجاح الصحفي الأمريكي الكسندر ويب في مجاله الصحفي والأدبي، ما جعله يتولى رئاسة تحرير صحيفتى «سانت جوزيف جازيت» و«ميسورى ريبلكان»، والذى كان يشغل الكسندر ويب حتي ترأس تحرير الصحيفتين، هو أصول الأديان ومبادئها، فدرس اليهودية، والمسيحية ومذاهبها وأناجيلها.. ودرس أصول الاسلام وتراثه وقرآنه الكريم.

وتوقف عند الدين الإسلامي كثيرا، فكان أول كاتب أمريكي يدرس الإسلام بعمق.

وبعد فترة وجيزة في رئاسته للتحرير، أصبح قنصلا لأمريكا في «مانيلا» العاصمة الفلبينية، وهناك، كان المجال أمامه واسعا، ليتصل بالمسلمين ويراهم ويدرس حالتهم وأثر عقيدتهم الإسلامية فيهم، وراح يستفسر عن الإسلام، ومن مصادر إسلامية بحتة، وأصبح الصحفي الأمريكي، قنصل بلاده في الفلبين، شديد الولع بالدين الإسلامي وبالمسلمين هناك، وكان شديد الإعجاب باهتمامهم الشديد بنظافة أجسامهم وثيابهم، واحترامهم بعضهم البعض، وتعاونهم في السراء والضراء، والتقط الكسندر ويب من عاداتهم الإسلامية، الصدق وحسن الخلق، والأمانة والحفاظ على مال وعرض الغير، والمعاشرة الحسنة الخالية من

المصلحـة الخـاصـة، واعـتـزازهـم بدينهـم وبرسـولهـم وقـرآنهم، وبعـدهـم عن الرذيلة والخطيئة، وتمسكهم بالأخلاق الحميدة التى نادى وينادى بها الإسلام، وإحسانهم لذويهم من الفقراء حتى لا يصبح بينهم جائع أو عارٍ أو مسكين.

وهكذا استـمـد قنصل أمـريكا في مـانيللا، المعلومـات الـصـادقـة عـن الدين الحنيف، فبهرته عظمة الإسلام، وآمن الكسندر ويب، أن هذا الدين، هو دين الله حقا، وأنه هو الذي سيصل بالبشرية إلى الاستقرار والهدوء والطمأنينة والسلام، إذا ما ساد، وأصبح دين البشرية.

وفي صدق العـارف بالدين وتعاليمـه، أشهر الكسندر ويب إسلامـه، وقال: إنه يحس بالسعـادة الحقـيقـيـة لانتـمـائه لأسـرة الدين الإسـلامي الحنيف، وأضـاف لاسمه الحقيقي، اسم الرسول الكريم، فأصبح اسمه «محمد الكسندر ويب».

ويقـول مـحـمـد الكسندر، في إحـدى مقـالاته عن سبب إسـلامـه: إن الإسـلام دين حق، مـؤسس على الحقـيقـة الخـالـدة التى تناقلهـا الإنسـان من جيل إلى جيل، عن طريق الرسل الذين اختـارهم الله، ابتـداء من مـوسى إلى مـحـمـد صلى الله عليـه وسلم، وهـو الطريق المعـروف الوحـيـد عن الإنسـان، ويتـفق هـذا الـدين مع العقل والعلم.

وأن اعتنـاقي للإسلام، لم يكن عن ضـلالة، أو نزوة خاطئة، أو انقيـاد أعمى، أو اندفاع عـاطفي، لكنه كان وليد دراسة دقيقة فاحصة أمينـة، غير متأثرة برأى أو ميل سابق، ونتيجة لرغبة وعزم، وعن معرفة للحقيقة.

وأن روح العـقـيـدة الإسـلاميـة الحـقـة، تكمن في الخضـوع لإرادة الله، وحجـر الزاوية فيها، الصلاة.

والإسـلام، دعـوة إلى الأخـوة العـالميـة، وإلى المحبـة بين أهل الأرض جمـيـعـا، وإلى الخيـر للناس كافة، ويتطلب طهارة العقـول، وطهـارة العمل، وطهـارة الحديث، ويدعو إلى طهارة البدن ونظافته.

ولم يقف الصحفي الأمريكي المسلم، في إسلامه، عند حد كتابة مقال أو أكثر عن سبب إسلامه، لكنه سافر إلى الهند ليستزيد من العلوم الإسلامية، بعد استقالته من عمله، ليتفرغ لدراسة الإسلام وعلومه، وقصد الأمريكي المسلم معاهد الهند الإسلامية، وقابل علماءها وشرحوا له وتعلم منهم الكثير، وأصبح شيخا وفقيها له قيمته العلمية وهيبته الإسلامية، حتى أصبح يشارك في إلقاء محاضرات إسلامية في معاهد الهند وجامعتها، ومكث بالهند مدة، آثر أن يعود بعدها إلى نيويورك ليطلع أبناءها من خلال كتاباته ومؤلفاته، على الدين الإسلامي ومزاياه، وفي موطنه أنشأ مجلة «العالم الإسلامي»، ليكتب فيها مع المسلمين داعيا ونصيرا للدين الإسلامي في أمريكا.

واستجاب له قراؤه، ودخلوا الدين الإسلامي، فرادى وجماعات، واستجاب هو لقرائه، فأنشا حسب رغبتهم «الجمعية الإسلامية الأمريكية»، التى شدت عشرات الأمريكيين بل المئات إلى الدين الإسلامي.

وأصبح عدد المسلمين في زيادة كبيرة بسبب هذا الداعية الأمين الذي آمن بالدين وبرسول الله ورسالته، غير مكره في ذلك، راضيا، قانعا، باذلا كل الجهد في جمع أكبر عدد ممكن ليعرفوا حقيقة وجودهم في هذه الدنيا.

47ـ الدكتور رولف اهرنفيلز(1)
الدكتور عمر.. البارون النمساوي

سبحانك اللهم خلقت كل شيء فقدرته تقديرا، أرسلت محمدا صلوات الله عليه وسلامه، بالهدى ودين الحق، بشيرا ونذيرا، فرفع لواء الإسلام فاستجاب للدعوة الكريمة، أصحاب القلوب الراضي عنها الخالق، منذ دبت فيها الحياة فهداهم الله إلى الحق فاتبعوه، فكان خير هاد وخير طريق للمسلمين معتنقي الدين الحنيف، إلى الله الذى خلق الدين والدنيا، وجهز الآخرة للمتقين من عباده والكافرين البعيدين عن دينه الحنيف.

ولأن الإسلام، دين الفضيلة والصراط المستقيم، فعلى طريق الحق ينضم كثيرون، وهذا عالم من علماء الأجناس المعدودين في العالم، عرف طريق الإسلام، فآمن بالرسالة والرسول والخالق الذي بعث الرسالة للرسول، لينشرها ويبلغها للعالمين. هو الدكتور «رولف اهرنفيلز» أحد علماء الأجناس المعدودين، الذين أثروا المكتبة العالمية، بالعديد من المؤلفات المختلفة عن الأجناس، فقد أفسح دكتور رولف المجال إلى آفاق المعرفة للبشرية، بما اكتشفه في أبحاثه وبما قدمه من مؤلفاته ودراساته حول علمه الذي لايدرسه إلا القليلون في هذا العالم.

ولنتعرف على الدكتور رولف اهرنفيلز..

ينتمي الدكتور رولف إلى أعرق وأعرض الأسر النمساوية الشهيرة بالنبالة والثراء، ولقد كانت أسرته تتمتع بلقب «البارون» ودرس صاحبنا كل علوم العصر، فقد درس الفلسفة، وترك العديد من مؤلفاته التى لم تنسها دائرة المعارف البريطانية.

(1) من كتاب: لماذا أسلم هؤلاء؟ لأحمد حامد.

وقد كان النبوغ والبحث والدراسة والعبقرية، من الصفات التى ورثها رولف عن أبيه، فقد نبغ رولف في سن مبكرة. فكان مقبلا على الدرس والتحصيل، وفاق أقرانه وزملاءه وكان استعداده العلمي كبيرا، فقد كان مدى استعداده في الاستيعاب يفوق الذهن والعقل، حتي لقي من أساتذته ومدرسيه عناية خاصة، حتى لا يلوى عن الطريق الذي رسموه له في أذهانهم، فقد كانوا يعدونه، ليكون واحدا من علماء النمسا، وقد كان لهم ما أرادوا وكان له ما أراد.

وتقول شقيقته شاعرة النمسا الشهيرة «إيمافون»: لقد كان رولف مولعاً بالشرق منذ صغره، وكان الحنين يشده ويجذبه إلى الشرق بصفة خاصة، والعالم الإسلامي بصفة أخص من كل الخصائص. فعندما أدرك رولف سن الشباب، السن التي تكثر فيها التساؤلات راح هو يجيب على كل التساؤلات. وذلك بدراساته وإيمانه، وقراءاته المستمرة، عن الدين الإسلامي، والعالم الإسلامي، حتى إنه تعلم لغة العالم الإسلامي، وكان يجد استجابة وحبا من كل الذين قابلوه، وفي كل بلد زاره.

وأحب رولف المسلمين والعالم الإسلامي، وأيقن أن الدين الإسلامي، هو دين الحقيقة، وتعلم رولف من الإسلام أشياء كثيرة منها، النظافة والصدق، وكان يقول، الإسلام يعلم أشياء عظيمة منها اثنتان لو أتقنهما الإنسان، لسلم من كل ما هو ضار في هذا العالم، وكان يشرح مزايا النظافة في الوضوء ونقاء القلب ونظافة السريرة، والصدق كميزة تبعد الإنسان عن الزلل والخطايا.

ترك الدكتور الشهير أسرته الثرية العريضة العريقة الشهيرة بالنمسا، وأطلق على اسمه «دكتور عمر رولف»، وامتدت رحلات دكتور عمر رولف بعد إسلامه، في البلاد الشرقية إلى شبه القارة الهندية.

وعندما عاد إلى موطنه الأصلي، بعد رحلاته العلمية والإسلامية في مشارق الأرض، نشر الكثير من مزايا بلاد الشرق، ومزايا الإسلام وألَّف الكثير من

الكتب، وكان مديحه للإسلام لا يقف عند حد الدراسة والكتابة، بل كان يمتدح الإسلام في كل مكان يجلس فيه وكان يقول:

إن أهم ما يسترعي الانتباه ويشد العقل إلى الإسلام هذا الدين الحنيف الذي هو آخر رسالات السماء، ما يقرره من تتابع نزول الوحي، مما يدل على صدور الأديان من مصدر ونبع واحد.

والسلام الذي هو غاية البشرية، هو هدف الإسلام الأسمى. والذى يؤكده الإسلام من أخوة وروح إنسانية، لا تزعزعها فوارق لغة أو جنس أو ما شابه ذلك.

إذن فالإسلام الذي اختاره الثري ابن البارون، ابن النمسا، دين الحب والإخاء والمساواة، لا شك في ذلك، ولو درسه حاملوه لتمسكوا به ودافعوا عن تعاليمه وقيمه حتى الموت، ضد أعدائه الرابضين به اعتقادا منهم أنه زائل، والعياذ بالله من فألهم وشرهم.

48ـ المدرس الإنجليزي ماكسيميليان ميشلان وآخرون أسلموا لإعجابهم بالأذان[1]

الأذان.. دعوة للحقيقة

«الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمداً رسول الله.. حى على الصلاة.. حي على الفلاح.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله».

دعوة حية، دعوة أبدية، دعوة تصل سامعها بربه منذ أن يتلقاها سمعه، دعوة تلتقى فيها الأرض والسماء ويمتزج فيها خشوع المخلوق بعظمة الخالق، دعوة كلما سمعها مؤمن، تزف إليه كل ما هو جديد فى عظمة خالقه، وعظمة الدين الحنيف، دعوة إلى الحق والحقيقة.

«الله أكبر، الله أكبر»..

تلك، دعوة الأذان التي يجتمع بها المسلمون في كل صلاة، فهي الدعوة التي تدعو للحقيقة التي يبحث عنها الإنسان، فلو استمع إلى هذه الدعوة، ولبى نداءها، وعمل على تنفيذ ما تدعو إليه.. لعرف أين تكمن الحقيقة، وعرف طريق نفسه من الآخرين. لأن الذي يلبي هذه الدعوة، لا بد وأنه ذاهب إلى الصلاة، أو مؤديها في مكانه، والذي يقف مصليا، خاشعا بين يدى الخالق، لابد وأنه بنفسه وعقله وقلبه، قد اتجه للخالق، وبذا يكون قد كسب أعظم ما في هذه الدنيا، وهو صفاء القلب والعقل والروح.. وهذا يعكس على الإنسانية سلاما وحبا ونقاء قلما يجده الإنسان في دعوة أخرى، بطرق أخرى مزعجة ومختلفة.

إن هذا النداء، وهذه الدعوة، التى تدعو المسلمين للصلاة نهارا وليلا، لها

(1) من كتاب: لماذا أسلم هؤلاء؟ لأحمد حامد.

صدى في نفوس المؤمنين، ساعة سماعها، يجعلهم يهرعون، تلبية لعظمة النداء، إيمانا بالرسالة المحمدية.

فهذا النداء الذى يجلجل للدعوة للصلاة، ما من نفس سمعته إلا وترك فيها شيئا جميلا، وصدى له تأثيره فيها، فالطفل الذى لا يدرك معنى الدين ومعنى الدعوة، يردده في كل مرة مع المؤذن حتى يشب، فيعرف معناه وسببه.

وصوت المؤذن، والأذان، في هدوء الليل، له نغمة تنساب في النفس، فتحيل فيها الكدر والغم والهم، إلى صفاء والذين سمعوا الأذان من غير المسلمين، قالوا إنه ضرورة من ضروريات الحياة، لأنه أروع موسيقى تستطيع أن تحيل الأعصاب المشدودة إلى هادئة ومتراخية، خاصة اذا ما كان صوت المؤذن فيه ما يشد.

ويقول «جيرار دي نرفال» فى كتابه «سباحة بالمشرق»: إنني لأول مرة سمعت فيها صوت المؤذن الرخيم الناصع، خامرني شعور من الشجن لا يوصف. وسألت المترجم: ماذا يقول هذا الهاتف؟

فقال: إنه ينادى «أن لا إله إلا الله».

قلت: فماذا يقول بعد هذا؟

قال: إنه يدعو النيام قائلا: يامن ينام، توكل على الحى الذى لا ينام.

ويقول الكاتب المتصوف «لافكاديو هيرن»: إن السائح الذى يهجع لأول مرة بين جدران مدينة شرقية وعلى مقربة من إحدى المنائر، قلما تفوته خشعة الفؤاد لذلك الجمال الوقور الذي ينبعث به دعاء المسلمين إلى الصلاة، وهو لاشك يستوعب فى قلبه، كل كلمة من كلمات تلك الدعوة المقدسة، ويتبين مقاطعها وأجزاءها في نغمات المؤذن الرنانة، حيثما أرسل الفجر ضياءه في سماء فاضت بها النجوم، وإنه ليسمع هذا الصوت أربع مرات أخرى، قبل أن يعود إلى المشرق ضياء الصباح يسمعه تحت وهج الظهيرة اللامعة، ويسمعه قبيل غياب الشمس

والمغرب ويتألق بألوان القرمز والنار، ويسمعه عقب ذلك حين تتسرب هذه الألوان في صبغة مزدوجة من البرتقالى والزمرد، ثم يسمعه آخر الأمر حين تومض من فوقه ملايين المصابيح التي ترصع بها تلك القبة البنفسجية فوق مسجد الله الذي لا يزول. ولعله يسمع في المرة الأخيرة عند نهاية التنغيم كلمات مقنعة بالأسرار. جديدة على أذنيه.

إن قاهرة الألف مئذنة، يعلو فوقها الأذان يوميا خمس مرات، وفي غير القاهرة من البلاد الإسلامية، يعلو صوت المؤذن بالدعوة والنداء للصلاة.

وكثير من السائحين والسائحات لمصر والعالم الإسلامي، لا بد له أن يستمع ولو لمرة واحدة لصوت المؤذن ودعوة الحرية والإخاء والمساواة.

وتدور تساؤلات السياح عن الأذان، وعن هذه الدعوة وعشرات من الأسئلة حول الدين الذي يدعو له بهذا النداء للصلاة والعبادة في بساطة شديدة. ودون تعقيد من الخالق أو من الرسالة.

ولا يسعنا إلا أن نسجل فى فخر ما تركه الأذان في نفوس الأجانب من تساؤلات، حتي اعتنقوا الدين الإسلامي، عن إيمان وعقيدة شديدين، قلما يجدها الإنسان فى مسلم وارث.

وهناك عشرات وعشرات من الأجانب رجالا ونساء، آمنوا بعد بحثهم عن الدين الإسلامي ودراسته، عقب سماعهم للأذان والدعوة للصلاة.

وسأورد بعض الأسماء من هذا الكم الهائل الذي اعترف بالدين وآمن به بسبب الدعوة للصلاة. وذلك بعد التعريف بكيفية وصول الأذان.

قبل أن يؤمر بالأذان، كان ينادى منادى النبي عليه الصلاة والسلام:

«الصلاة جامعة»، فيجتمع الناس..

فلما صرفت القبلة إلى الكعبة، تذكر المسلمون الأمر، فذكر بعضهم البوق

وذكر بعضهم الناقوس، وذكر بعضهم نارا توقد كنار أهل القرى، ثم تفرقوا على غير رأى، ومنهم عبد الله بن زيد الخـزرجي، فلما دخل على أهل داره قالوا له: ألا نعشيك؟

قال: لا أذوق طعاما. فإني رأيت رسول الله قد أهمه أمر الصلاة.

ونام، فرأى أن رجلا مر عليه يرتدى ثوبين أخضرين وفي يديه ناقوس.

ساله: أتبيع الناقوس؟

فقال: ماذا تريد به؟

قال: أريد أن أبتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة المسلمين.

أجابه الرجل: بل أحدثك خير لكم من ذلك.

تقول: الله أكبر. الله أكبر. أشهد أن لا إله إلا الله. أشهد أن محمدا رسول الله. حى على الصلاة حى على الفلاح. الله أكبر. الله أكبر. لا إله إلا الله.

ونادى الرجل بذلك النداء، وهو قائم على سقف المسجد، ثم قعد قعدة، ثم نهض فأقام الصلاة.

فلما استيقظ عبدالله بن زيد الخزرجي من منامه، ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقص عليه ما رأى، قال له: قم إلى بلال فألق عليه ما قيل لك.

وجاء الفاروق عمر لمحمد بعد ذلك، وقص عليه مناما مشابها لذلك، وجرى الأمر فى الدعوة إلى الصلاة منذ ذلك اليوم على الأذان، كما هو الآن، وزاد بلال فى آذان الصبح: «الصلاة خير من النوم» فأقرها النبي عليه الصلاة والسلام.

هذه هي قصة الوحى بالأذان، التى أعجب بها كل من سمعها من السياح، وكان إعجابهم شديدا، بأن أول من كان ينادى بهذه الدعوة، هو بلال، الأفريقى الأفطس، الأسود.

وعرفوا بعد دراستهم الشديدة والعميقة للإسلام، أنه دين الأخوة والمساواة، ولا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى، وآمن الكثيرون بالدين السمح الذي يقدس في الإنسان الإنسانية، بلا غرض أو هدف، سوى إيجاد كرامة الإنسان وحريته وسلامه.

ومن الأسماء التى أسلمت وصدقت بالدين الإسلامى، بعد بحثها عنه ابتداء من إعجابها بالأذان، حتى إيمانهم، هم:

- ماكسيميليان ميشلان، المدرس الإنجليزى.. الذى أصبح مصطفى عبدالله ابن خليفة.
- مارى كيسنفيلد، المهندسة الأمريكية.. التى أصبحت فاطمة عيد.
- دكتور هنرى تاكفرنالد، العالم الأمريكي في أعالى البحار.. الذى أصبح دكتور أحمد عبدالرحمن.
- دكتور ميشيل رونالد، الطبيب البشري الأسترالي.. الذى أصبح د. محمد إسماعيل عبده.
- مارتينا زنجلادوف، اليوغوسلافية.. التي أصبحت أمينة عبدالرحمن.
- لويس سدراك، المهندس البولندى.. الذى أصبح أحمد عبدالواحد.
- زاندرا بولوسيك، اليوناني.. الذي أصبح إسماعيل زين الدين.
- كيموناسي لي ين، الياباني.. الذي أصبح محمد عبدالله.
- هوريس ولبرت كولبرت الألماني.. الذى أصبح محمد ولي الدين.
- رامزاني ماسكولو، الفرنسي من جمهورية زائير.. أصبح اسمه رمضان محمد ماسوكو.
- فرانك جيرهارد ألفريد الألماني.. الذى أصبح علي ألفريد.

● جان أميلى من الكاميرون.. أصبح أحمد أميلى.

● ماريا أرستيرو مانولى يونانية، أصبحت أميرة محمد مصطفى وتزوجت أحد المصريين وهو السيد مصطفى فريد.

● جنيفر جنزر البريطانية.. التى أصبحت هدى زايد.

● كاسب هونا هانيز الألمانى.. الذى أصبح على هانيز.

● تيرى ديل الأمريكية أسلمت على نفس اسمها، لكنها حرم السيد أحمد جلال الدين عبدالحميد صالح وتطلق على نفسها مدام جلال الدين صالح.

● جور دوز الميربوا أجونجوى، النيجيرى.. الذى أصبح اسمه عطية الشيخ الميربوا.

49ـ الدكتور آرثر كين الأمريكي الأستاذ في علم النفس[1]

لأن الدين عند الله الإسلام، فهو سبيل كل القلوب الخاشعة، إلى الصراط المستقيم، حيث لا طريق يؤدى للحق سواه، وهذه شخصيات آمنت وصدقت بالرسالة والرسول، هى من مختلف الجنسيات وقد جمعها طريق الإسلام إلى الحق والحقيقة.

فهذا هو الدكتور «آرثر كين» الأمريكي الأستاذ فى علم النفس، والذى أصبح بعد إسلامه «الدكتور على عمر كريم» يروى قصة إسلامه والدافع الحقيقى الذى ساقه إلى الهدى:

ـ عندما أرجع بذاكرتي إلى الوراء، أرانى حتى سن العشرين، كافراً، لا أعتقد فى الله.

هذا بالرغم من أن منزلى كان يهتم بالدين، وكنت أذهب إلى الكنيسة لا لشيء إلا إرضاءً لأهلى، ووجدت نفسي منساقا إلى هوة نفسية عميقة، حتى إنى أصبحت لا أعترف إلا بالمادية. وأصبحت كالآلة، أباشر حياتى بطريقة ليس فيها أية انفعالات روحية، وضاعت نفسى وتاهت روحى، وجزعت على ما وصلت حالتى إليه من سوء، حتى عثرت على كتاب فيه بعض الآيات القرآنية المترجمة فقرأتها، ووجدتني أنساق إليها وكانت هذه نقطة تحول فى حياتي، وبدأت أبحث عن كل كتاب يتحدث عن الدين ودرست كل الأديان، الاسلام ـ المسيحية ـ اليهودية والبوذية، درستها عن عمق وعقل وفهم ومقارنة دقيقة بينها جميعا.

والحقيقة أنى وجدت فى الدين الإسلامى أشياء كثيرة عظيمة، وإن كنت وجدت فى الأديان الأخرى بعض الحق، فلقد وجدت فى الإسلام، كل الحق،

(1) من كتاب: لماذا أسلم هؤلاء؟ لأحمد حامد.

ووجدت فيه صراحة وتفوقا وسموا روحيا عظيما. وبعد دراسة عشر سنوات، اقتنعت عقليا وروحيا بالدين الإسلامي، وأردت أن أؤكد عقيدتي، فذهبت إلى مسجد نيويورك، ووجدتني أندفع مع المصلين، وصليت معهم، فملأ ربى قلبي بنور الهدى.

وبعدها اقتنعت بصلاحية الدين الإسلامي لى كعقيدة تربطنى بالله، وتربطنى بالدنيا والإنسانية.

وأسلمت بينى وبين نفسى، ولقد كانت دراستى لعلم النفس العامل الرئيسى الذى قادني إلي الإيمان بالله، ولكن كان عدم اعتقادى يرجع إلى ظروف البيئة، والمادية التى طغت على عقول أكثر الأمريكيين، والتى ترجع ظروفها للحضارة المجنونة المفتعلة.

ويقول الدكتور على عمر كريم: إن هذا القرآن كتاب ربانى مقدس، لا يضارعه كتاب فى الدنيا، أما أحب الشخصيات الإسلامية إليَّ بعد الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فهو الإمام الغزالى الذى استطاع أن يجمع في منهاج واحد بين العقل والروح، كما رسم طرقا عظيمة للتربية الصوفية والمعرفة المباشرة في القرآن الكريم.

50 ـ المهندس المعمارى الاسترالى نورمان والدو بلونكيت[1]

وهذا هو المهندس المعمارى الاسترالى «نورمان والدو بلونكيت» الذى أصبح «أحمد عبدالله نورمان»، والذى ظل طوال فترة حياته الدراسية، لا يهتم إلا بالدراسة المفروضة عليه.

وتمر عليه الأيام والسنون، ويدفعه القدر إلى الوقوف أمام الصحراء الغربية في ليبيا ليرى رجلا يقف فى خشوع أمام الله، فوق رمال الصحراء، فلما سأل «نورمان» عما يفعله هذا الرجل، قيل له، إنه يصلى.

ويقول نورمان، وبدأت أتعرف سائلا عن الدين البسيط الذي يعتنقه الناس بلا تعقيد، ومنذ هذه اللحظة التى كنت فيها بحاجة إلى ما يضىء نفسي ويريح خاطري، فبدأت دراسة مختلف الأديان حتى أيقنت أن الدين الإسلامي، خير الأديان التى تعرفت بها، ووجهت نفسي وجهة إسلامية بحتة، ووجدت في الصلاة راحة نفسية وهدوءا ما كان قد جاءني من قبل، فكانت الصلاة ملاذى من كل الهموم والمشاكل التى تعترضني، فوقفت أمام الله للصلاة التي تخلصنى من كل شوائب النفس.

ووجدت فى صيام الدين الحنيف، اعترافا بحق الجائع والمسكين فعكفت على البحث عن كل محتاج حتى أسد رمقه، لأني بالصيام تعلمت الرحمة وحب الناس.

(1) من كتاب: لماذا أسلم هؤلاء؟ لأحمد حامد.

51 ـ المستشرق الألماني أرنست باترت[1]

وأيضا المستشرق الألماني الدكتور «أرنست باترت».. مدرس اللغات الشرقية بجامعة فينا بالنمسا، بدأت صلته العلمية بالإسلام بأول رسالة له عن تاريخ العثمانيين، وزياراته لتركيا وإيران والهند وجميع البلاد العربية، وكتابه عن محمد إقبال، وتحقيقه كتاباً للتصوف، وترجمة كتاب عن مقارنة الأديان لهيئة اليونسكو.

ورأى الدكتور أرنست باترت، أنه مسلم منذ الصغر لعشقه للإسلام والمسلمين، فقد وجد نفسه بين تعاليم الإسلام وقيمه التى لا يعلو عليها بين الأديان كافة. ويقول أرنست إن الإسلام الذى له هذا الكتاب الكريم، سيكون ذات يوم دستور العالم، لأن هذا القرآن، إنما أنزل ليهدى البشرية من الظلام الذى تعيشه في عصرية بعيدة عن العقيدة والإيمان والدين.

● هذا هو الدين الحنيف، الذى كرَّم الله به أمته، لتصونه وتنشره بطرقها المختلفة في أنحاء الدنيا، نجد الذين يدخلون فيه، يؤكدون ـ وهم من غير أمة الإسلام، إن هذا الدين هو خير الأديان التى نادت وتنادى بالمساواة والحرية والعزة والكرامة والإنسانية وخير دليل على ذلك، أن العديد من معتنقى الدين الإسلامي، قد اعتنقوه لأنهم رأوا فيه ذلك، وراحوا بعد ذلك ينادون ويدعون له بين أهلهم وذويهم، وفي أوطانهم فما بالنا نحن أصحاب الدين، ألا يكفينا أنا مسلمون.

ويجب علينا أن نؤدى دورنا الإسلامي المطلوب منا بعناية، حتى يرعانا الله، لأنا نرى رسالته التى خُص بها محمد صلى الله عليه وسلم، ورفعه فوق كل الأنبياء والمرسلين بهذه الرسالة، التى يجب أن تكون أولا وأخيرا قدوة حسنة ليحذوا حذونا من يريد الطريق إلينا، وإلى ديننا.

(1) من كتاب: لماذا أسلم هؤلاء؟ لأحمد حامد.

52ـ الطبيبة الاسترالية السيدة جلينز جون

● وهذه هى السيدة جلينز جون، وهى طبيبة أسترالية ومتزوجة من طبيب مصرى يدعى هشام إسماعيل، تقول عن إسلامها إنها وجدت فى الإسلام، نوراً في الحياة التى كانت مظلمة لها قبل أن تتعرف بالدين الحنيف، ففى الصلاة يجد الإنسان نفسه خاشعاً ساجداً أمام الله سبحانه وتعالى، حيث الهدوء النفسى وراحة البال والاطمئنان. كما أن الإنسان يجد في قراءته للقرآن الكريم، شعاعا من النور والرحمة يظلل حياته بالسلام والحب والعدل الذى ينادى بها دستور رب العالمين.

53ـ الكاتبة مريم جميلة

(مارغريت ماركوس) أمريكية من أصل يهودي، وضعت كتبا منها (الإسلام في مواجهة الغرب)، و(رحلتي من الكفر إلى الإيمان) و(الإسلام والتجدد) و(الإسلام في النظرية والتطبيق). تقول:

«لقد وضع الإسلام حلولاً لكل مشكلاتي وتساؤلاتي الحائرة حول الموت والحياة وأعتقد أن الإسلام هو السبيل الوحيد للصدق، وهو أنجح علاج للنفس الإنسانية».

«منذ بدأت أقرأ القرآن عرفت أن الدين ليس ضرورياً للحياة فحسب، بل هو الحياة بعينها، وكنت كلما تعمقت في دراسته ازددت يقيناً أن الإسلام وحده هو الذي جعل من العرب أمة عظيمة متحضرة قد سادت العالم».

«كيف يمكن الدخول إلى القرآن الكريم إلا من خلال السنة النبوية؟! فمن يكفر بالسنة لابد أنه سيكفر بالقرآن».

«على النساء المسلمات أن يعرفن نعمة الله عليهن بهذا الدين الذي جاءت أحكامه صائنة لحرماتهن، راعية لكرامتهن، محافظة على عفافهن وحيائهن من الانتهاك ومن ضياع الأسرة».

54ـ الدكتور ياسين باينز

طبيب بلجيكي، يتكلم اللغة العربية، ويحفظ القرآن الكريم. يقول د. ياسين:

«كنت قبل الإسلام أرى أنه إذا كان لابد من دين، فإن هذا الدين لابد أن يكون شاملاً لكل تصرفات الإنسان في الحياة، فلا يمكن أن يكون الدين الصحيح لساعات قليلة من حياة الإنسان.

وكنت أرى أن الله لابد أن يمنح الإنسان هذا النظام الشامل.

ووجدت في الإسلام وحده نظاماً شاملاً لحياة الإنسان، إذ الإسلام يشمل حاجة القلب والنفس والعقل ولكن دخولي في الإسلام كان مبنياً على الفكر أولاً».

55ـ الشاعر المهاجري أبو الفضل الوليد

(إلياس طعمة) شاعر مُجيد، من عيون شعره:

يا شـامتينَ بنفـسٍ لـم تتـلْ أربَـا حذار منها، فهـذي نومـةُ الأسـدِ

ما حال نسرٍ كسيرِ الجانحين رأى كلَّ العصـافير وُرّاداً ولـم يَـردِ؟!

يقول في كتابه «التسريح والتصريح»:

«في العهد القديم ما يُخجل من تلاوته الخليع، ناهيك عن أنه يُعلِّم الفاسق ما يَجهل، فحوِّل وجهك عما فيه من دعارة بني إسرائيل».

قلت: تذكّرنا هذه الكلمة بكلمة (برناردشو) عن العهد القديم أيضاً:

«الكتاب المقدس من أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض، فاحفظوه في خزانة مغلقة بالمفتاح، احفظوه بعيداً عن متناول الأطفال!!».

56 ـ البروفيسور نشكنتنا دهيابا
أستاذ التاريخ في جامعة ميسوري

يقول: «قد بنيت اختياري للإسلام على ثلاثة أمور: أولاً صحة أخباره، ثانياً موافقته للعقل، ثالثاً أنه عملي لا خيالي، فلا يوجد في الإسلام ثلاثة في واحد، ولا ثلاثون مليوناً من الآلهة».

57ـ الدكتور أندريه روماني من معتقل الكثلكة إلي هدى الإسلام

في مدينة «روما» معقل «الفاتيكان» ولد «أندريه روماني» لأبوين كاثوليكيين شديديْ التعصب لمذهبهم، فقد كانت أسرته تجبره في طفولته على القيام بالواجبات والطقوس الكاثوليكية، والتردد على الكنيسة كل يوم أحد، والركوع على ركبتيه أمام تلك التماثيل الوثنية التي لم يؤمن بها قط، وأمام القسس ليمنحوه «بركاتهم».

يحكي الدكتور «روماني» كيف اعتنق الإسلام فيقول:

«كنت أشعر دائماً بنفور شديد وكراهية لبعض الطقوس القائمة أساساً على الاعتقاد في الصور والتماثيل التي تركت في نفسي فراغاً روحيّاً حادّاً، وعدم رضا متواصل دائماً غير أنني لم يكن بإمكاني أن أجهر أو أبوح لأحد بما يعتمل في صدري، إذ كنت لا أزال طالباً أعتمد على أهلي لإكمال تعليمي، إضافة إلى ذلك كنت أعلم أن القسس والرهبان ومتعصبي الكاثوليك لن يتركوني وشأني لو تجرأت على مجرد التفوه بما يجول في عقلي من رفض للنصرانية.

وانكببت على دراساتي في محاولة للهروب من الفراغ الروحي الذي أعيشه، واستطعت أن أحصل على درجة الدكتوراه في الطب وأخرى في علم النفس.. بعدها بدأت أسعى إلى القراءة الواعية للكتب التي تتناول عقيدة التثليث في محاولة مني لاستجلاء الحقيقة، وفي مقدمتها ما كتبه «توما الإكويني» عن عقيدة «التثليث» على المذهب الكاثوليكي.. وهالني أن أجد تلك الكتابات تدفعني دفعاً بما حفلت من متناقضات إلى الإيمان بواحدانية الله، ونبذ عقيدة «التثليث» التي لا تتفق مع العقل والمنطق السليم.. ومن ثم أخذت أخطوا بخطواتي الأولى

نحو الإسلام الذي أقر الوحدانية، فَنزّه خالق الكون عن الشريك، وقد يسر لي ذلك اطلاعاتي على ما كتبه «سوشينوداسينيا» و«سيرفيتو» و«وبيتشي ديلا ميراندولا» وغيرهم من المفكرين الأوروبيين الذين أنكروا فكرة تثليث الإله، وهاجموا مذهب الصور والتماثيل الذي يُعلي الوثنية تحت راية النصرانية».

ثم طافت بذاكرة «أندريه روماني» تلك الدروس التي كان يتابعها في الجامعة للمفكر «الدوبراندينو» أستاذ الشريعة والتاريخ الإسلامي، والتي من خلالها تعرَّف على عناصر كثيرة من مقومات شريعة الإسلام.

وبدأ يستزيد من مطالعاته عن الإسلام، فرأى فيه بساطة غير متناهية ووضوح عقيدة بعيداً عن أي غموض، حتى وصل إلى قناعة تامة بالإسلام، ومن ثمّ بادر إلى إشهار إسلامه.

ويصف «د. أندريه روماني» رحلته من الضلال إلى الهدى بقوله».

«لقد كان طريقاً طويلاً ذلك الذي أدى بي إلى الإسلام، وأستطيع أن أوكد أن لتحولي جذوراً دينية عميقة وأسباباً ثابتة».

ثم يضيف فاضحاً تعصب النصارى:

«في أوروبا يتحدث الناس عمّا يسمى بالتعصب الإسلامي، وينسون أن يقولوا إن النصارى قد استطاعوا الحياة بين المسلمين، في حين لم يقدر المسلمون قط على أن ينالوا حظّاً من ذلك، ولنفكر فقط فيما حدث للمسلمين في إسبانيا وصقلية لنصمت عمّا بقي كله».

لقد كان إسلام «د. أندريه روماني» - كما عبّر بنفسه - نقلة أسبغت على وجوده صفاءً ووضوحاً، ولاسيما أن الصلاة تُرضى روحه تماماً وتسكنها بجعلها على اتصال مباشر بالله.. وأن في صلاة الجماعة بالمسجد راحة له وطمأنينة تشعره بتضامن الأخوة الإسلامية.

ويذكـر أيضاً أنـه قـد اسـتطاع أن يتـعلم اللغـة العـربيـة كي يتـمكن من قـراءة القـرآن الكريم بلسانه العـربي الذي نزل به الوحي على محـمـد صلى الله عليـه وسلم وأنـه حـريص على أن يضع كتـاب الله على منضـدة صـغـيـرة بالقـرب من فراشه ليكون دائماً في متناول يده.

إن قصـة إسـلام «أندريه رومـاني» تعيـد إلى الأذهان مـا تعـرض له المسلمون الأوائل من تعذيب واضطهاد مما اضطرهم إلى الهجـرة حتى أعزَّ الله دينه ونصرَ نبيـه، حـيث اضطر «رومـاني» أن يتـرك بلدته التي لاحـقـتـه بالأذى والاضطهـاد ويعيش في «الصومال» ويتزوج ويستقر في ربوعها.

58 ـ الطالب الأمريكي جيف[1]

أصغر طالب ينال الماجستير في أمريكا ذهب لينتحر فأصبح داعية

● عكاظ: هناك بعيدا عن هنا، على بعد آلاف الأميال عن مكة المكرمة وعن عالمنا الشرق أوسطى كما يحلو لهم أن يسمونا وفي مدينة شهيرة من مدن الولايات المتحدة الأمريكية وبالتحديد في مدينة سان فرانسيسكو دعونا ننطلق من مقر رابطة العالم الإسلامي في باريس تذكرت قصة الطالب جيف الذي التحق بجامعة من جامعاتها الشهيرة.

حيث ولج الطالب الأمريكي جيف على مدير الجامعة وقد دعاه ليهنئه بحصوله على درجة الماجستير التي نالها بتقدير ممتاز مع درجة التفوق ودرجة الشرف الأولى بل إن التهنئة كانت أيضا بسبب أنه كان أصغر طالب في الولايات المتحدة الأمريكية ينال درجة الماجستير في ذلك التخصص وهذا إنجاز غير مسبوق بالنسبة للجامعة فكان عليها أن تفخر بالطالب جيف لأنه حقق إنجازا تاريخيا.

وبعد انتهاء اللقاء والوعد بالاحتفال بجيف في حفل التخرج في نهاية العام الدراسي توجه جيف خارجا من مكتب مدير الجامعة الذي لاحظ عليه الهم والحزن وعلى غير عادة الطلاب في مثل هذه المناسبات.. الذين يصيحون باللهجة الأمريكية: (ياهوووو). على طريقة «الكاوبوي» أو رعاة البقر الأمريكان أو يصرخون قائلين (أولرايت).. فتعجب المدير ولكنه لم يسأل ولم يستفسر عما بداخل جيف.

وفي الموعد المحدد لحفل التخرج حضر الطالب جيف بكامل أناقته مرتديا بزته الخاصة بالمناسبات ومرتديا روب التخرج واضعا قبعة التخرج الشهيرة

(1) عن موسوعة القصص الواقعية المنشورة عبر الإنترنت.

وأخذ مكانه المخصص له وسمع اسمه يتردد عبر مكبرات الصوت مصحوبة بعبارات المدح والثناء التى انهالت عليه من الجميع لإنجازه الرائع ثم صعد المنصة الرئيسية ليتسلم شهادته وسط هتاف وتصفيق عائلته وأصدقائه ووسط الحضور الكثيف في مثل هذه المناسبات وما أن تسلم جيف الشهادة حتى انخرط في البكاء.

فأخذ مدير الجامعة يداعبه قائلا: أنت تبكي فرحا من فرط سعادتك بهذا الموقف.

فرد عليه جيف: لا.. فأنا أبكي من فرط تعاستي.

فتعجب مدير الجامعة وسأله: لماذا يابني؟ فأنت يجب أن تكون سعيدا فرحا في هذا اليوم وفي هذه اللحظات بالذات.

فرد جيف: لقد ظننت بأنني سأكون سعيدا بهذا الإنجاز ولكنني أشعر بأنني لم أفعل شيئا من أجل إسعاد نفسي فأنا أشعر بتعاسة كبيرة فلا الشهادة ولا الدرجة العلمية ولا الاحتفال أسعدني.

ثم تناول جيف شهادته وانسحب من المكان بسرعة كبيرة وسط ذهول الجميع فهو لم يكمل الحفل ولم يبق ليتلقى التهاني من الأصدقاء والأقرباء.

ذهب جيف لمنزله، شهادته بين يديه يقلبها يمنة ويسرة ثم أخذ يخاطبها ماذا أفعل بك؟ لقد أعطيتني مكانة تاريخية في جامعتي ومركزا مرموقا ووظيفة ستكون في انتظاري وأنظار الناس ووسائل الإعلام ستحوم حولي لما حققته من إنجاز ولكنك لم تعطني السعادة التى أنشدها.. أريد أن أكون سعيدا في داخلي ليس كل شيء في هذه الدنيا شهادات ومناصب وأموال وشهرة هناك شيء آخر يجب أن يشعرنا بأن نكون سعداء.. لقد مللت النساء والخمر والرقص أريد شيئا يسعد نفسي وقلبي.. يا إلهي ماذا أفعل؟

ومرت الأيام وجيف يزداد تعاسة فوق تعاسته فقرر أن يضع حدّاً ونهاية لحياته ففكر ثم فكر حتى وجد أن أفضل طريقة ينهي بها حياته هي أن يلقي بنفسه من فوق الجسر الكبير الشهير الذي يطلق عليه الأمريكان اسما أصبح شهيراً في العالم كله وهو: (الجولدن جيت) أو البوابة الذهبية الذي يتألق شامخا كمعلم حضاري أمريكي وكثيرا ما يشاهد وقد غطاه الضباب ويعتبر هذا الجسر من أهم معالم أمريكا التقنية والعلمية. ذهب جيف يخطو نحو البوابة الذهبية وقبل أن يصل إليها كان هناك نفر من الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى ليقوموا بواجب الدعوة إلى الله من شباب المسلمين ذهبوا ليدرسوا في أمريكا وكانوا يسكنون قريبا من مدخل البوابة الذهبية في غرفة تحت كنيسة، تصوروا لفقرهم لم يجدوا مكانا يسكنونه غير غرفة بمنافعها تحت كنيسة.. وكان همهم أيضا أن يدعوا إلى الله سبحانه وتعالى همهم أن يدخل الناس في دين الله.. همهم أن ينقذوا البشرية ويخرجوها من الظلمات إلى النور.. همهم أن يدعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يكونوا مثالا ومثلا طيبا للمسلم الحقيقي.. كانو يدرسون ويدعون إلى الله وهم يقطنون أسفل الكنيسة هذا ما وجدوه ولعله كان خيرا لهم فخرجوا في ذلك اليوم ليتجولوا في الناس ويدعوهم للدخول إلى الإسلام كانوا يرتدون الزي الإسلامي وكانت وجوههم مضيئة بنور الإيمان وكانت جباههم تحمل النور من أثر السجود وأثناء تجوالهم اليومي ذاك وعلى مقربة من مدخل البوابة الذهبية إذا هم بهذا الأمريكي المهموم كان الأمريكي هو الطالب جيف فاذا به ينظر متعجبا مندهشا فهو لم ير فى حياته أناسا بهذا الزي ولا بهذه الهيئة ولا بذلك النور ولا بتلك الجاذبية التي جذبته إليهم.

فاقترب منهم ليتحدث معهم فقال لهم: هل من الممكن أن أسألكم؟

فرد أحدهم: نعم تفضل..

فقال جيف: من أنتم ولماذا ترتدون هذا الزي؟

فـرد عليـه أحـدهـم قـائـلا: نحن المسلمـون أرسل الله إلينا النبي مـحـمـدا ليخـرجنا ويخرج الناس من الظلمات إلى النور وليـجلب للبشـر السعادة في الدنيا والآخرة.

وما أن سمع جيف كلمـة (السعـادة) حتى صـاح فيهم: السعـادة؟!.. أنا أبحث عن السعادة.. فهل أجدها لديكم؟!!

فردوا عليه: ديننا الإسـلام دين السعادة دين كله خير فانصرف معنا لعل الله أن يهديك وتتذوق طعم السعادة.

فقـال لهم: إنني سـأذهب معكم لأعـرف إن كـان لديكم السـعـادة التي أنشد وهى السـعـادة الحـقـيـقـيـة.. لقـد كنت قـبل قليل سـأنتحـر كنت سـأرمي بنفسي من فوق هذا الجسـر وأضع نهاية لحيـاتي لأنني لم أجـد السـعـادة لا في المال ولا في الشهوات ولا في شهادتي التي تحصلت عليها.

فقـالوا له: تعـال مـعنا نعـلمك ديننا لعل الله أن يقـذف في قلبك الإيمان ولذة العبادة فتتعرف على السعادة ولذتها فالله على كل شيء قدير.

انصـرف جيف مع الشـبـاب المسلم الشـبـاب الداعي إلى الله ووصلوا الغـرفـة التى كـانوا يقطنون والتي حـولت إلى مـصلى لهم ولمن أراد أن يتـعـبـد الله فـيـهـا وعـرضـوا على جـيـف الإسـلام وشـرحـوا لـه الإسـلام ومـزايا الإسـلام ومـحـاسن الإسلام وعظمة الإسلام.

فقال: هذا دين حسن والله لن أبرح حتى أدخل في دينكم.

فـأعلن جيف إسـلامـه. وبادر أولئك الدعـاة بتـعليـمـه الإسـلام.. فـأخـذ جيف يمارس فرائض الإسلام وارتدى الزي الإسلامى لقد وجد ضالته.

وجـد أن السـعـادة التى كـان ينشـدهـا في الإسـلام وفي حب الله وحب رسـوله،

بل كان جيف سعيدا بأنه أصبح داعية إلى الله سبحانه وتعالى في أمريكا وأبدل اسمه إلى (جعفر) وكما نعرف من كتب السير أن رسول الله أخبر عن ابن عمه الصحابي الجليل جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه بأن له جناحان يطير بهما في الجنة فقد كان جعفر الأمريكي يطير بجناحين من الفرحة والسعادة لاعتناقه الدين الإسلامي فقد أوقف نفسه وحياته وماله وجهده في سبيل نشر الدين في أمريكا، وها قد عرفنا قصة جعفر الذي وجد سعادته في دين الله وفي التمسك بتعاليم الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه محمد فما بال كثير من المسلمين لايزالون يعتقدون بأنهم لن يجدوا سعادتهم إلا بالتشبه باليهود والنصارى مأكلا، وملبسا، ومشربا، ومركبا، ومسكنا، ومعشرا؟!!

والله إن السعادة كل السعادة في أن يكون الإنسان مؤمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. السعادة كل السعادة في أن يكون الله ورسوله أحب إليه من ولده ووالده وماله ونفسه.

والسعادة كل السعادة في أن يكون الإنسان داعيا إلى الله سبحانه وتعالى مشمرا، ومضحيا من أجل إخراج الناس من الظلمات إلى النور وهاديا يهديهم طريق الرشاد. السعادة كل السعادة في مناجاة الله في الثلث الأخير من الليل.. السعادة كل السعادة في أن تمسح على رأس يتيم، وأن تصل رحمك، وأن تطعم الطعام وتفشي السلام وتصلى والناس نيام، السعادة كل السعادة في أن تبر والديك، وأن تحسن لأقاربك وأن تحسن لجارك، وأن تتبسم في وجه أخيك وأن تتصدق بيمينك حتي لا تعلم بها شمالك.

هذه السعادة في الدنيا فكيف بسعادة الاخرة؟!

لقد دخل جيف الإسلام لأنه شاهد أولئك النفر المتمسكين بدينهم والداعين إلى الله في أرض غير المسلمين.. والله لو أخلصنا النية والعزم لله سبحانه وتعالى واجتهدنا من أجل إيصال هذا الدين لوصل للعالم كله، ولكننا تقاعسنا

عن واجـبنـا في دعـوة النـاس لدين اللـه. أين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عـمـران: ١١٠)؟ أين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾ (فصلت: ٣٣)؟ أين «بَلِّغُوا عني ولو آية»؟ ماذا سنقول لربنا غدا.. لو سـألنا عن تقصـيـرنا في الدعـوة إلى الله؟.. نقـول شـغلتنا أمـوالنا وأهـلونا؟.. نقـول شـغلتنـا مبـارياتنا ولعـبنا للبلوت، نقـول شـغلتنا سجـائرنا وشـيشنـا.. نقـول شـغلتنا مـلاهـينا وزوجـاتنـا وسـفـراتنا للتـرفـيـه.. مـاذا سنقـول والعـالم يا إخـواني ينتظرنا وخـاصـة في هذه الظروف الحـرجـة التي يمر بهـا العـالم.. جـعلنـي الله وإياكم ممن يحبون ويتبعون تعاليم الله سبحـانه وتعالى، وسنة ونهج نبينا محمد، وممن يقـومـون بواجب الـدعـوة إلى الله وتبليغ رسـالتـه إلى النـاس كـافـة إنه سـمـيع مـجـيـب ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

35ـ المهندسة الإيرلندية.. خديجة عدنان[1]

الدين الإسلامي.. دين الحقيقة، دين الإنسانية.. دين الواقع. دين له عالمية.. دين العلاقة بين الذات الإلهية والبشرية.. دين عالمي لم يشهد التاريخ حركة أوسع نطاقا وأسرع انطلاقا، من حركة الإسلام حين ظهر.

فقد شق الإسلام طريقه إلى القلوب، وانتشر نوره في أنحاء العالم، وقامت في كنفه أرقى الحضارات، ودوى صيته في كل مكان، فملأ الدنيا أملا في الحياة، وبسط السعادة، وحقق الطمأنينة.

وحقق الكثير من الفتوحات والانتصارات في مدة قصيرة، ما لم تحقق جيوش الإمبراطويات الكبيرة في قرون طويلة، مما أثار إعجاب الباحثين والمفكرين، وجعلهم يهتمون وغيرهم بتفسير هذه الظاهرة الإسلامية.

والذين يدخلون في دين الله أفواجا، من كل جنس ومن كل دين آخر، يؤكدون حقيقة الدين الكبرى، التي أكدها دستوره ـ القرآن ـ منذ 14 قرنا من الزمان.

فالدين الإسلامي، يدخل القلوب، بقوة الحجة الإسلامية التي لا يقف أمامها معترض.

وهذه الأخت التي اختارت الإسلام دينا، وهي في الخامسة والعشرين من عمرها، لا نملك أمام إصرارها وحبها للدين الإسلامي، إلا أن نقف خاشعين أمام هذا الحب وهذا الإصرار الذي يعطي للإسلام حقه منذ الرسالة حتى اليوم، فهو الدين الصامد، الواقف أمام كل القلوب في عظمة إذا ما تهيأت، دخلها في هدوء واثق متمكن، فيعطي صاحبه، الخير كله.

هي: كاترين ميتشولازر.

---

(1) من كتاب: لماذا أسلم هؤلاء؟ لأحمد حامد.

موطنها الأصلي: أيرلندا.

هي مهندسة في إحدى محطات الأرصاد الجوية.

تقول: تعرفت بالإسلام، عن طريق الوافدين من طلبة أفريقيا، وكانت رؤيتي لعبادتهم أول ما كانت، للصلاة، التي لفتت نظري فالصلاة بكل ما فيها من العبادات، غير موجود في الديانات الأخرى، التي تتم فيها العبادة بأي طريقة، وبدون التزام من المتعبد نفسه، ولفت نظري الطريقة الواحدة في أداء الصلاة للعبادة، وكانت الصلاة أول ما تعلمته في الدين الإسلامي الحنيف، وكنت أؤدي الصلاة دون اعتراف لبقية ما يحويه الدين الحنيف من تعاليم.

وتقول كاترين التي أدت الصلاة قبل أن تغوض في أعماق الدين الإسلامي: لم يكن هناك علاقة شديدة تربطني بالوافدين القادمين إلى أيرلندا وكانت الصلاة هي الرابط القوي والمتين الذي جعلني بعد ذلك، أقترب منهم، وأتعرف على القرآن الكريم، وأذهلني ما بالقرآن الكريم، من تعاليم آملين من الله عز وجل أن تسود العالم حتى يفيق على أن القرآن الكريم هو الطريق الصحيح.

وتقول كاترين: وجدت بالقرآن معاني الإنسانية الحقيقية، ووجدت في قراءته، هدوء النفس وراحة البال، والطمأنينة التي يريدها الإنسان لحياته، وتحركت في نفسي عوامل كثيرة تجاه الدين الإسلامي الحنيف، الذي لا دين بعده، وتعلقت كثيرا به، فرحت أقرأ تفسيرات القرآن المتعددة، حتى حلت على معلومات قيمة كانت تحتاجها نفسي وكان العقل في حاجة شديدة وماسة إليها، وتعلمت الكثير من تعاليم الدين بعد ذلك، حتى وقفت على الحقيقة التي يبحث عنها الإنسان في حياته، ووجدت أن الدين الإسلامي، طريقي لا مفر من ذلك، وأعلنت إسلامي، بكل الثقة والاعتزاز بالدين والنفس ومسئولية هذا الإشهار العظيم، وكانت كل الأعين تنظر لي في غرابة، لأني اعتنقت دينا جديدا غير ديني، لكني مع الأصلح للقلب والعقل، اخترت الدين الإسلامي الحنيف، ليهديني إلى الصراط المستقيم.

واخترت لنفسي اسما إسلاميا عربيا، وسميت نفسي «خديجة عدنان»، وأصبح لاسمي الجديد وقع على النفوس التي عرفت به، ولاقيت مضايقات كثيرة، لكن الله كان معي ولا يزال يؤازرني في كل العقبات التي تقف في طريقي كحياة جديدة اخترتها، باختيار دين الإسلام، والمسلمين.

وتقول السيدة خديجة عدنان، ولتعلم يا أخي أن الإسلام الذي ختم به الخالق العظيم، الرسالات السماوية، هو أقوى الأديان وأعظمها، وإلا لكانت هناك رسالة بعده، أو كان هناك نبي بعد النبي الكريم محمد صلوات الله عليه وسلامه، وإن كان بعض الأفاقين، قد حاولوا أن يجيئوا ببعض الادعاءات ولكن باءت كل محاولاتهم بالفشل، لأنها لا تستند إلى حقيقة، أما الحقيقة الكبرى، فالدين الإسلامي، ثابت قوي متين، لأنه بعيد عن الخيالات والادعاءات والمصلحة الشخصية.

وتقول الأخت الأيرلندية، خديجة عدنان، إن الإسلام، دين كل العصور، لأنه دائم الحيوية، ولا شيء في الإسلام يمكن أن يقال عنه أنه قديم، لأن الوقت الذي مر عليه، وقت طويل، فبالرغم من مرور الـ 14 قرنا من الزمان، إلا أنه دين العصر والزمن والمدنية والحضارة والتقدم، فهو الدين الخالد، والذي يعجبني في الدين الإسلامي، خلوده وأصالته ومؤازرته وحثه على العلم، وبعده عن القسوة والكراهية والإكراه.

والذي يدعو إلى الإعجاب بالدين الإسلامي الحنيف، هو مناداته ودعوته إلى إله واحد، لا ولد له ولا والد، وأرى في الدين الإسلامي أنه قد أعطى صورة حقيقية، واضحة وصريحة تؤكد المعنى الحقيقي للخالق الجبار، وتأكيد هذه الحقيقة في هذا الشعار العظيم:

«لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وقبل أن تنهي الأخت المسلمة الأيرلندية خديجة عدنان حديثها معنا، قالت،

الإسـلام دين السـلام والحـرية والعـزة والكرامـة، والإسـلام دين سـلام يرفض الحرب، لكنه في سبيل إعلاء كلمة الدين وشأنه، يفرضها كواجب مقدس على كل مسلم يحارب الأعداء من أجل دينه وعرضه وماله وأرضه ووطنه.

وتقول خديجة عدنان، ولو رحت أعدد مزايا الدين الإسلامي لاحتجت إلى الكثير والكثير من الوقت حتى لا أستطيع أن أوفيه حقه، فهو دين الله، ودين الحق والحقيقة، وعليه يجب أن يعيش المسلمون حقيقة هذا الدين، حتى يكتب الله لهم النصر إن شاء الله.

خاتمـــة

إذاً لابد من وقفة تأمل لحال هؤلاء الأعلام الذين أعلنوا إسلامهم أتعتقد أنهم يبحثون عن زيادة في الشهرة والمنصب بعدما وصل المسلمون لما وصلوا إليه، أم أنهم فضلوا اتباع دين الحق من حيث أتى؟ وكان شعارهم الحق أحق أن يتبع، وآثروا على مكانتهم الاجتماعية وشهرتهم العلمية ما سيواجهونه من تأثيرات مقابل إسلامهم.

هؤلاء العلماء والأعلام قد مهدوا لك الطريق للدخول في الإسلام بعد الدراسة المستفيضة والتعمق في المقارنة والتأكد الذي لا يقبل الشك كلٌّ في مجاله.

ثم أولئك الناس الطيبون من عامة الشعوب الذين أراد الله لهم الخير، فنظروا وفرّقوا بين الحق والباطل، فالحق أحق أن يتبع، فاتبعوا الحق، وما بعد الحق إلا الضلال.

فلا تتردد إذا كانت الشهرة أو المنصب أو الوضع الاجتماعي تمنعك من إعلان إسلامك لأنك راحل من هذه الدنيا مهما بلغت من العلو وإنك ستُنسى كما نُسِي من هم مثلك أو أفضل منك ولو دامت هذه الدنيا لغيرك ما وصلت إليك وعندها لا تساوي لحظة عذاب للحياة الأبدية في الآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

تم بعون الله وتوفيقه.

السيرة الذاتية

● الاسم: الحسيني الحسيني معدي.

● تاريخ الميلاد: 26/10/1968.

■ المؤهلات العلمية:

● ليسانس آداب وتربية تخصص «لغة عربية» عام 1991.

● دبلوم خاص في التربية وعلم النفس عام 1995.

● ماجستير في التربية «تخصص أصول تربية» عام 2002، في موضوع «التربية الجنسية بالمرحلة الثانوية في مصر ـ الواقع والممكن».

● يعد رسالة الدكتوراه في قسم «التربية المقارنة».

■ المؤلفات العلمية:

1 ـ التربية الجنسية بين الفكر الإسلامي والغربي، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، عام 2003.

2 ـ التربية الجنسية في مختلف المراحل التعليمية «من منظور إسلامي»، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، عام 2003.

3 ـ أسس ومبادئ التربية الجنسية في الإسلام، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، عام 2003.

4 ـ التربية الجنسية للمراهقين والشباب «من منظور إسلامي»، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، عام 2004.

5 ـ المهتدون إلي الحق، أربعة أجزاء، دار الكتاب العربي، دمشق ـ القاهرة.

6 ـ الأجوبة الجلية للرد على الأسئلة المسيحية (مسيحي يسأل ومسلم يجيب)، أربعة أجزاء، دار الكتاب العربي، دمشق ـ القاهرة.

المحتويـــــــــات